AL YAMAMAH مجلة أسبوعية شاملة تصدر عن مؤسسة اليمامة الصحفية

اليمامة

العدد - 2920 - السنة السادسة والسبعون - الخميس 23 صفر 1448 هـ
الموافق 06 أغسطس 2026م.

9771319029600

د. أحمد الزيلعي..
يوم خالد في جامعة الملك خالد.

عبدالرحيم الأحمدي..
رائد المشاريع الثقافية.

مدينة الربذة ..
بادت ثم عادت.

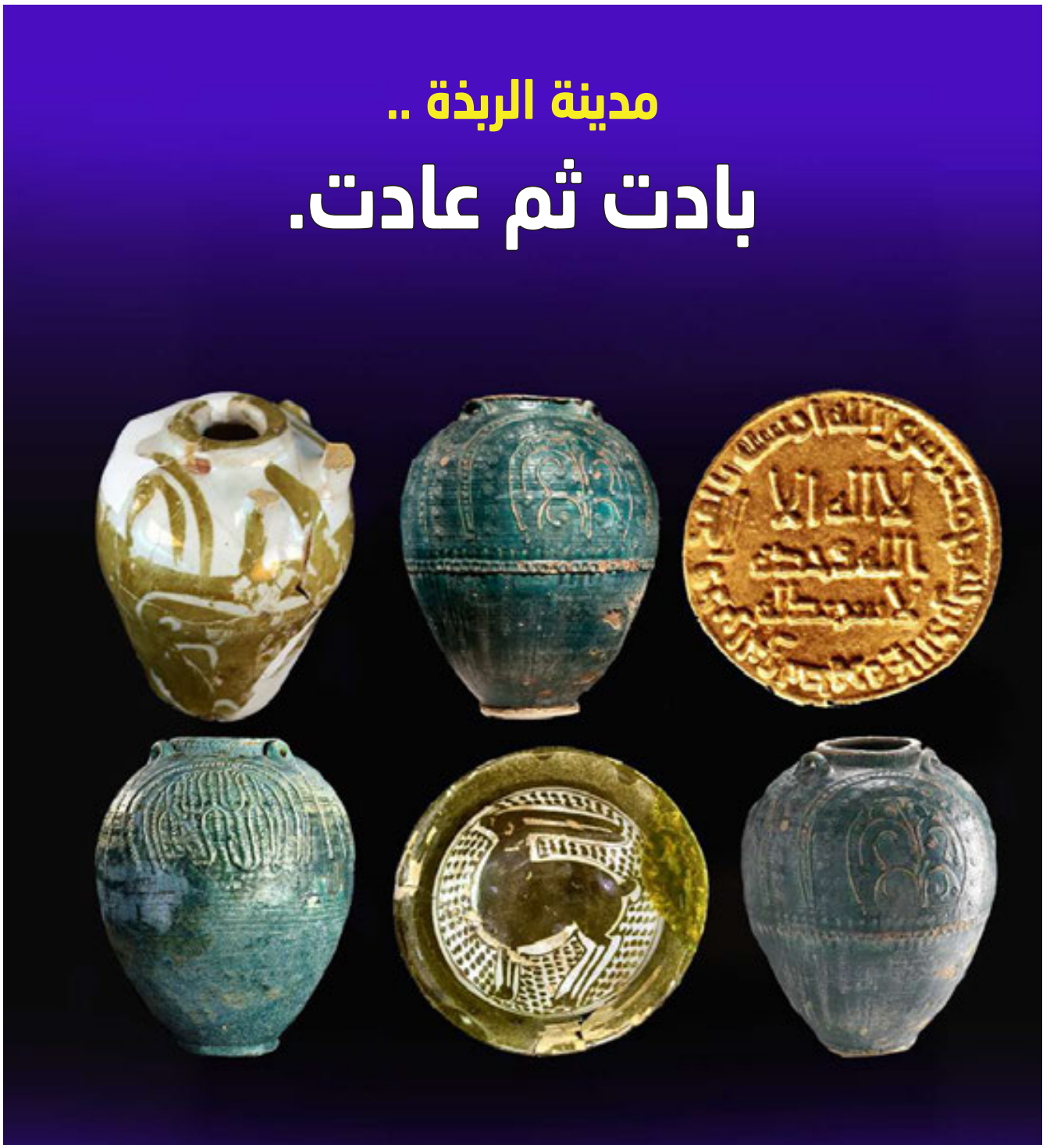

كنوز اليمامة

سلسلة تصدر من مؤسسة اليمامة الصحفية

إضافة جديدة وإصدارات متنوعة

اطلبه **الآن**

أونلاين عبر

كنوز اليمامة

يتم الشحن عبر

YAMAMAH EXPRESS

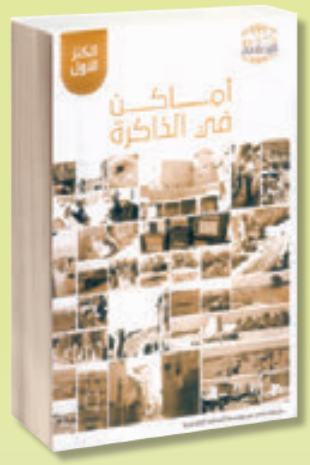

واتساب: 023 2121 50 966+

إيميل: contact@bks4.com

تويتر: @KnoozAlyamamah

أنستغرام: @KnoozAlyamamah

Bks4.com

رؤيــة حـكـيـمـــة
ومكتسبات عظيمـة

رؤيـــة VISION
2030
المملكة العربية السعودية
KINGDOM OF SAUDI ARABIA

تهنئة نجاح بمناسبة مرور
عشـر سـنوات على رؤيـــة

نبارك لكم هذا الإنجاز

وما تحقق خلال السنوات العشر من منجزات تنموية وحضارية

رؤيتنا تنفيذ مشاريع نوعية تواكب مستهدفات رؤية 2030
وتسهم في بناء مستقبل عمراني مستدام

عبد الفتاح العقوري

مدير عام

شركة ركن الوسائط للاتصالات

الفهرس

أعادت أعمال البحث والتنقيب الأثري التي قامت بها جامعة الملك سعود مدينة الربذة التاريخية إلى الواجهة، بعد أن ظلت قرونا حاضرة في كتب التاريخ وغائبة عن الجغرافيا. ونخصص غلاف هذا العدد لهذه المدينة التاريخية، من ازدهارها على طريق الحج والتجارة، إلى اندثارها، ثم إعادة اكتشافها، بوصفها أحد أبرز المواقع الأثرية في المملكة.

وفي السياق نفسه، يكتب الأستاذ الدكتور أحمد الزيلعي، مستعيدا بدايات قسم التاريخ والآثار بجامعة الملك خالد بأبها، بمناسبة حصول برامجه الأكاديمية على الاعتماد الكامل، ومبرزا الدور الذي تؤديه الجامعات السعودية في إعداد الكفاءات العلمية وحفظ الذاكرة التاريخية وصون التراث الوطني.

ويضم العدد باقة من الموضوعات الثقافية والفكرية، حيث يواصل الدكتور عبدالعزيز بن سلمة سلسلة كتاباته عن ملامح الحركة الثقافية في المنطقة الشرقية في التسعينيات الهجرية، فيما يكتب عبداللطيف آل الشيخ عن أقوى وحدة عربية عبر التاريخ، ويتناول عبدالله الوابلي الكراهية بوصفها رحلة تقود إلى العنف. وفي "حديث الكتب" يقرأ الدكتور صالح الشحري رواية "كوم النور" للكاتبة ريم البسيوني، التي عرفت بمشروعها الروائي في استحضار التاريخ المصري.

ويتضمن عدد هذا الاسبوع الملحق الثقافي الشهري "شرفات"، الذي يخصص ملفه للرائد الثقافي والمؤلف والناشر عبدالرحيم الأحمدي، احتفاء بمسيرة ثقافية حافلة، أسهم خلالها في الشعر والبحث والتوثيق والنشر. كما يضم الملحق مجموعة من المواد الثقافية والقراءات النقدية والنصوص الإبداعية.

ونختتم العدد بـ"الكلام الأخير"، ويكتبه هذا الأسبوع فهيد العديم تحت عنوان "الصورة الأخيرة".

AL YAMAMAH
اليمامة

المحررون

مؤسسة اليمامة الصحفية
AL YAMAMAH PRESS EST

مجلة أسبوعية شاملة تصدر عن مؤسسة اليمامة الصحفية

أسسها: حمد الجاسر عام 1372 هـ

رئيس مجلس الإدارة: منصور بن محمد بن صالح بن سلطان

المدير العام : خالد الفهد العريفي ت : 2996110

2920

CONTENTS

في هذا العدد

الوطن

06 | ولي العهد يؤكد لترامب على ضرورة تغليب الحوار لخفض التصعيد.

المجلس

16 | بعض ملامح الحركة الثقافية في المنطقة الشرقية في السبعينيات الهجرية (2-4).

الحدث

30 | وجوه جديدة تقود الحراك الثقافي السعودي.

الملف

32 | عبدالرحيم الأحمدي: كرَّستُ حياتي لاستعادة ذاكرتنا الثقافية قبل أن تضيع.

شرفة الهديل

50 | غوايات الكتب المدهشة.

الكلام الأخير

66 | الصورة الأخيرة. يكتبه: فهيد العديم.

المشرف على التحرير
عبدالله حمد الصيخان
alsaykhan@yamamahmag.com
هاتف : 2996200
فاكس: 4871082

مدير التحرير
عبدالعزيز حمود الخزام
aalkhuzam@yamamahmag.com
هاتف : 2996415

عنوان التحرير:
المملكة العربية السعودية الرياض - طريق القصيم حي الصحافة
ص.ب: 6737 الرمز البريدي 11452
هاتف السنترال 2996000 الفاكس 4870888
بريد التحرير:
info@yamamahmag.com
موقعنا:
www.alyamamahonline.com
تويتـــر:
@yamamahMAG

MAIN OFFICE:
AL-SAHAFA QURT.T - TEL: 2996000 (23 LINES) -
TELEX: 201664 JAREDA S.J. P.O. BOX 6737
RIYADH 11452 (ISSN -1319 - 0296)

سعر المجلة : 5 ﷼
الاشتراك السنوي:
المرحلة الأولى : مدينة الرياض
300 ﷼ للأفراد شاملاً الضريبة.
500 ﷼ للقطاعات الحكومية وتضاف الضريبة.
تودع في حساب البنك العربي رقم (آيبان دولي):
sa 4530400108005547390011
ويرسل الإيصال وعنوان المشترك على بريد المجلة-
info@yamamahmag.com
للاشتراك اتصل على الرقم المجاني: 8004320000

إدارة الإعلانات:
هاتف 2996400 -2996418
فاكس: 4871082
البريد الإلكتروني:
adv@yamamahmag.com

الوطن

أجرى اتصالاً بالرئيس التركي وتلقى اتصالين من ملك البحرين والرئيس السوري..

ولي العهد يؤكد لترامب على ضرورة تغليب الحوار لخفض التصعيد.

واس

أجرى صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز آل سعود ولي العهد رئيس مجلس الوزراء اتصالًا هاتفيًا بفخامة الرئيس دونالد ترمب رئيس الولايات المتحدة الأمريكية.

وجرى خلال الاتصال بحث تطورات الأوضاع في المنطقة وانعكاساتها الإقليمية والدولية على مختلف المستويات، وقد أكد سمو ولي العهد -حفظه الله- على ضرورة تغليب لغة الحوار لخفض التصعيد وعلى أهمية بذل كافة الجهود الممكنة لتحقيق التهدئة التي تمهد الطريق لحلول دبلوماسية تحقق نتائج إيجابية للحفاظ على أمن واستقرار المنطقة، ويمنع الانجرار إلى صراع أوسع، تطال تداعياته الأمن والاستقرار الإقليمي والدولي.

كما تم خلال الاتصال استعراض مجالات التعاون القائمة بين البلدين وسبل تعزيزها.

كما أجرى صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز آل سعود ولي العهد رئيس مجلس الوزراء، اتصالًا هاتفيًا، بفخامة الرئيس رجب طيب أردوغان رئيس جمهورية تركيا.

وجرى خلال الاتصال بحث العلاقات الثنائية بين المملكة وتركيا وسبل دعمها وتعزيزها في عدد من المجالات.

كما جرى خلال الاتصال بحث تطورات الأوضاع في المنطقة.

وقد أكد فخامة الرئيس التركي إدانة بلاده واستنكارها للهجمات التي شنتها مليشيا الحوثي على السفن في البحر الأحمر، ووقوف بلاده التام إلى جانب المملكة، كما رحب فخامته بإنشاء التحالف البحري الدفاعي متعدد

الجنسيات الذي تقوده المملكة، متمنيًا له كل التوفيق لتحقيق أهدافه.

وكان صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز آل سعود ولي العهد رئيس مجلس الوزراء، تلقى اتصالًا هاتفيًا،من أخيه جلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة ملك مملكة البحرين.

وجرى خلال الاتصال استعراض آخر المستجدات الإقليمية والجهود المبذولة لتعزيز الأمن والاستقرار في المنطقة.

وهنأ جلالة ملك البحرين سمو ولي العهد بمناسبة إنشاء التحالف البحري الدفاعي متعدد الجنسيات واختيار المملكة العربية السعودية قائدة لهذا التحالف ومقرًا رئيسًا دائمًا له، والذي يعكس الثقة الدولية بالدور القيادي للمملكة في تعزيز الأمن البحري الجماعي.

كما تم خلال الاتصال بحث عدد من الموضوعات ذات الاهتمام المشترك.

وتلقى صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز آل سعود ولي العهد رئيس مجلس الوزراء، اتصالًا هاتفيًا، من فخامة السيد أحمد الشرع رئيس الجمهورية العربية السورية.

وفي بداية الاتصال، جدد فخامة الرئيس السوري إدانة بلاده واستنكارها لمحاولة استهداف المنشآت البترولية في المملكة من قبل الميليشيات التابعة لإيران في العراق، مؤكدًا دعم سورية الثابت لأمن المملكة وسيادتها.

كما جرى خلال الاتصال استعراض العلاقات الثنائية وسبل تطوير آفاق التعاون المشترك بين البلدين الشقيقين، إضافة إلى بحث تطورات الأوضاع الإقليمية والدولية والمساعي المبذولة لخفض التصعيد وتعزيز الأمن والاستقرار في المنطقة.

رأي اليمامة

نهج سعودي راسخ.

في الوقت الذي تبذل فيه قيادة المملكة كل الجهود الممكنة لتهيئة مناخ التهدئة الذي يمهد الطريق أمام الحلول الدبلوماسية ويحفظ أمن المنطقة واستقرارها، كما عكسه الاتصال بين سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الأمير محمد بن سلمان والرئيس الأمريكي دونالد ترمب، فإنها في الوقت ذاته لا تغفل مسؤولياتها الأمنية، وتقود تحالفا دفاعيا متعدد الجنسيات لحماية الممرات المائية في البحر الأحمر ومضيق باب المندب، انطلاقا من قناعة راسخة بأن أمن الملاحة الدولية جزء لا يتجزأ من أمن المنطقة واستقرار الاقتصاد العالمي.

وقبل ذلك، استعرض سمو ولي العهد مع جلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة، ملك مملكة البحرين، ومع السيد أحمد الشرع، رئيس الجمهورية العربية السورية، المستجدات الإقليمية والجهود المبذولة لتعزيز الأمن والاستقرار في المنطقة، كما أجرى اتصالا هاتفيا بالرئيس التركي رجب طيب أردوغان، في إطار المشاورات المستمرة مع قادة الدول الشقيقة والصديقة بشأن تطورات الأوضاع الإقليمية.

ولا تبدو هذه الاتصالات تحركات متفرقة، وإنما تمثل مسارا دبلوماسيا متكاملا تقوده المملكة، يقوم على توسيع دائرة التشاور والتنسيق مع مختلف الأطراف الفاعلة.

والدعوة إلى السلام والاستقرار هو ما اعتادت المملكة القيام به عبر مختلف مراحلها، فكم أسهمت في رأب الصدع، وتقريب وجهات النظر، ورعاية الحوارات، ونزع فتيل الأزمات، لإيمانها الراسخ أن ذلك ينعكس على أمن المنطقة والعالم وأن ذلك هو دورها كدولة إقليمية وعالمية رائدة، ويؤكد قدرتها على صنع مبادرات دولية تجد القبول على نطاق عالمي واسع.

اليمامة

التأكيد على حرص المملكة دعم عملها الإنساني والإغاثي وتوسيع آفاقه..

مجلس الوزراء يقدّر الدعم الدولي في الانضمام إلى التحالف البحري الدفاعي.

واس

رأس صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز آل سعود ولي العهد رئيس مجلس الوزراء -حفظه الله-، الجلسة التي عقدها مجلس الوزراء أمس الثلاثاء في جدة.

وفي بداية الجلسة؛ أطلع سمو ولي العهد مجلس الوزراء على مضمون الاتصال الهاتفي مع فخامة رئيس الولايات المتحدة الأميركية دونالد ترمب، وما اشتمل عليه من بحث تطورات الأوضاع في المنطقة وانعكاساتها على مختلف المستويات، وتأكيد المملكة العربية السعودية ضرورة تغليب نهج الحوار لخفض التصعيد، وأهمية بذل كل الجهود لتحقيق التهدئة التي تمهد الطريق لحلول دبلوماسية تسهم في الحفاظ على الأمن الإقليمي واستقراره.

وأحاط سموه المجلس بمجمل الاتصالات الهاتفية مع جلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة ملك مملكة البحرين، وفخامة رئيس الجمهورية العربية السورية أحمد الشرع، وفخامة رئيس الجمهورية التركية رجب طيب أردوغان، ودولة رئيس وزراء مملكة إسبانيا بيدرو سانشيز، وما جرى خلال المحادثات من استعراض آفاق التعاون بين المملكة العربية السعودية وبلدانهم في مختلف المجالات، إضافة إلى الموضوعات ذات الاهتمام المشترك.

وأوضح معالي وزير التعليم وزير الموافقة على نظام المنافسات والمشتريات الحكومية.

تمديد مهلة تصحيح أوضاع التصرفات العقارية غير الموثقة لمدة سنة.

الإعلام بالنيابة الأستاذ يوسف بن عبدالله البنيان، في بيانه لوكالة الأنباء السعودية عقب الجلسة، أن المجلس قدّر الدعم الدولي المتنامي بالاصطفاف والانضمام إلى التحالف البحري الدفاعي متعدد الجنسيات الذي أطلقته المملكة العربية السعودية؛ ضمن جهودها النابعة من دورها الريادي في توطيد الأمن والاستقرار الإقليميين والدوليين، وترسيخ العمل متعدد الأطراف بين الدول على مختلف الصعد؛ بما في ذلك بناء إطار تعاون مشترك لحماية مسارات الملاحة الدولية وطرق التجارة وإمدادات الطاقة من التهديدات المتصاعدة في البحر الأحمر ومضيق باب المندب وخليج عدن.

وتطلع مجلس الوزراء إلى أن يشكّل الاتفاق التاريخي المتعلق بنزع السلاح في قطاع غزة منطلقًا لمسار سياسي شامل يفضي إلى التنفيذ الكامل لخطة السلام الشاملة، ويكفل للشعب الفلسطيني حقه في تقرير مصيره وإقامة دولته المستقلة، مثمنًا الجهود التي بذلتها جمهورية مصر العربية ودولة قطر والجمهورية التركية والولايات المتحدة الأميركية ومجلس السلام لتحقيق هذا الإنجاز.

وأكد المجلس حرص المملكة على دعم عملها الإنساني والإغاثي وتوسيع آفاقه بتنظيمها في إبريل القادم الدورة الخامسة لمنتدى الرياض الدولي الإنساني؛ الذي أصبح منصة عالمية بارزة لتعزيز مسيرة التعاون الدولي في هذا المجال، وبناء الشراكات الإستراتيجية المستدامة، وتيسير وصول المساعدات إلى الفئات المحتاجة والمتضررة في جميع أنحاء العالم.

واستعرض مجلس الوزراء إثر ذلك تقارير ومؤشرات عدد من البرامج والإستراتيجيات الوطنية، مشيدًا في هذا السياق بالمنجزات والنجاحات التي حققها برنامج خدمة ضيوف الرحمن، وبما أثمرت مبادراته ومشاريعه المتعددة من تطوير مستمر يجسّد الحرص الدائم للمملكة العربية السعودية وقيادتها على العناية بالحرمين الشريفين وقاصديهما، والاهتمام التاريخي المتواصل بتقديم أجود الخدمات للحجاج والمعتمرين وتسخير كل الجهود والإمكانات

والطاقات؛ لتوفير سبل الراحة لهم منذ القدوم حتى المغادرة.

وبين معاليه أن المجلس رحّب بما صدر عن صندوق النقد الدولي في تقرير مشاورات المادة الرابعة للعام 2026م، من التأكيد على مرونة اقتصاد المملكة وقدرته على التكيف في مواجهة التحديات؛ مستندًا إلى الأسس الاقتصادية المتينة والبنية التحتية المتنوعة وكفاية التخطيط المالي طويل المدى والاستقرار المالي والنقدي، والإصلاحات الهيكلية المنفذة في إطار (رؤية السعودية 2030) التي قادت عقدًا كاملًا من التحول الاقتصادي؛ معززة الأطر المؤسسية والأداء والتنوع الاقتصادي والتحسن في مؤشرات الرعاية الصحية والتعليم وتحقيق عدد من المستهدفات قبل موعدها المحدد.

واطّلع المجلس على الموضوعات المدرجة على جدول أعماله، من بينها موضوعات اشترك مجلس الشورى في دراستها، كما اطّلع على ما انتهى إليه كل من مجلسي الشؤون السياسية والأمنية، والشؤون الاقتصادية والتنمية، واللجنة العامة لمجلس الوزراء، وهيئة الخبراء بمجلس الوزراء في شأنها، وقد انتهى المجلس إلى ما يلي:

أولًا: الموافقة على اتفاقية عامة للتعاون بين حكومة المملكة العربية السعودية وحكومة جمهورية الإكوادور.

ثانيًا: الموافقة على اتفاقية بين حكومة المملكة العربية السعودية وحكومة جمهورية كازاخستان في شأن التشجيع والحماية المتبادلة للاستثمارات.

ثالثًا: الموافقة على مذكرة تفاهم للتعاون في مجال الطيران المدني بين الهيئة العامة للطيران المدني في المملكة العربية السعودية ووزارة النقل والتنقل المستدام في مملكة إسبانيا.

رابعًا: الموافقة على اتفاقية تعاون بين الهيئة العامة للنقل في المملكة العربية السعودية ووزارة الموانئ والنقل البحري في جمهورية الصومال الفيدرالية في مجال النقل البحري.

خامسًا: تفويض معالي وزير التعليم رئيس مجلس إدارة المؤسسة العامة للتدريب التقني والمهني -أو من ينيبه- بالتباحث مع الجانب الكوري في شأن مشروع مذكرة تفاهم في مجال التدريب التقني والمهني بين المؤسسة وكلية «كي دي آي» للسياسة العامة والإدارة في معهد كوريا للتنمية، والتوقيع عليه.

سادسًا: الموافقة على مذكرة تفاهم بين وكالة الفضاء السعودية ووكالة الفضاء التركية للتعاون في مجال الاستخدام السلمي للفضاء الخارجي.

سابعًا: الموافقة على نظام المنافسات والمشتريات الحكومية.

ثامنًا: الموافقة على النظام الأساس للمركز الدولي لأبحاث وأخلاقيات الذكاء الاصطناعي.

تاسعًا: الموافقة على أن يكون للمستثمر تطوير الأراضي المخططة وتنفيذ وحدات سكنية لمستفيدي الإسكان التنموي؛ مقابل ملكية نسبة من الأراضي.

عاشرًا: الموافقة على انضمام وزارة الداخلية -ممثلة في الإدارة العامة للخدمات الطبية- إلى الاتحاد الدولي للمستشفيات.

حادي عشر: للمقرات الإقليمية للمؤسسات المالية المرخصة من وزارة الاستثمار؛ مزاولة الأنشطة المالية عابرة الحدود التي تعتمدها لجنة برنامج تطوير القطاع المالي.

ثاني عشر: تمديد مهلة تصحيح أوضاع التصرفات العقارية غير الموثقة؛ لمدة (سنة).

ثالث عشر: اعتماد الحسابات الختامية لجامعات: (حائل، وطيبة، والقصيم، والجوف)، لأعوام مالية سابقة.

رابع عشر: التوجيه بما يلزم بشأن عدد من الموضوعات المدرجة على جدول أعمال مجلس الوزراء، من بينها تقارير سنوية للمركز السعودي للاعتماد، وجامعتي (المجمعة، والباحة).

خامس عشر: الموافقة على ترقيات بالمرتبة (الرابعة عشرة)، وذلك على النحو الآتي:

ـ ترقية بسام بن عبدالرحمن العمار إلى وظيفة (مستشار قانوني) بالمرتبة (الرابعة عشرة) بوزارة الداخلية.

ـ ترقية الدكتور خالد بن سعيد أبو هتلة إلى وظيفة (مستشار أعمال) بالمرتبة (الرابعة عشرة) بوزارة الإعلام.

ـ ترقية خالد بن صالح آل الشيخ إلى وظيفة (مستشار قانوني) بالمرتبة (الرابعة عشرة) بالأمانة العامة لمجلس الوزراء.

في مقر مركز الملك فيصل للبحوث ..

الأمير تركي الفيصل يستقبل وفدًا من مركز الدراسات الاستراتيجية بوزارة الدفاع.

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
King Faisal Center for Research and Islamic Studies

اليمامة -خاص

استقبل صاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل، رئيس مجلس إدارة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في مكتبه بالمركز؛ اللواء الركن فهد العتيبي الرئيس التنفيذي لمركز الدراسات الاستراتيجية الدفاعية بوزارة الدفاع السعودية، وذلك ضمن زيارة وفد مركز الدراسات الاستراتيجية الدفاعية لمركز الملك فيصل.

كما استقبلت صاحبة السمو الملكي الأميرة مها بنت محمد الفيصل، الأمين العام لمركز الملك فيصل، وفد مركز الدراسات الاستراتيجية الدفاعية، وعُقد لقاء بحضور مساعد الأمين العام للشؤون العلمية الدكتور عبدالله حميدالدين ومدراء الإدارات في مركز الملك فيصل، ويأتي هذا اللقاء ضمن برنامج مركز الدراسات الاستراتيجية الهادف إلى تعزيز الجاهزية القيادية، وتطوير مهارات القيادات النسائية، وتبادل الخبرات في مجالات القيادة والتفكير الاستراتيجي، وصناعة القرار، وأثناء الزيارة اطلع الوفد على البرامج العلمية والثقافية في مركز الملك فيصل، واختتمت فعاليات الزيارة بجولة في متحف الفيصل للكتاب والصنائع العربية الإسلامية.

مدينة الربذة ..

بادت ثم عادت.

إعداد: سامي التتر

تعد مدينة الربذة التاريخية من أهم المدن الإسلامية التي تحمل تاريخًا غنيًا بدأ قبل الإسلام وازدهر في عهد الصحابة رضوان الله عليهم، قبل أن تُهجر بعد خرابها على أيدي القرامطة في منتصف عهد الدولة العباسية، وتمحوها آثار الزمن، فظلت معروفة اسمًا وتاريخًا ومجهولة موقعًا لقرون، إلى أن تم الكشف عنها بفضل الله ثم بجهود قسم الآثار والمتاحف بجامعة الملك سعود، حيث استغرق العمل على إعادة اكتشاف هذه المدينة التاريخية أكثر من ٢٥ عامًا.

ترتبط هذه المدينة التاريخية بعدد من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالخليفة أبي بكر الصديق حارب المرتدين الذين كانوا متواجدين في الربذة وما حولها بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وجعلها الخليفة عمر بن الخطاب حِمى لإبل المسلمين وخيولهم، أما الصحابي الأكثر ارتباطًا بالربذة فهو أبو ذر الغفاري رضي الله عنه الذي رحل إليها عام 30 للهجرة، وشيد مسجدًا تاريخيًا فيها، ومات ودفن بها، وتبرز الآثار الموجودة في الربذة جوانب متعددة من تطور الحضارة الإسلامية، كما اشتهرت بكونها مكانًا مفضلًا لعدد من الخلفاء العباسيين وفي مقدمتهم هارون الرشيد وزوجته زبيدة بنت جعفر، وكذلك المهدي وأبو جعفر المنصور.

موقع مميز على طريق الحج والتجارة

تقع الربذة على بعد 200 كلم شرق المدينة المنورة بالقرب من محافظة الحناكية حاليًا، على حافة جبال الحجاز الغربية، ويبعد عنها خط القصيم - المدينة المنورة شمالًا بحوالى 70 كيلومترًا، ويعد موقعها استراتيجيًا ومميزًا على طريق قوافل الحج قديمًا من الكوفة، بالإضافة إلى طرق التجارة إلى العراق والشام ومنهما، كما كانت الأراضي المحيطة بها مكانًا مفضلًا لرعي الإبل والخيول وسقياها عبر بعض الآبار التي تنتشر في المدينة وحولها، بالإضافة إلى مستودعات للمياه وبرك، ومن أشهرها بركة أم سليم، التي تتجلى فيها براعة المعماري المحلي في مجال الهندسة المائية.

ويشير بعض المؤرخين إلى أن الربذة كانت موجودة في العصر الجاهلي قبل الإسلام، وقال عنها بعض الجغرافيين الأوائل إنها من القرى القديمة في الجاهلية، لكنها ازدهرت في العصر الإسلامي لكونها من أهم المحطات الرئيسية على طريق التجارة والحج الذي ربط مكة المكرمة والمدينة المنورة

بالعراق والمشرق الإسلامي.

ولا تُذكر الربـذة إلا ويُذكر معها الصحابي الجليـل أبو ذر الغفاري رضي الله عنه الذي سـكنها في سـنة 30هـ، وتختلف الروايات والمصـادر حول السـبب في رحيلـه إليها، حيـث تشـير بعـض المراجـع إلـى أنـه طلـب مـن الخليفـة الراشـد عثمـان بـن عفـان رضـي الله عنـه الإذن فـي الخـروج مـن المدينـة المنـورة، امتثـالاً لأمر الرسـول صلى الله عليه وسـلم الذي أوصاه بالخروج إذا بلغ البناء سـلعًا، وسلع هـو جبل على حدود المدينـة، ولما تحقق ذلك أذن له عثمان رضي الله عنه بالخروج، فنـزل بالربذة عـام 30 للهجـرة وبنى بها مسجدًا وأقطعه عثمان مجموعة من الإبل وأعطـاه مملوكيـن وأجرى عليـه كل يوم عطاء. ولـم يطل مكث أبـا ذر في الربذة، وهـو الذي قـال عنه رسـول الله صلى الله عليـه وسـلم: «يرحـم الله أبا ذر، يمشـي وحـده، ويمـوت وحـده، ويبعـث وحده»، حيـث وافته المنية عام 32 للهجرة، وتولى دفنـه وغسـله الصحابـي الجليـل عبـدالله بـن مسـعود رضـي الله عنـه حيـث صلـى عليـه ودفنـه فـي تلـك المنطقـة ومعـه سـتة عشـر رجلاً، كانوا قادميـن في قافلة من العراق إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج.

أمـا الدكتـور سـعد الراشـد، أحـد أبـرز المسـاهمين فـي اكتشـاف الربـذة بعـد اندثارهـا، والباحـث في تاريخهـا وآثارها حيـث صنف مؤلفًـا عنها حمـل عنوان (الربـذة صـورة للحضـارة الإسـلامية المبكرة)، فيورد أن أبا ذر الغفاري رضي الله عنـه لـم يختـر الربـذة صدفة، بل كانت هي الموطـن الأصلي له، إذ كان هـو وقومه مـن بني غفار يسـيطرون علـى ملتقى طـرق التجارة إلى الشـام، وقد قال د. الراشـد في محاضرة له في أمسـية ثقافية بمدينة جدة عام 2008 نشـرتها صحيفـة (الجزيـرة): «ولعلنـا نؤكـد على نقطة مهمـة وهو أن نزوح أبـي ذر الغفاري إلى الربـذة واختيارها سـكنًا لـه لم يكـن صدفة، ولـم يكن بسـبب نفيـه مـن المدينة فـي عهد عثمان حسـب روايات بعض المصادر، فقصة إسـلامه المبكرة تـدل على أنه وقومه من بني غفار، وكانوا يسيطرون علـى ملتقى طـرق التجارة إلى الشـام، وتدل الروايـات التاريخية أن أبا ذر بعد إسـلامه وخروجه من عند رسول الله صلى الله عليه وسـلم، أتى إلى المسـجد الحرام وصـرخ بأعلى صوته أنه يشـهد أن لا إله إلا الله وأن محمـدًا رسـول الله، فقام إليه القوم فضربـوه فأكب عليه العباس وقال لهـم (ويلكـم ألسـتم تعلمـون أنـه من غفـار وأنه طريـق تجاركم إلى الشـام) أو أنه قـال: ويلكـم تقتلون رجـلاً من غفار ومتجركـم وممركـم علـى غفـار). ومـن الروايـات التـي تؤكـد صلـة أبـي ذر الغفـاري بالربـذة أنـه كان يحـدث بالمسـجد النبـوي ووقـف مـرة بـباب المسـجد ويقول: أيها النـاس من عرفني فقـد عرفني ومن لم يعرفنـي فأنا أبو ذر الغفـاري، أنا جنـدب بن جنـادة الرَّبذي..)

أواني زجاجية وخزفية من ضمن المعثورات واللقى

جرة عثر عليها في موقع مدينة الربذة

وفـي ضوء هذه الروايات وسـياق إسـلام أبي ذر، نسـتنتج أن الربذة كانت الموطن الأصلي لهـذا الصحابي الجليل وقومه من بنـي غفار، قـال عنهـم النبـي صلى الله عليـه وسـلم: (غفار غفر الله لها! وأسـلم سـالمها الله) وأبو ذر الغفاري أول من حيا النبي بتحية الإسـلام، وهو صاحب القصة المشهورة في غزوة تبوك، وما قاله النبي صلى الله عليه وسـلم فيـه (يرحم الله أبا ذر! يمشـي وحده، ويمـوت وحده، ويبعث وحـده) وورد في الحديـث عن النبي صلى الله عليـه وسـلم قوله: (ما أقلـت الغبراء، ولا أظلـت الخضراء مـن رجل أصدق لهجة مـن أبي ذر) وقد نكتفـي بهذه الإلماحات عن أبي ذر الغفاري ومكانته بين الصحابة وصلته بالربذة».

وتذكـر المراجـع التاريخيـة أن الخليفة أبا بكـر الصديق رضـي الله عنه حارب المرتديـن في الربذة، حيث قال ياقوت الحموي: «أبرَقُ الربذَة: بالتحريك والذال معجمـة. موضـع كانت بـه وقعة بين أهل الـردة وأبـي بكـر الصديق رضي الله عنه»، وذكر في كتاب الفتوح «كان من منازل بني ذبيان فغلبهم عليه أبو بكـر رضـي الله عنه لما ارتـدوا وجعله حمى لخيول المسـلمين»، لكن مصادر أخـرى أجمعت على أن الخليفة عمر بن الخطـاب رضـي الله عنـه كان أول من جعل الربذة حمىً لإبـل الصدقة وخيل المسلمين.

كما سـكن الربـذة عدد مـن الصحابة والشخصيات التاريخية، ذكرت المصادر التاريخية منهـم الصحابي الجليل عتبة بن غزوان الذي اختط البصرة زمن عمر

بن الخطاب، فقد مات بالربذة سنة 17هـ، والصحابي محمد بن مسلمة بن سلمة بن خالد بن عدي بن مجدعة، أحد من شهد معركة بدر وباقي المواقع الحربية، فقد اعتزل الفتنة زمن عثمان بن عفان وسكن الربذة بضع سنين ومات بالمدينة سنة 43هـ، وسكن الربذة ومات فيها ودفن عاصم بن عمر بن الخطاب المتوفى سنة 70هـ، وعاش في الربذة الصحابي سلمة بن الأكوع الذي تزوج فيها وأنجب أولادًا وتوفي بالمدينة سنة 74هـ. وينسب إلى الربذة عدد من رواة الحديث ومنهم موسى بن عبيدة بن نشيط الربذي وأخواه محمد وعبدالله، وقد توفي موسى ودفن بالربذة سنة 153هـ، وكان إبراهيم بن حمزة بن مصعب بن الزبير بن العوام يأتي الربذة كثيرًا ويقيم فيها ويتجر بها وقد توفي إبراهيم بالمدينة المنورة سنة 230هـ، أما يحيى بن أكثم، قاضي القضاة زمن الخليفة المتوكل، فقد توفي بالربذة سنة 242هـ، وذكرت بعض المصادر أن عالم النحو يحيى بن زياد الشهير بالفرّاء توفي عام 207هـ في طريق الحج، وهناك العديد من النقوش المنحوتة على واجهة صخرية في جبل سنام القريب من الربذة، يتكرر فيها اسم يحيى بن زياد.

ازدهار ثم اندثار

كانت الربذة من الأماكن المحببة لخلفاء الدولة العباسية الذين اعتنوا بإصلاحها وأقاموا فيها بعض المشاريع الخيرية نظرًا لموقعها الاستراتيجي وأهميتها على طريق الحج بين العراق والحرمين الشريفين، وبلغت ذروة ازدهارها في عهد هارون الرشيد الذي حج تسع مرات خلال فترة خلافته، وفي ذلك الوقت كانت القافلة الواحدة للحجاج القادمين من العراق والمشرق الإسلامي تصل إلى أكثر من عشرين ألفًا من الجمال، وكان الحجاج يقصدون مكة أفرادًا أو جماعات، وكذلك في عهد المهدي بعد أن أصبح حمى الربذة مشاعًا للمسلمين وليس مقتصرًا على إبل وخيل الدولة.

وكانت نهاية الربذة على يد القرامطة الذين هاجموا مكة المكرمة واستباحوا حرمتها قتلًا وتشريدًا عام 317هـ، ولم يكتفوا بذلك بل هاجموا طرق الحجاج بضراوة ووحشية، وفي عام 319هـ تحولت الربذة إلى خراب على أيدي القرامطة فرحل عنها أهلها لتنتهي قصة مدينة كانت من أهم المدن على طريق الحج. وقال الحموي عن ذلك: «وفي سنة 319 هـ خربت الربذة باتصال الحروب بين أهلها وبين ضرية ثم استأمن أهل ضرية إلى القرامطة فاستنجدوهم عليهم فارتحل عن الربذة أهلها فخربت وكانت من أحسن منزل في طريق مكة».

مسجد الصحابي أبي ذر الغفاري رضي الله عنه

إعادة اكتشاف الربذة

قبل عشرات السنين بدأت بعض آثار مدينة الربذة تظهر مجددًا بعد اختفائها لعدة قرون، ثم أخذت معالمها في الظهور على سطح الأرض إثر عمليات بحث وتنقيب ودراسات قام بها فريق من جامعة الملك سعود، أبرزهم الدكتور سعد الراشد الذي أوضح في إحدى محاضراته بجامعة الملك سعود: «مهدت الدراسات الأولية عن موقع الربذة للبدء في أعمال البحث والتنقيب والكشف عن حضارة هذه المدينة من جهة، ومن جهة أخرى تدريب طلاب قسم الآثار والمتاحف، على أعمال التنقيب تحت إشراف أساتذة مختصين، وقد بدأ الموسم الأول للحفريات الأثرية خلال الفترة من (7 جمادى الثانية إلى 6 رجب 1399هـ الموافق 3-3مايو 1979م)، ثم توالت أعمال التنقيبات حتى اكتمال الموسم الخامس والعشرين للعام 1423هـ 1424-هـ وتم خلال هذه المواسم الكشف عن بقايا المنشآت البنائية والظواهر المعمارية المتنوعة والتي تشكلت من آثار المساجد والمنازل والقصور المحاطة بأسوار وجدران سميكة المدعمة بأبراج دائرية ونصف دائرية من الخارج وعلى المداخل، ومرافق الخدمات من خزانات مياه محفورة ومبنية تحت أرضيات الغرف والتنانير والأفران المخصصة للطبخ والتصنيع وخزائن الحبوب وقنوات المجاري وغير ذلك من المرافق».

المكتشفات المعمارية والمرافق والمعثورات الأثرية

كشفت دراسة علمية على هامش ملتقى آثار المملكة الأول عام 1439هـ، أن موقع الربذة كان من أهم المراكز الحضارية والتجارية، إذ كشفت نتائج العمل الأثريّ في الموقع عن موادَّ أثرية متنوِّعة في مجالات الفنون الإسلامية ذات قِيمَة فكرية وفنية عالية، ومن أبرز ما اكتشف فيها:

- القصور والمنازل: حيث تميزت بثراء فني وزخرفي ومن أبرزها القصر الواقع في شرق الربذة وله بوابة شمالية يحميه برج في الركن الشمالي الشرقي، وهو سداسي الأضلاع، وقصر آخر عبارة عن كتلة معمارية ذات تصميم مميز على شكل حذوتي فرس متداخلتين وغير متساويتين، وتتكون جدران المبنى من سبعة أضلاع مدعومة بسبعة أبراج ركنية، وهو مزود بالمقومات الأساسية للمرافق الخدمية. كما عثر في الجهة الجنوبية على حي متكامل الخدمات بوجود مستودعات حفظ المياه وأفران الطبخ والصناعات بالإضافة إلى سور يحمي هذا الحي وبئر للمياه في الطرف الجنوبي الغربي للسور ومسجد في الجبهة الجنوبية منه.

- سوق المدينة: ويوجد به عشرات من خزانات المياه المتقاربة وأفران الطبخ والمواقد لتحضير الأطعمة ومستودعات حفظ الحبوب وأماكن صهر بعض أنواع المعادن، حيث عثر على بعض القطع التالفة من قوارير وأنابيب وبوتقات عليها علامات الصهر.

- المساجد: حيث عثر على عدة مساجد أهمها المسجد الجامع في الجهة الغربية من الربذة، ولعله مسجد الصحابي أبي ذر الغفاري الذي اختطه بنفسه، ويمتاز بتخطيطه المعماري المتطور ومساحته الكبيرة حيث يستوعب 600 مصل تقريبًا. وتم الكشف عن مسجد آخر في الحي السكني السالف ذكره، وهو أصغر من المسجد الجامع لكنه يتميز بجماله المعماري وتخطيطه.

- المنشآت المائية: أبرز ما تتميز به الربذة هو تصميم مستودعات لحفظ المياه (خزانات) بنيت تحت مستوى أرضيات الغرف والساحات الداخلية والممرات وفي كل الوحدات السكنية، وبنيت هذه الخزانات بطريقة هندسية بديعة، حيث كانت تعتمد على مياه الآبار والسيول، ووجد بها حوالي 12 عشر بئرًا، فيما وصل عدد الخزانات المكتشفة ما يقارب مائتي خزان.

- اللقى والمعثورات الأثرية: تعددت المكتشفات واللقى الأثرية في المنطقة المحيطة بالربذة، وتعد الكتابات والنقوش الصخرية على المرتفعات والنتوءات الصخرية من الدلائل الأثرية المهمة على الاستقرار السكاني بالربذة أو القادمين إليها، منها ما عثر عليه في جبل سنام أحد المعالم الجغرافية المهمة شمال الربذة. وشملت المعثورات التي تم اكتشافها المسكوكات والأواني الفخارية والخزفية، والأدوات والأواني الحجرية، والصناعات المعدنية، والأدوات الخشبية والزجاج والحلي وأدوات الزينة.

وهناك نقوش اكتشفت في جبل الربذة إلى الغرب من المدينة السكنية اشتملت على أدعية مأثورة بطلب المغفرة والرحمة، كما تم العثور على نصوص كتابية على ألواح العظام وهي عبارة عن إيصالات تجارية وعلى بعضها أسماء للمكاييل والموازين كالمد والكيلة والرطل والمكوك، إضافة إلى العثور على كسر فخارية وخزفية عليها

قطعة نقدية تم اكتشافها بالربذة

بقايا كتابات متطورة من الفترة العباسية، ويبدو أن الجرار التي عليها نصوص كتابية كانت معدة من قبل الخلفاء وأمراء بني العباس لسقاية الحجاج والمسافرين.

وأوضح د. سعد الراشد في إحدى محاضراته: «من الدراسات المبدئية لهذه المعثورات تبين لنا أن الربذة كانت على درجة عالية من الحيوية من حيث تنوع الصناعات، وبالأخص الأدوات الفخارية والخزفية والحجرية والزجاجية، فقد تم العثور على أوان كاملة من الجرار والأطباق والأكواب والقوارير، أما الكسر من مختلف الأواني فهي كثيرة ومتنوعة، وعليها عناصر زخرفية بديعة تدل على دقة الصناعات وخبرة الصناع ومقدرتهم وملكتهم في الحرف والصناعات، وقد أعطتنا هذه المكتشفات دلالة واضحة عن الفترة الزمنية التي شهدتها الربذة خلال ثلاثة قرون وأكثر من تاريخها، ومن هذه المعثورات ما هو مصنوع محليًا في الربذة ذاتها، وتأتي القطع النقدية المكتشفة لتعطي دلالة واضحة على الثراء الاقتصادي للربذة فقد عثر على دنانير ذهبية ودراهم نحاسية وفلوس نحاسية عليها أسماء الخلفاء والوزراء، تحمل عددًا من مدن الضرب الإسلامية مثل مكة والكوفة وبلخ وكرمان ومدينة السلام. وتتراوح السنوات التي تعود لها المسكوكات المكتشفة إلى عصر صدر الإسلام وإلى الفترة الأموية والخلافة العباسية في عصورها الزاهية، ومن الخلفاء الذين وردت أسماؤهم على النقود المكتشفة أو تتوافق تواريخ سك العملة مع فترات حكمهم الخلفاء: الوليد بن عبدالملك، وأبو جعفر المنصور،

بعض الأواني والأدوات التي عثر عليها

وهارون الرشيد، والمعتضد بالله وغيرهم»، وكثير من هذه المعثورات الأثرية معروض الآن في متحف قسم الآثار والمتاحف في جامعة الملك سعود.

إعادة الحمى في عهد الملك عبدالعزيز

أشار الكاتب والباحث علي حافظ في كتابه (الرحلة الثمينة إلى حمى المدينة) أن الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه أعاد خلال مرحلة توحيد البلاد استخدام الحمى (حمى الربذة) وتوسعة مساحته لحدود أبعد عما كانت عليه في العصر العباسي، خصوصًا من الجهة الشمالية والغربية، وكان الحمى يشرف على إدارته وكيل إمارة المدينة المنورة، وترعى فيه الإبل والخيول والمواشي الخاصة بالملك عبد العزيز ونائبه في الحجاز (الأمير فيصل)، ووكيل إمارة المدينة المنورة (عبد العزيز بن إبراهيم)، ووزير المالية (عبد الله بن سليمان)، وعلى هذا الأساس كان الحمى موزعًا إلى أربعة أقسام ولكل قسم مدير ورعاة، يحافظون على الإبل والخيول والمواشي التي ترعى فيه.

أما الكاتب والباحث علي بن ثابت العمري فقد ألف كتابًا بعنوان (النبذة في ترجمة أبي ذر والربذة) وأورد فيه أن حمى الربذة ظل مستخدمًا في عهد الملك عبد العزيز نحو عشرين عامًا، ومع تحسن المواصلات ودخول وسائل النقل العصرية ودخول السيارات والشاحنات الكبيرة لنقل المسافرين، انتفت حاجة الدولة للإبل فأُعلن عن إباحة الحمى عام 1365هـ لعامة الناس، وأمر الملك عبد العزيز بأن يترك كل مكان لأهله لينتفعوا به.

المقال

يوم خالد في مسيرة جامعة الملك خالد.

أ.د. أحمد بن عمر آل عقيل الزيلعي

@Alzilay2

الباعث على كتابة هذه المقالة القصيرة تلك الفرحة الغامرة التي غمرت أصدقائي وزملائي في قسم التاريخ والآثار بجامعة الملك خالد, ومقرها أبها بمنطقة عسير, حينما تلقّوا ثلاث شهادات متتالية من هيئة تقويم التعليم والتدريب بالمركز الوطني للتقويم والاعتماد الأكاديمي, متضمّنة الاعتماد الكامل لبرامج قسمهم في مراحلة الثلاث: البكالوريوس في المدّة من نوفمبر 25 – نوفمبر 2028م, والماجستير في المدّة من يناير 2026 – أكتوبر 2029, والدكتوراه في الفلسفة في المدّة من إبريل 2025 – مارس 2027م. فعادت بي الذاكرة إلى زمن كان فيه هذا القسم موزّعًا ومشتّتًا بين كليّتين جامعيتين على مفترق طرق, إحداهما: كليّة التربية, وتتبع جامعة الملك سعود في الرياض, والثانية: كليّة اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية, وتتبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض أيضًا. وكانت هاتان الكليتان مع كليّتين أُخْرَيَيْن هما: كليّة الطب, وتتبع جامعة الملك سعود, وكلية الشريعة وأصول الدين, وتتبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية, هي الأساس الذي بُني عليه صرح جامعة الملك خالد الشامخ. وكان فيها من الطلاب وربما من الطالبات مع كليّات أخرى في المنطقة تخص المعلمين والمعلمات والعلوم الصحية ما يكفي لتأسيس جامعتين معتبرتين, وذلك لما عُرف عن الكثافة السكانيّة التي تتمتّع بها منطقة عسير والمناطق المجاورة لها. وهذا ما تنبّهت له قيادتنا الرشيدة حفظها الله, فسارعت إلى لمّ هذا الشتات من الكليّات والأقسام العلميّة في يوم خالد من أيّامها التي يُسجّلها لها التاريخ في صحائفه الخالدة بأحرف من ذهب , وأحمد الله أنني كنت أحد شهود عصْرِه, ورواة دَهْرِه, ذلكم هو يوم إعلان تأسيس جامعة الملك خالد, ووضع حجر الأساس لحرمها الجامعي على يد خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز رحمه الله حينما كان وليًا للعهد, ونائبًا لرئيس مجلس الوزراء ورئيسًا للحرس الوطني . كان يومًا ربيعيًا مشهودًا هو التاسع من شهر محرم الحرام عام 1419هـ الموافق للخامس من شهر مايو (أيار) عام 1998م حينما أقلّتنا من مطار الرياض طائرة خاصّة بمن فينا أعضاء مجلس الجامعة, وأعضاء المجلس العلمي الذي كان كاتب هذه الأسطر أحد أعضائه, يتقدّمنا مدير الجامعة – حينذاك – أ.د. عبدالله الفيصل, ووكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي أ.د. خالد الحمودي, وهو من كنت أجلس بجانبه في أثناء الرحلة على النافذة من على يمين الطائرة, وكان كلّ من في الطائرة فرحًا ومبتهجًا بحضور تلك الاحتفاليّة التاريخيّة الخالدة التي دُعينا جميعًا لحضورها بمناسبة ما أشرت إليه سابقًا من إعلان تأسيس جامعة الملك خالد, ووضع حجر الأساس لحرمها الجامعي. ومما أسرّ به إليّ سعادة الدكتور خالد الحمودي وأنا بجانبه على ظهر الطائرة أن الجامعة الجديدة التي سيُعلن عن تأسيسها ذلك اليوم في منطقة عسير, سيُطلق عليها اسم: جامعة الأمير عبدالله بن عبدالعزيز, وذلك طبقًا للأمر السامي الصادر بتأسيسها. وما أن حطّت بنا الطائرة في مطار أبها حتى أَلْفَيْنَا في ساحة المطار حافلات فارهة تنتظرنا هناك, لكي تقلّنا إلى حيث مكان الاحتفال الذي أقيم في ميدان فسيح تحيط به الخُضْرَة والنُّظْرَة, وتزيّنيه البَيَارِق

الملوّنة, ولوحات الترحيب والحبّ والولاء, ويتصدّره سرادق أنيق متّسع يأخذ بعضه بأطراف بعض ليطلّ بواجهة مفتوحة على ميدان الاحتفال, حيث يجلس تحت ظلّه جمع غفير من الضيوف يتوسّطهم راعي الحفل صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني قبل أن يكون ملكا للبلاد رحمه الله, وعن يمين سموه ويساره ومن خلفه يجلس كبار الحضور من مدنيين وعسكرين وأعيان المنطقة يتقدّمهم أميرها صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز, وأمام الحضور وغير بعيد من جلوس راعي الحفل رحمه الله نُصِبَت منصّة الحفل فوق بساط من أفخر أنواع السجاد وأجمله, وفي الجهة المقابلة صفوف متراصّة لرجال من مختلف الأعمار يؤدون رقصات شعبيّة رائعة على قرع الطبول والأزيار المصحوبة بجميل الأناشيد, والطروق العسيريّة المميّزة.

كان الجو ربيعيًا, والهواء منعشًا, والسماء غائمة, والفرح والسرور يسود المكان, ويعلو كل وجه. في تلك الأجواء الجميلة المنعشة انطلقت وقائع الحفل الذي كان بهيجًا حقًا, وفي ختامه أعلن معالي وزير التعليم العالي الدكتور خالد العنقري صدور الأمر السامي الكريم من لدن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز (رحمه الله) القاضي بدمج فرعي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة, وجامعة الملك سعود في أبها في جامعة واحدة جديدة تحت اسم: جامعة الأمير عبدالله بن عبدالعزيز. وما كاد الجميع يصفّق حتى قفز الملك عبدالله (رحمه الله) من مكانه, واعتلى المنبر بقامته الفارعة, وابتسامته المعهوده, وشخصيّته المتكاملة, وقال: «بسم الله الرحمن الرحيم. لخالد بن عبدالعزيز آل سعود في نفوسنا جميعًا مكانة مميزة لذلك أعلن تسمية هذه الجامعة باسمه بدلًا من اسمي» فتعالى التصفيق والهتافات إعجابًا بشهامة الملك عبدالله ومرؤته ونُبْلِه, وحبّه لإخوانه الملوك الذين سبقوه, ثم وضع سموه حجر الأساس لهذه الجامعة الجديدة المتجدّدة التي ما لبثت أن شبّت عن الطوق, وكبرت ونمت وتوسّعت, وخرّجت علماء أفذاذ في كل فنّ من فنون المعرفة البشريّة, وخرج من رحمها ثلاث جامعات فتيّة هي: جامعة جازان, وجامعة نجران, وجامعة بيشة, وكليّات أخرى متخصّصة في بعض محافظاتها, دون أن يؤثّر ذلك في مسيرتها, أو يحدّ من نموها وتوسّعها, فهي شامخة شموخ جبالها الشُّمّ, وكبيرة كبر هِمَم من هم تحت مظلتها من الأكاديميّين والإداريّين والتلامذة, ومن يزر موقعها في الوقت الحاضر يلحظ أنها تضمّ 26 كليّة معتمدة وموزعة على 27 مقرًا جامعيًا, ويبلغ عدد الدارسين فيها 61.708 طالبًا وطالبة, وعدد أعضاء هيئتها التدريسية 3.136 رجالًا ونساءًا, وعدد العاملين فيها بنين وبنات 2.126 فردًا, فهي من الجامعات الكبيرة الناهضة في بلادنا, وفقها الله, وأعانها على النهوض برسالتها وأهدافها على أكمل وجه, ووفّق جميع العاملين فيها وسدّدهم إلى ما فيه الخير والصلاح لهم ولجامعتهم ومجتمعها وللوطن بعامة.

رجل الأعمال عبد الفتاح العقوري مدير عام شركة ركن الوسائط للاتصالات..

10 أعوام من الإنجازات الاستثنائية تم فيها توسيع الاقتصاد وزيادة الاستثمار وتوفير الوظائف للمواطنين.

*نؤمن أن القطاع الخاص شريك رئيسي في تحقيق الرؤية.

حوار: محمد الحماد

* بمناسبة مرور ١٠ أعوام على رؤية المملكة ٢٠٣٠ رجل الأعمال عبد الفتاح العقوري مدير عام شركة ركن الوسائط للاتصالات، صرح سعادته بهذه المناسبة العظيمة قائلاً لـ «اليمامة»: رؤية ٢٠٣٠ تعيد صياغة الاقتصاد السعودي إلى اقتصاد راسخ يقوم على المبادرة والكفاءة والمنافسة.

وقال العقوري حين انطلقت رؤية المملكة ٢٠٣٠ قبل ١٠ سنوات كان الاقتصاد السعودي يعتمد بصورة كبيرة على العائدات النفطية التي شكلت لعقود ما بين ٧٠ إلى ٨٠ في المائة من الإيرادات العامة. فيما كان القطاع الحكومي يستوعب الأكبر من القوى العاملة العظيمة في ذلك الوقت لم تكن التحديات رقمية أو تقنية فحسب بل كانت مرتبطة ببنية اقتصادية كاملة تقوم على نمط ربحي تقليدي تتحدد فيه فرص العمل وفق قدرة الدولة على التوظيف وفق ديناميكية السوق وقدرته على خلق القمة. اليوم وبعد ١٠ سنوات من الإصلاحات الهيكلية تكشف المؤشرات أن التحول تجاوز الإطار النظري إلى نتائج ملموسة. فقد ارتفعت مساهمة الأنشطة غير النفطية في الناتج المحلي الإجمالي إلى ما يقارب ٥٠ في المائة. فيما سجل الناتج غير النفطي معدلات نمو متسارعة من أعوام متتالية. كما ارتفعت مساهمة القطاع

شركة
ركن الوسائط للإتصالات

الخاص في الاقتصاد تدريجياً في وقت شهدت فيه الاستثمارات الأجنبية المباشرة نموذجاً ملحوظاً مقارنة بما كانت عليه قبل انطلاق الرؤية ٢٠٣٠ المباركة. أما في سوق العمل فقد تراجع معدل البطالة بين السعوديين إلى أدنى مستوياته منذ بدء الاصلاحات مسجلاً أرقاماً أحادية بعد أن كان يتجاوز ١٢ في المائة في السنوات الماضية. وارتفعت مشاركة المرأة في سوق العمل إلى ما يفوق ٣٥ في المائة بعد أن كانت دون ٢٠ في المائة قبل أعوام قليلة. وهو تغير لم يكن رقمياً فقط. بل اجتماعياً وثقافياً أيضاً، كما تضاعف عدد المنشآت الصغيرة والمتوسطة وارتفعت مساهمتها في الناتج المحلي تدريجياً في ظل برامج تمويل وتمكين وتنظيم عززت حضورها في السوق. هذه الأرقام على أهميتها لا تعكس وحدها جوهر التحول فكل نسبة نمو وكل انخفاض في البطالة تقف تحولات غير مرئية تتصل بعقلية العمل ومفهوم الوظيفة وطبيعة العلاقة بين الفرد والاقتصاد. لقد تغير السؤال متى «أين أتوظف؟» إلى «ماذا أستطيع أن أقدم؟». ومن انتظار الفرصة إلى صناعتها. وفي ذكرى مرور ١٠ سنوات على انطلاق الرؤية تبدو قراءة هذا التحول الذهني ضرورة لفهم المسار الكامل للإصلاح حيث لم يكن الهدف إعادة توزيع الموارد فحسب بل إعادة تشكيل ثقافة الانتاج وترسيخ اقتصاد يقوم على المبادرة والكفاءة والمنافسة.

* وقال العقوري أن ولي العهد حفظه الله شخصية قيادية أبهرت العالم. والمملكة قوة متنامية تعيد صياغة ملامح الاقتصاد والسياسة الخارجية السعودية.

رجل الأعمال عبد الفتاح العقوري مدير عام شركة ركن الوسائط للاتصالات

المجلس

بعض ملامح الحركة الثقافية في المنطقة الشرقية في السبعينيات الهجرية (2-4).

د. عبدالعزيز بن صالح بن سلمة

المدينة المنورة

سمو ولي العهد المعظم يقرر جعل الدمام
مقر الامارة بدل الاحساء ، ويأمر بتأسيس مدرسة صناعية لالف شخص

الظهران – برقياً من الاستاذ عبد الله المنيعي | الى حيز الوجود ان شاء الله ولاشك ان هذه الخطوة المباركة اثرها | وامر شركة الزيت العربية ان تضع تحت تصرفهم جميع المعلومات | الى حيز الوجود وهذه خطوة لها اثرها الفعال في سد العجز والنقص

العنوان الرئيس لصحيفة « المدينة » عن قرار ولي العهد الأمير سعود بن عبد العزيز بجعل مدينة الدمام مقراً لإمارة المنطقة الشرقية. العدد 470، في 20 جمادى الثانية 1372 هـ الموافق 5 فبراير 1953 م.

هنالك عدد من العوامل التي يسرت تسارع نشاط الحركة الثقافية في المنطقة الشرقية- بالمعنى الشامل للكلمة- منذ مطلع السبعينيات الهجرية- الخمسينيات الميلادية-؛ لا بد من التطرق إليها سريعاً قبل الحديث عن بعض مظاهر النشاط الإعلامي والثقافي؛ تضاف إلى وجود نواة ثقافية تقليدية عريقة في الأحساء والقطيف، وأوردها هنا ليس من حيث الأهمية، بل من حيث الترتيب الزمني: العامل الأول- ويتطلب الأمر بعض الإطالة في الحديث عنه- هو قرب البحرين الجغرافي التي ترتبط معها المنطقة الشرقية بروابط تجارية واقتصادية كبيرة، وكذلك بروابط اجتماعية، فضلاً عن قوة العلاقة بين الحكام المتعاقبين في البلدين. وفي البحرين صدرت عدد من المجلات والصحف بين عامي 1369 و1355 هـ، أسهمت في إثراء الحياة الثقافية وسدت فراغاً في المنطقة، واتسمت بطابعها الحي النشط- والساخن سياسياً- والمنفتح انفتاحاً ايجابياً على المملكة، والمرحب بمشاركات المثقفين السعوديين بالكتابة فيها. وإضافة إلى المجلة الكبرى والرائدة في المنطقة والبارزة في العالم العربي- مجلة "صوت البحرين" الشهرية- التي صدرت بين عامي 1950 و1955 م، صدرت صحف أسبوعية مهمة وهي- على التوالي- "القافلة" الأسبوعية التي أصدرها الصحفيان البحرينيان الكبيران علي سيار ومحمود المردي، والتي حلت محلها بعد ايقافها صحيفة "الوطن" الأسبوعية، وصحيفة "الخميلة" الأسبوعية الأدبية التي أصدرها الصحفي الأرمني كارنيك جورج ميناسيان، و"الميزان" التي أصدرها عبدالله الوزان، و"الشعلة" التي أصدرها محمود المردي وأوقفت بعد صدور العدد الأول. وقد كانت تلك الصحف والمجلات تحظى بدعم كبير من المعلنين من كبار تجار البحرين، مثل عبدالرحمن القصيبي- وكيل المملكة في البحرين- وعبدالرحمن الزياني وخليل وأحمد كانو وحسين يتيم وغيرهم، وكذلك من عدد من الشركات البريطانية المنتجة لمختلف السلع.

وكل تلك الدوريات أوقفت من قبل حكومة البحرين بتوجيه من المستشار البريطاني تشارلز بلغريف؛ على أثر الاضراب الشامل الذي شمل البحرين قرابة ستة أشهر عام 1956 م، وغادر محمود المردي وعلي سيار بسبب تبعاته البحرين، واستقرا في الخبر حيث عمل الأول فيها قرابة عشر سنوات والثاني قرابة سبع سنوات. ويضاف إلى تلك الدوريات وجود إذاعة البحرين التي أسسها البريطانيون في بداية الحرب العالمية الثانية لخدمة أغراضهم الدعائية، والتي كانت تبث ساعتين في اليوم، منذ تأسيسها وحتى عام 1958 م. وتقول عنها مجلة "صوت البحرين"- العدد الأول من السنة الأولى- ذو القعدة 1369 هـ: "أثناء الحرب العالمية الثانية، أسدت القوات البريطانية الحليفة خدمة كبرى بإقامة الإذاعة اللاسلكية. وطبيعي أن الغرض الأول منها قد كان الدعاية لقواتها المحاربة. ولكننا لا نستطيع أن ننكر أن برامجها كانت مسلية ومقبولة وأنها لم تقتصر

الملك سعود «رحمه الله» واقفاً يحيي الجمهور المرحب به خلال سير موكبه في الظهران في جمادى الثانية 1373 هـ ـ يناير 1954 م ـ وبرفقته ـ جلوساً ـ أمير المنطقة الشرقية سعود بن جلوي.(مكتبة شركة أرامكو بالظهران).

على الدعاية الجافة السافرة بل قدمت معها أحاديث شيقة تتناول نواحي الأدب والاجتماع وبرامج طريفة في التمثيل والغناء... وقد كنا نتمنى للقوات الحليفة، وقد ثبتت لها صداقة البحرين وتأييدها للديمقراطية حكومة وشعباً ان تتبرع بدار الإذاعة لحكومة البحرين لتواصل السير بها في خدمة الجمهور...". وفي العدد الحادي عشر من السنة الثانية- في ذي القعدة 1371 هـ- سؤال لقارئ عن سبب توقف إذاعة البحرين وجواب المجلة على ما وصفته بالسؤال الحائر، وعلقت على عدم استجابة الحكومة لرغبات الألوف من أهل البحرين رغم استعدادهم لدفع الضرائب على أجهزة الراديو لتغطية تكاليفها. وتكرر السؤال عن سبب استمرار توقف إذاعة البحرين في أعداد لاحقة. ولم تعاود تلك الإذاعة البث إلا في نهاية عام 1956 م، في وقت لم تكن فيه إذاعة المملكة التي افتتحت عام 1369 م مسموعة في المنطقة الشرقية.

ويضاف إلى ذلك وجود عدد من النوادي الثقافية النشطة في البحرين، وأبرزها نادي البحرين- النادي الأدبي سابقاً والذي أسس عام 1922 م، وكان من ضمن مؤسسيه الشيخ حافظ وهبة سفير المملكة لدى بريطانيا في الخمسينيات الميلادية- ونادي العروبة الثقافي- أسس عام 1939 م- والنادي الأهلي. وكلها حظيت بدعم مالي سخي من الملك سعود- حينما كان ولياً للعهد وبعد توليه الحكم-، إذ يجد القارئ في أعداد متفرقة من تلك الصحف إعلانات شكر من تلك الأندية؛ ومن ضمنها إعلان بارز نشره النادي في العدد الثامن من صحيفة "القافلة" - في 28/5/1372 هـ، الموافق 13/2/1953 م- يقدم فيه "أسمى آيات الشكر والامتنان – لولي العهد الأمير سعود بن عبدالعزيز- على منحته المالية الكريمة بتقديمه عشرين ألف روبية لإنعاش النادي وعلى هداياه الغالية لستة من الأعضاء...". وكل تلك النوادي كانت تقام فيها محاضرات عامة وأمسيات الشعرية وتعرض فيها أفلام سينمائية، بالإضافة إلى ما يعرض في عدد من دور السينما في البحرين.

العامل الثاني هو وجود شركة الزيت العربية الأمريكية- أرامكو- تلك الشركة العملاقة، التي تمثل واحدة من أنجح الشراكات الاقتصادية الكبرى في العالم بين دولتين، والتي أصبح لأنشطتها أثر ملموس في مختلف جوانب الحياة في المملكة، والتي- كذلك- اجتذبت عشرات الآلاف من مختلف أبناء المملكة للعمل فيها وفي حقولها ومرافقها. وسيفرد لها الجزء الرابع من هذه المقالات. وبحكم أن هذا الجزء يتعلق بالمكتبات العامة والتجارية فأكتفي بإيراد ما نشرته "صوت البحرين" في العدد الثامن من السنة الرابعة- شوال 1373 هـ، يونيو 1954 م- بقلم "القراء العرب في شركة أرامكو"، والذي قالوا فيه: "لقد فتحت أرامكو في جميع مناطق حقول النفط مكتبات أدبية حسبما يفرض عليها نظام الحكومة؛ ضَمَّت بين

جدرانها بعض المؤلفات الأدبية على مختلف مذاهبها واتجاهاتها، وزودتها بمختلف المجلات والجرائد... لكن الذي يوجب عتبنا على أرامكو هو نقص المكتبات من مجلة صوت البحرين وجريدة القافلة، إننا نستغرب ولنا الحق في ذلك! فجرائد ومجلات جارتنا الحبيبة لا تدخل تلك المكتبات لماذا؟ هل لأنها تعالج أوضاع واقعنا العربي بصراحة ؟...".

ثالثاً، ميناء الدمام الذي انتهي من إنشائه في أوائل عام 1369 هـ، وبدئ في تفريغ حمولات السفن فيه في 26/4/1369 هـ، الموافق 14/2/1950 م، حسبما ذكرت صحيفة "البلاد السعودية"، في تحقيق نشر في عدد خاص عن المملكة، صدر في ذي الحجة 1371 هـ، الموافق لشهر أغسطس 1952 م. وأصبح هذا الميناء مصدر جذب للكثير من الشركات والمؤسسات في الدمام وافتتحت شركات سعودية تقع مقراتها في جدة والرياض فروعاً لها في الدمام، مُشَجِّعةً بتوسع النشاط الاقتصادي الذي حفزه وجود الميناء. وقد أجريت على ميناء الدمام عملية توسعة وتطوير كبيرة نفذتها شركة براون الهندسية العالمية وافتتحها الملك سعود في حفل رسمي كبير في ربيع الأول 1381 هـ، الموافق لشهر أغسطس 1961 م، وفي خلال ذلك الحفل أصدر جلالته أمراً بتسميته بميناء الملك عبدالعزيز.

العامل الرابع سكة حديد الدمام الرياض لنقل الركاب والبضائع، والتي افتتحها الملك عبدالعزيز رسمياً في 19/1/1371 هـ، الموافق 20/10/1951 م في حفل كبير في مدينة الرياض، وتبعاً لذلك إنشاء المؤسسة العامة للسكك الحديد في الدمام. ومما لا شك فيه أنه كان لهذا المشروع الحيوي الذي أمر جلالة الملك عبدالعزيز بإنجازه وتابع- رحمه الله- مراحل تنفيذه شخصياً أثر كبير في التواصل بين الرياض ووسط المملكة مع المنطقة الشرقية (انظر التحقيق المصور في صحيفة "عرفات" عن "سكك حديد المملكة..."، العدد 28، في 11/1/1378 هـ، الموافق 28/7/1958 م). وذلك في وقت كانت فيه الطرق البرية بين الرياض والدمام والأحساء والظهران والدمام والقطيف شبه بدائية. طريق الظهران الدمام انجز في رمضان 1371 هـ، الموافق ليونيو، وطريق الدمام الرياض انتهي من العمل في نهاية عام 1380 هـ، الموافق لشهر مايو 1961 م (انظر "أخبار الظهران"، "طريق الرياض- الدمام ونتائجه الطيبة"، العدد 57، 5/2/1381 هـ، الموافق 18/6/1961 م). ومع ذلك كانت الطرق بين الرياض والدمام، والظهران والدمام والخبر وسوء سفلتتها آنذاك محل شكوى الصحف، وقد خصتها صحيفة "الخليج العربي" التي كانت تصدر في الدمام بافتتاحية في العدد 6، في 16/3/1378 هـ، الموافق 30/9/1958". ومن جانبه علق عبدالعزيز مؤمنة في زاويته الأسبوعية في الصحيفة نفسها- العدد 96، في 28/1/1380 هـ، الموافق 21/7/1960 م على موضوع الطرق تعليقاً طويلاً ورد فيه: "وقد فرح الشعب كثيراً بربط الرياض بالمنطقة الشرقية، وكذلك بتعبيد الطريق من الرياض إلى الخريس (خريص) حيث تنتهي نقطة تعبيد أرامكو والتي يبلغ طولها بالكيلومترات بين الظهران- خريس 300 كيلومتراً، ولكن.. إن بلادنا تنتج الأسفلت والأيدي العاملة في بلادنا ليست منعدمة، وتكاليفها ليست مرتفعة بالنسبة لمستوى المعيشة، فلماذا لا تزال الطرق عندنا بدائية على حالتها منذ عهد الجمال والحمير؟ ...".

وبالأهمية نفسها يأتي مطار الظهران الذي بدأ الخدمة بعد عام 1946 م، وهذا المطار وميناء الدمام في مرحلته الأولى أنشأتهما شركة المقاولات الامريكية الدولية "بكتل Bechtel"، التي نفذت عدة مشاريع حيوية في المنطقة ومن ضمنها مقر شركة أرامكو بالظهران. وأصبح هذا المطار منذ النصف الثاني من الستينيات الهجرية يستقبل طائرات خاصة بشركة أرامكو من أمريكا ورحلات الخطوط السعودية ورحلات عدد من شركات الطيران العربية وخصوصاً طيران الشرق الأوسط اللبناني وشركة طيران الخليج المتفرعة من شركة الطرق الجوية البريطانية BOAC، وهذه الأخيرة كانت تسير ثلاث رحلات يومياً من البحرين إلى الظهران وبالعكس، منذ شهر ذي الحجة 1371 هـ، الموافق لشهر أغسطس 1952 م، حسبما تفيد الإعلانات التي كانت تنشرها الشركة في مجلة "صوت البحرين"، وزيدت إلى أربع رحلات في عام 1953 م. وقد تطرق وزير المالية الشيخ عبدالله السليمان إلى سير هذه المشاريع الثلاثة في

أخبار الظهران
جلالة الملك المعظم يشرف المنطقة الشرقية ويفتتح ميناء الدمام
جلالته يصدر أمراً بتسميته بـ « ميناء الملك عبد العزيز »
اعضاء اللجنة الملكية يسافرون الى الرياض بعد دراسة احوال المنطقة

الملك سعود يفتتح ميناء الدمام ويطلق عليه اسم « ميناء الملك عبد العزيز » « أخبار الظهران » في 1381/3/11 هـ، الموافق 1961/8/22 م.

مقابلة أجرتها معه صحيفة البلاد السعودية في عدد خاص صدر في جمادى الأولى 1367 هـ، الموافق لشهر مارس 1948 م؛ واستلمت حكومة المملكة مدرجات المطار وجميع منشآته من الجهة الأمريكية المنفذة في حفل رسمي كبير أقيم يوم الخميس 2 جمادى الثانية 1368 هـ، الموافق 31 مارس 1949 م بحضور وزير الدفاع آنذاك الأمير منصور بن عبدالعزيز، رحمه الله.

أخيراً- وليس آخراً- أمر ولي العهد الأمير سعود بن عبدالعزيز بنقل مقر إمارة المنطقة من الأحساء إلى الدمام، خلال جولة قام بها في المنطقة دامت أسبوعين، في جمادى الأولى 1372 هـ- يناير 1952 م-. وأتى هذا القرار- ضمن قرارات عديدة- بعد دراسة أحوال المنطقة وما يلزم من قرارات لتنظيم الإدارات الحكومية فيها وإجراءات لتطوير المرافق والخدمات المختلفة فيها. وقد أحدث ذلك القرار نقلة كبيرة في حياة بلدة صغيرة ثانوية مثل الدمام وحياة بلدة أخرى أصغر مثل الخبر، التي تبعد عنها مسافة عشرة كيلومترات؛ إذ سرعان ما نمتا نمواً متسارعاً بعد افتتاح العديد من الشركات والمؤسسات فيهما وفتح شركات سعودية كبرى فروعاً فيها، بالإضافة إلى فروع لعدد من البنوك. وبوسع من أراد معرفة جوانب من واقع هاتين المدينتين قبل انتقال مركز الإمارة إلى الدمام الاطلاع على ما كتبه محمد سعيد المسلم في كتاب "ساحل الذهب الأسود"، المشار إليه في الجزء السابق، ص ص. 40-27.

ولا يخفى على القارئ ما لهذه العوامل من تأثير على الحراك في المنطقة بمختلف أبعاده، الاجتماعي والاقتصادي والعمالي- بفعل قدوم الآلاف من السعوديين من مختلف مناطق المملكة للعمل في أرامكو وميناء الملك عبدالعزيز والمؤسسات والشركات المختلفة، والبحرينيين كذلك- بلغ عددهم 16000 ستة عشر ألفاً، حسبما ذكرت مجلة "صوت البحرين" في محرم 1372 هـ، الموافق لشهر سبتمبر 1952 م- بالإضافة إلى عشرات الآلاف من العرب والأجانب.

وقد ظهر جلياً أن هذا الحراك كان يشكل مادة ثرية للصحف والمجلات التي صدرت في المنطقة لاحقاً.

المكتبات التجارية وتوزيع الصحف والمجلات والمكتبات العامة

تنفرد "المكتبة الأدبية" التي أسسها أحمد عمر بايزيد في مدينة الخبر بأنها كانت المكتبة الأبرز لتوزيع الصحف والمجلات وبيع الكتب في المنطقة الشرقية طوال عقد السبعينيات الهجرية- الخمسينيات الميلادية. وقد ورد ذكرها لأول مرة في الصفحة الثانية من العدد الأول من مجلة "صوت البحرين"، في ذي

أحمد عمر بايزيد
صاحب المكتبة الأدبية بالخبر

القعدة 1369 هـ، أغسطس 1950 م، بصفتها وكيلة للمجلة في الخبر، مع إعلان صغير في الداخل يفيد بأنها متعهد الصحف والمجلات المصرية في الخبر والدمام وبيع الكتب الأدبية. ولم يرد في العدد المذكور ذكر لمكتبات سعودية تجارية أخرى. ورغم أنه ورد في إعلان منشور في صحيفة "الخليج العربي"- العدد 51، في 15/2/1379 هـ، الموافق 19/8/1959 م- بأنها "في خدمة القراء في الخبر والدمام منذ عشرين عاماً- أي في عام 1939 م، إلا أنني لم أجد لها ذكراً في صحف المملكة قبل بداية عام 1371 هـ، حينما ذكرت صحيفة "البلاد السعودية"- في العدد 1099، في 11/2/1371 هـ، الموافق 11/11/1951 م- أنها اعتمدت "الأستاذ أحمد بن عمر بايزيد وكيلاً عنها في قبض الاشتراكات والاتفاق على الإعلانات وتوزيع الجريدة في الدمام والخبر والظهران".

وطوال عقد السبعينيات الهجرية- الخمسينيات الميلادية- استمر ظهور اسم هذه المكتبة- المكتبة الأدبية- في كل الصحف البحرينية، ولاحقاً مع بدء صدور الصحف السعودية في المنطقة في 1374 هـ، ظهر اسم صاحب المكتبة أحمد عمر بايزيد لأول مرة بصفته موزعاً للصحيفة "في المقاطعة الشرقية"، ابتداءً من العدد الثاني من صحيفة "أخبار الظهران"، الصادر في 27/6/1374 هـ، الموافق 20/2/1955 م. ولم يتضح إذا ما كان للمكتبة أنشطة ترويجية عدا توزيع الصحف والمجلات السعودية والعربية؛ إلا أنها بدأت في الإعلان عن الكتب التي ترد إليها حديثاً، ابتداءً من شهر صفر 1379 هـ، إذ نشرت في العدد -52 الصادر في 22/2/1379 هـ، الموافق 26/8/1959 م- أنه يسرها أن تقدم لعملائها "عشرة كتب مختارة تقدمها لعملائها في هذا الأسبوع وسوف توالي تقديم روائع الإنتاج العالمي كل أسبوع".

وقد تحدثت عن وضعها عام 1378 هـ- 1958 م- صحيفة "الخليج العربي" التي خصتها بافتتاحيتين بقلم رئيس تحريرها محمد أحمد فقي، قال في الأولى منها- في 24/3/1378 هـ: "زرت قبل أيام مخزن مكتبة بايزيد زيارة سريعة لأمر يتعلق بالصحيفة.. وراعني أن أجد تلك الأكداس من الجرائد والمجلات السعودية وغير السعودية.. وراعني أن تظل هذه الأكوام في هذا المخزن هكذا مهملة... فبايزيد والحق يقال ليس لديه فن للدعاية وموظفوه لا يعرفون البيع أو العرض، وهو فوق هذا لا يعطي الصحف السعودية حقها من الدعاية والاهتمام...". ويواصل فقي في العدد التالي التحدث عن وضع المكتبة وتعاملها مع ما يرسل لها من أعداد صحف ومجلات سعودية، ويقترح على أصحاب الصحف القيام بإجراء ما لمعالجة مشكلة التوزيع.

ولا يخلو ما ذكره فقي في هاتين الافتتاحيتين من مبالغة فيما يخص الجهد الترويجي للمكتبة، فمهمتها البيع فقط، ثم إنني لم أجد في الصحف الأخرى انتقاداً لما قال بإنه إهمال من قبل المكتبة تجاه الصحف والمجلات، اللهم إلا ما ورد في مقال محمد بن عبدالله الحمدان- صاحب مكتبة قيس، رحمه الله- في مقاله المنشور في "القصيم"، في 7/1/1381 هـ- "ثلاثة أيام في مناطق البترول"-، الذي يقول فيه: "وقد طرقت أبواب المكتبات في الدمام أبحث عن الصحف المحلية كالبلاد والندوة والقصيم واليمامة فلم أجد منها شيئاً، أما الصحف والمجلات الخارجية فمتوفرة بكثرة وفي متناول اليد!!".

وبقيت المكتبة تمارس نشاطها في الخبر فقط- أي طوال عشر سنوات تقريباً- حتى مطلع عام 1379 هـ، حينما أعلنت في صحيفة "الخليج العربي" عن "حفلة الافتتاح" التي ستقيمها في فرع المكتبة بالدمام "وهي في الرونق الجديد"، ووجهت الدعوة للجمهور لحضور الافتتاح مساء يوم الثلاثاء 12/3/1379 هـ، بداية شهر سبتمبر 1959 م. وبعد عشرة أشهر باع بايزيد المكتبة على أحمد بارشيد، مقابل نقل قدم- كما ذكرت "الخليج العربي" في 5 صفر 1380 هـ، وغير اسم المكتبة إلى "مكتبة الثقافة السعودية". ويدل إعلان للمكتبة- "مكتبة بايزيد"- عن قصة بعنوان "عاصفة في الأفق" نشر في صحيفة "البلاد" في 23/8/1381 هـ، الموافق 29/1/1962 م على انها انتقلت إلى جدة، إذ ذكر أنه يمكن الحصول على القصة في مقرها في ميدان باب مكة.

ومهما يكن الأمر، فالأمانة تقتضي القول بأن هذه المكتبة- مكتبة بايزيد- قد أسدت خدمة كبيرة للمنطقة، وسدت فراغاً يعجب المرء لوجوده بداهة.

وبالنسبة للمدن الأخرى فلم أجد ذكراً لمكتبة تجارية إلا اسم "مكتبة التعاون الثقافي" في الأحساء، التي ورد اسمها من بين وكلاء مجلة "صوت البحرين"، ابتداءً من العدد ½ من السنة الثالثة، الصادر في محرم 1372 هـ، الموافق لشهر سبتمبر 1952 م، ضمن قائمة ورد فيها اسم مكتبة بايزيد، واسم عبدالحميد الزائر كوكيل لها في القطيف واسم عبدالله عبدالرحمن الملا كوكيل لها في الأحساء أيضاً، وفي مكة المكرمة "مكتبة الثقافة"، وفي الرياض محمد بن شلهوب والمدرسة المحمدية. وأضيف إلى ذلك أن مجلة "هجر" أشارت في عددها اليتيم- محرم 1376 هـ، أغسطس 1956 م- إلى افتتاح "المكتبة الأهلية" و"مكتبة التلميذ" بمدرسة المبرز الثالثة.

الإعلان المصور الوحيد عن « المكتبة الأدبية « لصاحبها أحمد عمر بايزيد ، في العدد الأخير من مجلة « صوت البحرين «، الصادر في محرم 1374 هـ ، سبتمبر 1954 م.

ومن بين المعلومات المهمة المتعلقة بالمتطوعين لتوزيع أعداد من الصحف في المنقطة الشرقية في مرحلة سبقت السبعينيات ببضع سنوات ما أوردته صحيفة "المدينة" عام 1367 هـ- في 1/12/1367 هـ، الموافق 4 أكتوبر 1948 هـ- التي ذكرت أن وكلائها في المنطقة هم: عبدالعزيز منصور التركي في الأحساء، أحمد بن الشيخ يعقوب في الظهران والخبر، فارس الحامد في الدمام والقطيف والعقير، ومحمد المعجل في الجبيل ورأس تنورة؛ ورجت الصحيفة "اعتمادهم وكلاء لها في دفع الاشتراكات ومراجعتهم في كل ما يتعلق بالجريدة". ولاحقاً، نَوّهَت الجريدة في 4/12/1370 هـ بقدوم وكيلها في القطيف الأديب محمد الشيخ إلى المدينة.

وبالنسبة للأحساء، فكما ذكر عبدالله عريف في واحد عن مقالاته عن زيارته للمنطقة الشرقية في صفر 1371 هـ، الموافق لشهر نوفمبر 1951 م، ، لم يكن عدد المشتركين في كبرى الصحف السعودية "البلاد السعودية" يزيد على خمس عشرة نسخة، والتصريف عن طريق البيع مفقود. وبالنسبة لهذه الجريدة من المفيد الإشارة إلى أنها أوردت اسم عبدالعزيز التركي من ضمن وكلاء توزيعها عام 1366 هـ، حسبما نشر في العدد 642، الصادر في 26/3/1366 هـ، الموافق 17/2/1946 م؛ وقد غطى في العدد المذكور وفي العددين الذين سبقاه زيارة الملك عبدالعزيز للأحساء والظهران بصفته مراسلاً للجريدة. وكان التركي حينها يعمل معتمداً لمعارف الأحساء، عندما كان الشيخ حمد الجاسر رئيساً لمراقبة التعليم في الظهران.

وبالنسبة للمكتبات العامة، فبالإضافة إلى المكتبات التي ورد سابقاً أن أرامكو افتتحتها لموظفيها وعمالها في عدد من مناطق انتاج ومعالجة النفط في بداية السبعينيات الهجرية، أشير وبإيجاز شديد إلى مكتبة فرع معهد الأحساء العلمي الذي افتتح في شهر محرم 1374 هـ، و"المكتبة الأهلية العامة" في القطيف التي ورد ذكرها لأول مرة في "الخليج العربي"، المؤرخ في 16/11/1379 هـ، والمكتبة العامة بالأحساء التي افتتحت في شهر رجب 1381 هـ.

مقال

عبداللطيف بن عبدالله آل الشيخ

@alshaikh2

الشعب السعودي ..

أقوى وحدة عربية تاريخياً.

حين نتحدث عن «الوحدة» في السياق العربي، يتبادر إلى الذهن مشروعٌ سياسي راود الوجدان الجمعي عقوداً طويلة، لكنه ظل حلماً مؤجلاً، أو تجربةً عابرةً سرعان ما تصدعت، جامعة الدول العربية التي تأسست عام ١٩٤٥ تضم اليوم اثنتين و عشرين دولة، لكنها ظلت إطاراً رمزياً، لا اندماجاً فعلياً، و الجمهورية العربية المتحدة بين مصر و سوريا لم تصمد سوى ثلاث سنوات، و اليمن الذي توحد عام ١٩٩٠ انزلق إلى حربٍ أهلية بعد أربع سنوات، ثم إلى تفتتٍ أعمق منذ عام ٢٠١٤، و ليبيا، و العراق، و سوريا قدمت جميعها نماذج لدولٍ رُسمت حدودها بأقلامٍ أجنبية، فورثت تحدياتٍ بنيوية أسهمت في مسارات انقسامها، و في مقابل هذا المشهد المتقلب، تقف التجربة السعودية استثناءً تحول، بفعل تكراره و صموده عبر الزمن، إلى قاعدة، و إذا قيست الوحدة بمعيار رسوخ الاندماج الداخلي و استمراره التاريخي، لا بقِدم الدولة وحده، فإن هذه التجربة تتفوق على نظيراتها بفارقٍ واضح.

و هنا يكمن الفارق الجوهري الذي يمنح هذه الوحدة تفوقها التاريخي، بينما وُلد عددٌ كبير من الكيانات العربية الحديثة من رحم الانتداب و الاستعمار، برسم حدودٍ لم تراعِ واقعها الاجتماعي و القبلي، كانت الوحدة السعودية صيغةً محليةً خالصة، فالإرادة المحلية حركت هذا التوحيد أولاً، و لم يكن غياب الاستعمار المباشر عن نجد، قلب هذا البناء و مهده، سوى عاملٍ مساعد أتاح لتلك الإرادة أن تعمل بلا وصايةٍ خارجية تعيد رسم ملامحها، و اعترفت بريطانيا باستقلال المملكة الكامل في معاهدة جدة عام ١٩٢٧م، لا كمنةٍ استعمارية، بل كإقرارٍ بأمرٍ واقع تحقق على الأرض.

و لم تكن الوحدة الترابية وحدها كافيةً لو لم تصاحبها آليةٌ اجتماعية تذيب العصبية القبلية في هويةٍ جامعة، فحركة توطين البادية التي رافقت التأسيس حولت قبائل متناثرةً إلى مجتمعٍ تجمعه رايةٌ واحدة، و عقيدةٌ واحدة، بينما ظلت الشرعية متجذرةً في معنىً أعمق من حسابات السياسة، احتضان الحرمين الشريفين، الذي منح الدولة الناشئة حمولةً دينيةً تتجاوز العصبية القبلية و الإقليمية، و يمنحها تماسكاً رمزياً لا تملكه أي وحدةٍ سياسية أخرى في المحيط العربي.

ثم جاء التعليم النظامي، فالإذاعة، و التلفزيون، لينقلا هذه الرابطة من عقيدةٍ تُتلى إلى نبضٍ يسري في يومٍ واحد يتقاسمه أبناء نجد، و الحجاز، و عسير، و الأحساء، فلم تعد الوحدة نصاً يُحتفى به في المناسبات، بل بديهةً يعيشها الناس دون أن يسألوها.

ثم جاء الاستقرار السياسي حمايةً ثالثةً لهذه الوحدة، فقد حصنتها الإرادة المحلية خارجياً في ظل غياب استعمارٍ مباشر، كما حصنتها الشرعية الدينية من العمق، فبينما تعاقبت الانقلابات على معظم العواصم العربية، من بغداد إلى دمشق إلى طرابلس، و تغيرت الأنظمة بحد السيف أكثر من مرة، حافظت المملكة على انتقالٍ سلمي للسلطة داخل الأسرة الواحدة منذ عام ١٩٣٢م حتى اليوم، و حين اكتشف النفط بكمياتٍ تجارية عام ١٩٣٨م، وُظفت عائداته لبناء مؤسساتٍ تعليمية، و إدارية، و إعلامية، وحدت أطراف الوطن اقتصادياً و ثقافياً، فتحولت الثروة من عامل تفتيتٍ محتمل إلى أداة تماسك.

و قد يعترض معترضٌ بأن مصر تملك استمرارية دولةٍ تمتد آلاف السنين، و أن المغرب يحتفظ بعرشٍ علوي متصل منذ القرن السابع عشر، فكيف توصف الوحدة السعودية بالأقوى؟ و الجواب أن استمرارية الدولة شيء، و تحقيق الوحدة شيءٌ آخر مختلف الطبيعة، فمصر أمةٌ نهرية متجانسة تاريخياً، لم تواجه تحدي دمج أقاليم متباعدة و قبائل متنافسة في كيانٍ واحد، و المغرب، رغم عراقة عرشه، خضع لحمايةٍ فرنسية و إسبانية أربعةً و أربعين عاماً، بين ١٩١٢ و ١٩٥٦، قطعت خيط سيادته الكامل، أما الوحدة السعودية فتفردت بجمع الشرطين معاً، تأسيسٌ حديثٌ لم تنقطع سيادته يوماً بقرارٍ أجنبي، و دمجٌ فعلي لمناطق متعددة الولاءات و الانتماءات في كيانٍ واحد لم يتفكك منذ اكتمل.

و قد يقال أيضاً إن التأسيس نفسه لم يخلُ من نزاعاتٍ داخلية، و هذا صحيح، لكن رسوخ الوحدة يقاس بعد اكتمال التوحيد و إعلان المملكة عام ١٩٣٢م، لا في مرحلة البناء ذاتها التي تشهد صراعاتٍ كأي تأسيس.

و الدليل الأبقى على رسوخ هذه الوحدة أنها لم تكن حالةً تاريخية جامدة، بل استمرت في تجديد نفسها مع كل جيل، فرؤية ٢٠٣٠ اليوم ليست سوى الفصل المعاصر من المشروع ذاته، مشروعاتٌ عملاقة تربط أطراف الوطن بعضها ببعض، و اقتصادٌ يعاد تشكيله ليتجاوز الاعتماد على مصدرٍ واحد، و جيلٌ شابٌ يعيد تعريف هويته الوطنية بلغة العصر، لا الماضي وحده، و كل ذلك إعادة صياغة للعقد الوطني الذي وحد الأرض و الناس قبل أكثر من قرن، بأدواتٍ مختلفة، و لكن بروحٍ واحدة.

و هكذا تغلق الدائرة حيث بدأت، من حصنٍ في قلب نجد إلى دولةٍ تتحدث بلسانٍ واحد، و تحمل هويةً واحدة، لم تفتتها حربٌ أهلية، و لا انقلابٌ عسكري، و لا حدودٌ مصطنعة، فحين تقاس الأمم بمقدار صمودها، لا بحجم شعاراتها، تبقى الوحدة السعودية شاهدةً على أنها لم تكن مجرد لحظة تأسيس، بل معادلة وجودٍ لا تزال تكتب فصولها.

عين

عبدالله بن محمد الوابلي
@awably

الكراهية ..

رحلةٌ إلى العنف.

ليس التعصب شيءٌ عابر في تاريخ الإنسان، ولا هو ظاهرة برزت في زمان دون آخر، أو في شعب دون غيره، وإنما هو أحد الأمراض التي ترافق المجتمعات كلما صُغُرَت مساحة العقل، وضاق صدر الإنسان بالاختلاف. فالتاريخ يتغير في وجوهه وأزيائه وأدواته، لكن بعض أمراضه تبقى قادرة على العودة بأسماء جديدة وأوصاف مختلفة، وما أكثر ما تغيرت أشكال الصراع، بينما بقيت آلياته النفسية والاجتماعية كما هي، حتى ليخيل إلى المرء أن الإنسان قادر، بمرونة مدهشة، على تبديل أقنعته، لكنه يظل أسير العقلية ذاتها، ولو أصابها الجمود. وهو قادر على أن يلمح أصغر بقعة في ثوبه، لكنه يعجز عن رؤية ما يعتري بصيرته من عيوب. فسبحان من قسَّم العقول، فكأن بعض الناس لم يُمنحوا إلا عقلًا واحدًا لا رقيب عليه، بينما منح ثُلَّةً قليلة عقلين: عقلًا يفكر، وعقلًا يراقب ذلك التفكير، ويؤنبه كلما حاد عن الحق.

العنف لا يظهر فجأة بدون مقدمات، فهو كالولادة التي تسبقها مرحلتان: ممارسات ما قبل الحمل، ثم الحمل، ثم الكراهية التي تبدو في ظاهرها بريئة، وتأتي بفكرة صغيرة، بينما هي مهر التعصب الذي ينتهي بالعنف. يبدأ العنف عندما يتوقف الإنسان عن النظر إلى الآخر ليس بوصفه إنسانًا، وإنما بوصفه مشكلة ينبغي التخلص منها، أو خطرًا ينبغي الحذر منه، أو خطأً ينبغي محوه. ومن تلك اللحظة تتحول المسافة بين البشر من اختلاف طبيعي إلى خصومة، ثم إلى عداء، وقد تنتهي إلى ممارسات لا يصدق أصحابها يومًا أنهم كانوا قادرين على ارتكابها.

لعل أخطر ما في التعصب أنه لا يقدم نفسه في صورة الشر، إنه مرض يبغض نفسه، فلا أحد يعترف أنه متعصب، ولا الكاره يعترف أنه حقود، فكلاهما يريان أنفسهما جنودًا للفضيلة وحُرَّاسًا للهُويَّة، ويمتلكان ضمائر حية. وهنا تكمن المفارقة المؤلمة، إذ قد تتحول أنبل الشعارات إلى أدوات للإقصاء إذا فقدت ميزان العدل والرحمة والعقل.

يعلمنا التاريخ أن الجرائم الكبرى لم تكن دائمًا من صنع أناس يعلنون حبهم للظلم، وإنما كثيرًا ما ارتكبها أناسٌ كانوا يظنون أنهم يؤدون واجبًا إيمانيًا أو رسالة سامية. وما إن يستقر هذا الوهم في النفوس حتى يصبح المُخْتَلِف خصمًا، ثم يمسي وجوده موضع اتهام. بل إن العنف يسير في طريق متدرج. تبدأ الرحلة بالاستغراب، إذ يبدو المختلف غريبًا عن المألوف، ثم يتحول الاستغراب إلى شك، فيبدأ الناس بالتساؤل عن نواياه، لا عن أفكاره، وبعد الشك يأتي التجريم، فيصبح الاختلاف خطيئة تستوجب العقوبة. ثم تأتي المرحلة الأخطر، وهي نزع الإنسانية عن المُخْتَلِف، فلا يعود يُنظر إليه باعتباره شخصًا له كرامة وحقوق، بل بوصفه مجرد عنوان لفكرة أو خطر أو تهديد. فإذا وصلت المجتمعات إلى هذه المرحلة، أصبح العقاب أمرًا يبدو عند كثيرين طبيعيًا أو حتى مشروعًا. هذه المراحل ليست قانونًا مكتوبًا، لكنها نمط متكرر عرفته البشرية

في أزمنة متعددة، مهما تنوعت اللغات، والثقافات، والأنظمة. ولهذا فإن الحكمة تقتضي ألّا يبحث الإنسان عن التعصب في الآخرين فقط، بل أن يفتش عنه داخل نفسه أولًا، لأن بذور التعصب قد تنبت في أي بيئة إذا غابت المراجعة النقدية للنفس. ومن اللافت – للنظر - أن الإنسان يستطيع في كثير من الأحيان أن يسامح من أساء إليه، لكنه يجد مشقة لا تحتمل في تقبل من يكشف خطأه أو يفضح جهله. فجرح الكرامة الفكرية قد يكون عند بعض الناس أشد إيلامًا من جرح المصلحة الشخصية. ولهذا تتحول بعض الخلافات الفكرية إلى خصومات شخصية، ليس بسبب قوة الأفكار، بل بسبب عجز النفوس عن الاعتراف بإمكان الخطأ. ومن هنا يصبح السؤال الحر مصدر قلق لكل عقل متعصب. فالمتعصب لا يخشى السؤال لأنه يجهل جوابه دائمًا، وإنما لأنه يدرك أن السؤال الصادق قد يهز البناء الذي أقامه في ذهنه منذ سنوات طويلة. ولذلك نجد أن أكثر ما يثير الحساسية ليس الجواب المختلف، وإنما السؤال الذي يفرض إعادة النظر في المسلمات.

من أخطر أوهام المجتمعات أن تظن أن كثرة المؤيدين دليل على صحة الفكرة. فالحقيقة لا تُقاس بعدد من يؤمنون بها، وإنما بقوة البرهان الذي تستند إليه. ولو كانت الحقيقة تُحسم بالتصويت لما تغيرت أفكار البشر عبر التاريخ، ولما استطاع أصحاب الرؤى الخلّاقة أن يفتحوا آفاقًا جديدة للمعرفة. ولهذا فإن المجتمعات المتقدمة تؤمن بأن الفكرة القوية لا تخشى الحوار، وأن الحقيقة لا تحتاج إلى إسكات مخالفيها حتى تبقى حقيقة.

ليس التعصب عدوًا للعقل وحده، بل هو عدو للضمير أيضًا. فالضمير هو تلك القوة الداخلية التي تدفع الإنسان إلى مراجعة نفسه، حتى لو خالفه الجميع. وهو الذي يمنعه من تحويل الاختلاف إلى ظلم، أو القوة إلى استبداد، أو القناعة إلى وسيلة لإلغاء الآخرين.

قد ينتصر التعصب في معركة، لكنه نادرًا ما ينتصر في التاريخ. فقد يستطيع أن يفرض الصمت زمنًا، لكنه لا يستطيع أن يمنع الحقيقة من البحث عن طريقها. وقد ينجح في إقصاء الأشخاص، لكنه يعجز عن إلغاء الحاجة الإنسانية إلى التفكير الحر. ولعل العصر الحديث يقدم صورة جديدة لهذه الحقيقة. فقد اختفت كثير من الوسائل القديمة للإقصاء، لكن ظهرت وسائل أخرى أكثر سرعة وانتشارًا. وأصبح الحكم على الأشخاص يتم أحيانًا في فضاءات مفتوحة، خلال ساعات معدودة، دون تمحيص كافٍ أو إنصاف أو فرصة للدفاع. وهذا يذكرنا بأن التعصب لا يرتبط بأداة معينة، وإنما بطريقة التفكير التي تستخدم تلك الأداة. لذا يتحتم إنصاف التقنية – ذاتها - فهي ليست متعصبة ولا متسامحة، بل هي تعكس ما يحمله الإنسان من قيم. فإذا اِسْتُخْدِمَت لنشر المعرفة، أصبحت وسيلة للتقارب، وإذا اسْتُعْمِلَت لإثارة الكراهية، تحولت إلى أداة لتوسيع الانقسام.

ولهذا فإن مواجهة التعصب لا تكون بإقامة تعصب مضاد، لأن التعصب لا يُعالَج بالتعصب، كما أن النار لا تطفأ بالنار. وإنما تكون بتعزيز ثقافة الحوار، واحترام الكرامة الإنسانية، والتفريق بين نقد الأفكار والاعتداء على أصحابها، والإيمان بأن الاختلاف سُنَّة من سنن الحياة، وليس عيبًا ينبغي التخلص منه.

تؤدي التربية دورًا جوهريًا في بناء مجتمع أكثر اتزانًا، فالمعلم الذي يُعَلِّم طلابه كيف يفكرون، لا بماذا يفكرون فقط، يزرع فيهم مناعة ضد التعصب. والبيت الذي يُرَبِّي أبناءه على الإنصاف واحترام الإنسان، يسهم في بناء مستقبل أقل عنفًا وأكثر قدرة على التعايش، كما إن المجتمعات لا تقاس بمدى اتفاق أفرادها، وإنما بقدرتها على إدارة اختلافهم دون أن يتحول إلى خصومة أو كراهية. فالاختلاف يثري الحياة، أما التعصب فيختزلها في لون واحد، وصوت واحد، وطريق واحد، حتى يفقد الإنسان قدرته على رؤية العالم كما هو، لا كما يريد له التعصب أن يكون.

في نهاية المطاف، يبقى العقل الحر، والضمير الحي أعظم حصنين في مواجهة آليات التعصب. فكلما حافظ الإنسان على قدرته على الإنصاف، واحترام الإنسان قبل الحكم عليه، والإصغاء إليه قبل الإدانة، كان أقرب إلى بناء مجتمع لا يخشى الاختلاف، بل يجعله مصدرًا للتعلم والنضج. وحين ينتصر العقل على التعصب، لا ينتصر فرد على آخر، وإنما تنتصر إنسانية الإنسان على أكثر نزعاته قَسْوَةً.

حقًا إن التعصب هو القاطرة التي تجر عربات الكراهية إلى محطات العنف؟

حديث الكتب

أ.د. صالح الشحري
@saleh19988

ريم البسيونى تكتب سيرة الخديوي عباس..

الرواية في مواجهة التاريخ.

كوم النور اسم رواية للكاتبة ثرية الإنتاج ريم البسيونى، التى تتابع رواياتها عن تاريخ مصر ، روايتها «أولاد ناس» عن الحقبة المملوكية، و روايتها « القطائع»عن أحمد بن طولون ، و روايتها «الحلوانى» عن الحقبة الفاطمية . أما هذه الرواية «كوم النور» فعن الحقبة الخديوية ، و كلمة الخديوي معناها سيد بالفارسية، و قد أطلقت على ثلاثة من حكام مصر ، إسماعيل ، وتوفيق وعباس حلمي الثانى، وعنى هذا اللقب إعطاء حاكم مصر نوعا من الاستقلالية و تمييزه عن ولاة الدولة العثمانية في باقي الأقاليم . يفهم من قراءة روايات ريم البسيوني أنها لا تتفق مع المفهوم الذي شاع في مصر و الذي يقول أنه قبل حكم الجيش كان الحكام أجانب عن مصر، فالسياق الروائى يبرز مصريتهم ، لأن مصر لها خصيصة صهر كل من سكنها ليصبح من أولاد الناس ، و هذا يفسر حالة العشق بين أبطال روايتها و الشعب المصري الذي كانت نساؤه يهدهدن أطفالهن بأغنية «اللّه حي عباس جي! ضرب البمبة في إيد العمدة وتنه جي..» يقصدون بالعمدة المعتمد البريطانى، ثم أصبحت ضد كل ظالم .

عاش عباس في المنفى ثلاثين عاما، نفاه الإنجليز بعد أن حكم ثلاثة و عشرين عاما، و لكنه ما كف يوما عن العمل من أجل مصر ، وتحريرها من الاحتلال الإنجليزى والارتهان للنفوذ الأجنبي، بل أسمت الرواية « كوم النور» ، وهي قرية في ريف مصر عريقة في تاريخها ، كان اسمها كوم ألبول، بألف مهموزة و الكلمة تعنى كوم الماء ، و نظرا لظلال المعنى في العربية فقد حُول الإسم إلى « كوم النور» . و كما ربطت سيرة عباس حلمى الثانى بالقرية فقد ربطته أيضا بأشهر أثارها و أجملها « جامع هلال باشا» ، و تلك تيمة تصحبها ريم في رواياتها ، أي إحياء تاريخ الآثار ، بل وجعلت من هلال -وهو اسم يرمز لإمام المسجد ، أو الثري الذي بناه في اشارة لدور الشعب في بناء الوطن- المرشد الروحي للخديوى عباس حلمى الثانى. و ربطت بين بناء أول مدرسة فى كوم النور على عهد الخديوى ، و دخول بناتها الجامعة المصرية، مستثمرة المعنى الرمزي لاتحاد حلم الخديوى بأحلام الشعب ، فالخديوى حارب كرومر ممثل المستعمر الإنجليزى ، لإنشاء الجامعة المصرية ، الإنجليز لم يكونوا يرون أن المصريين يصلحون لتعلم العلوم الإنسانية، و بما أنهم كانوا يتحكمون بموارد مصر فلم يكونوا موافقين على الإنفاق على التعليم الجامعي، و لكن الرجل أخذ يستنهض الشعب المصري للتبرع، فيستجيب أمراء بيته و أغنياء الشعب ، و يسبقهم هو فيتبرع من دائرته الخاصة التى برع في استثمارها ليستغني بها عن أعطيات الإنجليز له و لشعبه. و قد برز هذا في مشروعاته التى خرجت بالشعب إلى حقبة التنوير.

تعيد البسيوني هنا كتابة التاريخ بشكل روائى ، اعتمدت في مصادرها على ما تبينته في دراستها للآثار المصرية من أختام تدل على أن للخديوى دورا في بنائها و صيانتها ، ثم عثرت على مذكرات الخديوى المكتوبة بالفرنسية و طابقتها على الواقع ، كذلك بحثت عن أرشيف العائلة الخديوية ، و ما تحتويه الأوراق الخاصة عند أحفاد الخديوى لتخرج بهذه السيرة الروائية . و للتاريخ أن يقول كلمته ، فالمعروف أن ريم البسيوني شديدة التعاطف مع أبطالها ، نري هنا أنها كتبت سيرة مثالية للحاكم المخلص الذي يواجه احتلالا ساحقا، دون هوادة، يواجهه و هو في الحكم و كذلك و هو في المنفى ، حاكم أخلاقي بكل معنى الكلمة ، واسع الحيلة ، يحارب النفوذ البريطانى في عصر دار بريطانيا ، بكتاباته عن حال مصر المحتلة التى يذيقها الانجليز الهوان، التى تغفل اسم المؤلف ، يكسب تعاطف بعض المؤثرين من الإنجليز ليسندوا مطالب مصر، ينشئ الجمعيات السرية، يرعى القيادات مثل مصطفى كامل ليكونوا أندادا للانجليز، يحاول أن يلعب على التناقضات بين فرنسا و إنجلترا، و عندما يُنفى يحتال للوصول إلى أهدافه، فهو مرة يحمل جوازا إيرانيا، و أخرى يظهر في شخص تاجر من أذربيجان. كما أنه رجل جذاب تحبه كل النساء في الإطار الأخلاقي الذي يرضيه ، لم يقبل التسلي بالجواري، وعندما ضغطت عليه أمه اختار جارية فأعتقها وأصبحت أم أولاده، حاول أن يجعل منها شريكة في الحكم و صديقة على مستواه، و لكن ذلك ما لم تكن مؤهلة له، انقطعت العلاقات العاطفية بشكل طبيعي دونما جراح، استعادته السويسرية صديقة أيام مراهقته، جاءته في لحظة عصيبة ، ازرته في إحدى المحن، أسلمت و قبلت تغيير اسمها و احتشمت، لكنها في مصر لم تكف عن المقامرة، ظنت أنها ملكة أوروبية، استثمرت كرمه الواسع لتنتفق عن سعة ، حين ضاقت بها أمواله أرادت أن يأخذ لها من اموال الشعب، لكن هنا تجاوز حدود التسامح بين المحبين، و استغلت الصحافة الموالية للانجليز تصريحاتها، فكان لا بد من الافتراق ، لكنها ماتت على الإسلام ، و دفنت في مقابر المسلمين، و لم ينفك الرجل عن رعايتها و رعاية زوجته الأولى حاكما و منفيا، رغم أن كلتاهما في حقبة نفيه آثرتا السلامة والبعد. ثم الحبيبة الفرنسية ، السكرتيرة السرية للعمل

ضد الإنجليز كانت زوجته الثالثة ، اخلصت له حين كان ضعيفا ، إدارت أمواله لحمايته و لصالح معشوقته مصر ، و عندما ماتت أعادت أخواتها له كل أمواله التي كانت بعهدتها ، كانت محبوبة حقيقية ، شاركته في اعباء الحكم حاكما و منفيا ، الحبيبة التي بقيت بعده ، البهلوانة أم الشعور، قامت بكل الأدوار لصالحه، بهلوانة تمثل الذكاء الحريف للمصريين ، حتى كُسرت رجلها و استبدلتها برجل خشبية ، تشبه ساحرة الهرم في روايات ريم البسيوني الأخري ، إحدى رموز مصر التى تربط الحاكم الجديد بالجذور الفرعونية.

في لحظة ما تخلى عنه بعض خلصائه، منهم أفراد من عائلته ، رأوا بأن عدم مهادنة الإنجليز قد أفقدت فرعهم الحكم ، و نقلته إلى عمه فؤاد ، الذي كان مثل أخيه توفيق، راض أن يكون آلة بيد الإنجليز، لمً يكن أحد يتصور أن مصر قادرة على الخروج من النفوذ الانجليزى، قال البعض أن الشجعان أحيانًا يأتون في أيام لا تناسب شجاعتهم، أتى الأوروبيون لكى يمسكوا بزمام ثروات مصر ، و يتحكموا في ماليتها و ثرواتها ، يريدون أن يأخذوا من الشعب مردود القروض الربوية الكثيرة التى تورط فيها جده اسماعيل ، حلمه ببناء قاهرة على غرار باريس ، فيها أوبرا ، و سكك حديدية .. إلخ ، انتهى إلى ديون لم يقم بها إنتاج مصر كلها ، الخطوة الثانية كانت عندما دخلت الجيوش الانجليزية مصر إثر ثورة عرابي ، يومها قالوا أنهم سيرحلون، و بقوا، لم يتركوا ورائهم شيئا يذكرهم به الشعب المصري ، و حين دخلت الدولة العثمانية إلى جانب ألمانيا في الحرب العالمية الأولى أُعلنت الحماية على مصر ، كان الإنجليز قد تلاعبوا بالأسرة العلوية في مصر ، استخرجوا الأمير حسين كامل ليحل محل الخديوى عباس الذي نفوه ، وعند وفاته جاؤوا بالملك فؤاد ، و كلما حاول أحد هؤلاء الملوك أن يخرج عن سيطرتهم و لو قليلا ، هددوه بكثرة المنافسين من الأسرة وكلهم يتهيأون للقفز إلى العرش مقدمين الولاء للإنجليز، و فيما بين الحربين العالميتين تلاعب الإنجليز بالأحزاب المصرية، عاش الخديوى في المنفى، أحيانا في يخت يحمله ويحمل تابوتا ليحفظ فيه إن مات حتى يعود جسده إلى مصر ، شهد ثورة ١٩١٩ التى حملت بعض أفكاره ، و ناضل في المنفى ضد معاهدة ١٩٢٢ ، كانت معاهدة انعكست فيها موازين القوة بين طرفين غير متكافئين . نصح عباس مصطفي النحاس و مكرم عبيد أن يوحدوا الأحزاب المصرية ، حتى لا يستثمر الإنجليز خلافاتهم ، فى لحظات إفاقة نادرة قبل أن يعفو عن ابنه الذي لم يسمح له الملك فؤاد بالذهاب لزيارة والده ، و ظل على ذلك طويلا ، حتى أذن الملك ، حين لم تعد خطورة الخديوى على ملكه كما كانت، أخذ الخديوي يقترب من السبعين، ثلاثون عاما مرت على منفاه، لم يلن، ظل في عهدة الشعب المصري، ذاكرة ملهمه، و أملا لم يضعف، ابتعث طه

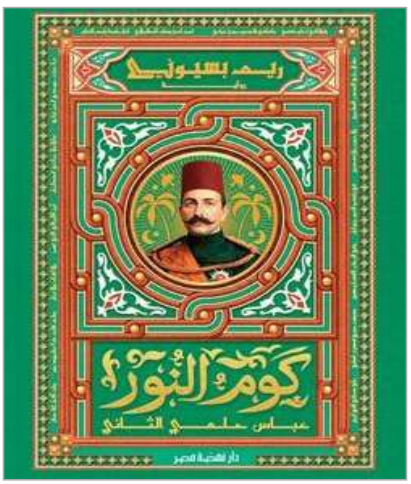

حسين أول خريجى الجامعة المصرية ليدرس في السوريون، كما ابتعث من قبله عددا من خريجى مدرسة الحقوق ، منهم مصطفى كامل ، و جاءت سهير القلماوى تزوره، أول خريجة مصرية من الجامعة تشكره على دعمه للعلم، أشار عليها بأن تتخصص في « ألف ليلة و ليلة». ذكرت الكاتبة أنه كان خارج مصر عندما حصلت مأساة دنشواى ، حاول أن يستبق إعدام المظلومين بالعودة سريعا، لكن الإنجليز لم يتمهلوا، مارسوا طغيانهم مستغلين غيبته، لم تتعرض الرواية للظروف التى جعلت المنفلوطى يهجوه عندما عاد من أوروبا بقصيدة ، سارت على نهج قصيدة المتنبي في هجاء كافور:

قدوم و لكن لا أقول سعيد
و عود و لكن لا أقول حميد
و مُلك و إن طال المدى سيبيد
يذكرنا مرآك أيام أُنزلت
علينا خطوب من جدودك سود

، فرغم أن التاريخ يذكر بعض القادة بصورة مثالية، إلا أن هذا الرجل ورثه من عائلته من كان حريصا على تشويه سيرته، ثم جاءت حقبة الجيش في مصر لتلقي ستارا على التاريخ قبلها، و لكن الرواية تتحدث عن الإنسان لا عن القائد ، وكان يمكن أن تتحدث عن ضعفه الذي لا يخلو منه أحد. و لكن الكاتبة أضفت على بطلها مثالية حتى عندما بدا منه ضعف، و كما ذكرت فإن الحكاية لمن يرويها. ما كتبه الرحالة المصري محمد لبيب البتانونى الذي رافقه في رحلة الحج ، أنه كان متواضعا، مخبتا، فقد أصر على أن يطوف ماشيا لا على الخيل لكسب الأجر ، و حرص على خدمة المسجد النبوي خلال إقامته في المدينة ، وكان بارا بالفقراء و المنقطعين من الحجاج. و توافق ما ذكر عنه في الرواية من صفات حميدة مع ما ذكرته زوجته الأوروبية التي صار اسمها جويدان في مذكراتها التى نشرت دار الهلال ترجمة لها ، و لكنها ذكرت أن عقلية زوجها التجارية جعلته يهتم بالتجارة و تنمية الثروة أكثر من أي شيء آخر، و مما يعزز ذلك الرأسمالية أنه حين تيقن من أنه لن يعود إلى مملكته ،تنازل للملك فؤاد عن العرش مقابل ثلاثين ألف جنيه . روت زوجته أيضا استقباله في الإسكندرية للاجئين بعد حرب البلقان إذ أشرف على رعايتهم بنفسه. و كان رحيما عطوفا.

قد يختلف النقاد على تقييم الرواية أدبيا لكننى احمد للكاتبة ربط قراءها من الأجيال الجديدة بتاريخهم ، خاصة مع وجود محاولات حقيقية لطمس التاريخ ، و أهنئها على جمهورها من الشباب الذي يتجاوب مع مطولاتها الروائية، فعلى شغفي بالموضوع كان الإغراق في تفاصيل الجزء الثانى دافعا عندى للشرود وإعادة القراءة مع التخطيط تحت بعض السطور حتى لا تضيع التفاصيل .

نافذة على الإبداع

قراءة في رواية عبد الله آل عيّاف (حفرة إلى السماء)..

فلسفة الحياة و الموت وخصوصية الفضاءالمكاني و محوريّة البطولة الجماعية وتعدّد الأصوات.

د. محمد صالح الشنطي

@drmohmmadsaleh

تجمع رواية «حفرة إلى السماء» للكاتب والمخرج السعودي عبدالله آل عياف، عناصرعدة تتشكّل عبرها رؤية الكاتب العميقة للحياة و الوجود ، من هنا كان بعدها الحواريّ الرئيس عبر مختلف الأصوات التي تتعدّد بتعدّد الشخصيات والمقاربات الفانتازيّة والواقعية لتنتج خطاباً سردياً فلسفيّاً له خصوصية تأملية ، تجمع بين مشاهد فانتازية عجائبيّة و واقعية في فضاء مكانيّ له سمات دالّة متخيّلة؛فقد اختار المؤلف قرية أسماها (مجهرة) انتقى لها موقعاً جغرافيّا يرتبط بالمدينة المنورة ، وليس من شك في أن هذه التسمية المختارة من مادة لغوية لها دلالتها الكاشفة من الجهر ويعني رفع الغطاء عن السرّيّة و الخفاء ، و الجرأة في إبداء الرأي ، وهي ذات الوقت لها قيمة بصرية ترتبط بحاسة الرؤية، في مفارقة بيّنة حيث تقابل هذه التسمية المختارة في دلالتها الكاشفة ما يحيط بهذه القرية من غموض في الرواية يتصل بباقة من السرديات الشعبية : الأساطير وقصص الكائنات الخفيّة من الجن و الرؤى و الأحلام .

إذ يستهلُّ الكاتب روايته بلوحة بصرية متحرّكة مستنبتة في مخيّلته من واقع تصوّراته التأملية الفلسفية ، حيث ازدواجية البقاء و الفناء في حيز واحد يرتد بالإنسان إلى حفرة تتشير إلى أصله التكويني من الطين ومصيره النهائي إلى القبر القابع في سلالة من طين كما صوّ ره الخالق منها أول مرة " ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين" فقد شهد القبر الذي دفن فيه أحد الشخصيات المهمة في الرواية (الشيخ سالم الجبر) ولادة ابنتها تيماء طفلها (غيث)

وتستوقفنا هذه التسميات بمفرداتها الدالة ؛فسالم نقيض المرض وتحمل معنى النجاة ؛فهي بمعنى النجاة و (الجبر) عكس الانكسار بمعنى المعافاة ، وإعادة ما انكسر إلى وضعه السليم في مؤشر دلاليٍّ لمعنى غيث الذي ينسجم مع العطاء نقيض الفقد ، يجتمع النقيضان في حفرة واحدة في مفارقة رئيسة ذات دلالة فلسفيّة عميقة، وأما تيماء الأم التي أنجبت غيث فدلالتها اللغوية تعززالمفارقة ؛ فهي تعني الأرض الواسعة المضلّة المهلكة ، حيث تنبثق الحياة من رَحِم الموت في إشارة ضمنيّة إلى المبتدأ و المنتهى إلى (الأرض) وقد أولى الكاتب هذه المساحة المكانية المحدودة اهتمامه فبدت محوراً دلالياً بالغ الأهمية ، والكاتب إذ يحشد هذا العدد الوافر من الشخصيات من سكان القرية ينسب لها سرديتها الخاصة؛ فلكل من (سوير وفرج وعيسى وحمود وطافي وفاطمة وظافر) حكايته الخاصة ؛ ولكنها ليست بمعزل عن مهدها المكاني ؛ فهي تتقاطع مع أهل القرية في علاقاتهم وسلوكهم وخصوماتهم ، ومعسكراتهم التي تتركز في عائلتي صمخ وآل جابر من خلال تراثهم الاجتماعي، وما يشوبه من خرافات وأساطير وحكايات يرويها جيل عن جيل وتتراسل مع أنماط الحياة في القرية .

وللأصوات في الرواية شأن آخر ؛ فهي على الرغم من تعددها ؛ إذ يقدمها الراوي من وجهة نظر المجتمع في القرية ، وتتوالى سرد حكايتها ، فتتعدد طبيعة الشخصيات لأنها تنبثق من طبائع متعددة ، فربما بدت الشخصية من وجهة نظر الجماعة سكان القرية في صورة سلبية ، ومثيرة للشفقة من وجهة نظر صاحبها ، وللقرية سلطانها على شخصيات الرواية ، وذلك من خلال طبيعة الحياة التي تعيشها و التجارب التي تخوضها على تنوّعها : عشقاً وحزناً وعزلةً وفراراً من ثقل الكاهل الذي تعاني منه داخل القرية التي تبدو وكأنها تقرّر مصائر أصحابها ، و تتحكّم في سلوكهم بوصفها تنهض بدور الشخصية المهيمنة ؛ فيفرّون منها و يعودون إليها ، واللافت أن البعد الوجودي المأساوي ممثلاً في الفقد أو الموت ينهض بدورين يبدوان متناقضين : الفقد الذي يكشف أسرار الشخصية ، وفي الوقت ذاته بلسم يشفي جراحات الخصومة بين الأطراف المتنازعة .

ومنذ البداية يصطدم القاريء بموقف مأساوي يتمثل في حدثين باعثين على الشقاء طرفاهما أب مريض وامرأة مطلقة ، وصلة الوصل بينهما تيماء التي تنهض بعبء مرض الوالد ، وأم سرور التي تعاني من جحود زوجها الذي انفصلت عنها و المشهد كله يقع في دائرة المعاناة حتى الرحلة من بيت تيماء إلى منزل أم سرور تقطعه تيماء الحامل بصعوبة بالغة ، فالمكان بدوره يتمم دائرة المعانة بل ويحتضنها إذا صح التعبير .

والانتقال من مستوى سردي إلى آخر ، حيث السرد الموضوعبي ثم الذاتي والإبحار النفسي في تجليات الإحساس بالحيرة و القلق و الشعور بالألم في تشابك الخواطر وحديث النفس ، فهي في (حديث النفس) تخاطب ذاتها قائلة " كيف سأخبر والدي ؟ سينفطر قلبه لرحيل صاحبه" تقصد بذلك خبر وفاة الشيخ عايض , ثم يعود إلى السرد على لسان الراوي العليم الذي يشرح العلاقة بين والدها وبينه " فالرجل المسن ذو الحدبة الكبيرة كان من المقربين لوالدها جداً"

ولو اقتصرت على الحديث عن منهج الكاتب في تشكيل الشخصيات

الرئيسة في هذه الرواية لاحتجت إلى الكثير من الوقت للكشف عن أسرار البناء ؛ فكل اسم اختير بعناية بحيث يلائم دوره ، ويقع في المكان المناسب له في شبكة العلاقات التي تنضبط في إطار برنامجه السردي ، وقد سبق أن ألمحتُ إلى ما توحي به بعض هذه الأسماء ، فغيث الذي ولد في الحفرة التي ضمّت رفاة الموت يشبر الكاتب به إلى استمرارية الحياة وكأنه المطر الذي يحيي الأرض بعد جفافها ؛ وأما تجربة الحب التي خاضها مع (فاطمة) فتشير إلى حزمة العلاقات التي تعرقل مسيرة المعاناة التي أفرزتها بارتباطها بالماضي و معطياته ، والمجاهدة من أجل أحلام البشر و تطلعاتهم للجمال و السلام و الحب، وما يحيط آمالهم من إحباطات وانكسارات ؛ فما يمثله من رمزيّة استمرار الحياة يوازيه سلسلة الانكسارات والآلام، أما فاطمة فسيرتها تلخّص المشهد في القرية التي تتسع دلالتها لترمز إلى معاناة سكان البسيطة برُمّتها عبر مسيرتها التي تكتظ بالنجاحات و الإحباطات؛ ففاطمة بدلالتها اللغوية (من الفطام) و ما يفضي به من دلالات يشع بمعان وجودية لا حدود لها ، فهي تختزل المغزى و تترجم المعنى ؛ فخروج فاطمة من (مجهرة) يهيء لها أسباب النجاح وما لابسه من عوامل التنغيص ، والكاتب بذلك يجعل من المكان بما انطوى عليه من أسباب التقييد والمعاناة رمزاً يشع بالعديد من الدلالات ، وهي توازي – في اعتقادي - ماترمز إليه القرية ؛ فانعتاقها من شبكة المكان لم يعفها من القيود وما تكلفته من أسباب الآلام و الأحزان ، وكأنها تتمم الشق الآخر من معنى الكينونة (المكان و الإنسان)

ومن المعروف في أدبيات الرواية أن الشخصيات أعمدة الخيمة السردية التي تعبر عن رؤية الكاتب ؛ فهي تمتلك ناصية الرؤية ببعدها الفكري و ومكنوناتها النفسية التي تبحر داخل الذوات وتستخلص أسباب القلق الإنساني في خصوصيته المجتمعية و المكانية ،وما تمثله الشخصية بوصفها أحدى المكونات الأساسية في العمل الروائي؛ فمن خلالها تتجسّد الأفكار، وتتحرك الأحداث، وتنكشّف القيم الاجتماعية والنفسية التي يريد النص مساءلتها فالمكون الإنساني فرديًا متماسكًا يقود الأحداث نحو نهاية محددة، بل أصبحت الشخصية ذاتًا قلقة متشظّية، تقدم رؤيتها الخاصة للعالم، وقد تتعارض رؤيتها مع رؤى الشخصيات الأخرى ، أي ثمة تنوّع موندرامي إذا صحّ التعبير في الشخصيات في هذه الرواية فتبدو فيها البطولة الروائية ذات طابع جماعي ، وقد وزّع الكاتب فصول الرواية بين الشخصيات ؛ فهي تتكون من اثني عشر فصلاً ، خصّص ثلاثة فصول لتيماء، وثلاثة أخرى لغيث ، وكان لكل من سويّر وظافر وفرج وحمود وعيسى وفطوم فصولاً مستقلة ، فبدت الرواية متعددة الأصوات في رؤى متباينة ، فكل صوت ينهض بمهمة تسلط الضوء على بعد من أبعاد الفضاء المكاني في هذه الرواية ممثلة في قرية (مجهرة) حيث تتبدّى اللوحة المونودرامية في مرآة هذه الرواية (حفرة إلى السماء) وهو عنوان يمثل العتبة الرئيسة التي توحي بالمفهوم الإسلامي للوجود الذي يبدأ بالتراب و ينتهي إلية (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين) فالطين هو المادة الأصل و القرار المكين

رحم الأم هو الحفرة التي يبدأمنها ويعود بها إلى حفرة أخرى ترقى بروحه إلى السماء ، وقد بدا واضحاً أن هذه البطولة الجماعية للشخصيات في الرواية قد استقطبت بطولة أخرى خفيّة تتمثل في الكائنات غير المنظورة ممثلة في الجن، وكيف كان لها سلطانها وتأثيرها على تلك الكائنات البشرية ، وبدا واضحاً أن كل مجموعة لها محور رؤيوي يفضي سلوكها إليه فتيماء تنهض في الرواية بدور مهم يفضي إلى مركزيّة الشروع والبدء ومثالية السلوك والإشراق التي تنبثق من غير معدنها " رأت سوير في في تيماء فتاة خارقة ، كانت ترى فيها شيئا مختلفا الصدق و الوضوح صدقا آخر يختلف عن صدق أمه"فهي ذات حضور متميز في الرواية وتتعالق مع الشخصيات الأخرى في تواشج بيّن ؛ هي ابنة الشيخ سالم الجبر، وأم لشخصية أخرى لها دورها المحوري ممثلاً في غيث وهي ذات صلة حميمة شخصية مهمة (سوير) ولها دورها النبيل في رعاية فاطمة ابنة صديقتها، و تتميز تيماء كذلك لها سماتها النفسية و الاجتماعية الخاصة ممثلةً في (عقدة الماء) التي تولّدت لديها بسبب مصير والدتها(شرعاء) وغيث وما سبّبه له الماء من تردد على الأطباء فالماء الذي جعل الله منه كل شيء حي يتحول إلى بوابة للموت، وعانت من عقدة الغياب و الفقد ، وظلّ هاجس الخوف على ابنها غيث يساورها ويقلقها ، فلها أزمتها الخاصة شأنها شأن الشخصيات الأخرى .

أما غيث فله أزمته الخاصة فهو يرتبط بالمصائر الأزلية في دورتي الميلاد و الموت ؛ أما فاطمة فترتبط شخصيتها بما تختزنه من مفهوم التواصل والاستمرار و الذاكرة الحية ، وباقي الشخصيات تتمثل أدوارها في مختلف جوانب الحياة في الحيّز المكاني ممثلاً في القرية ودراما الوجود عبر تشابك العلاقات و البحث عن الخلاص اتصالاً وانفصالاً بهذه المساحة المكانية بخصائصها الفريدة ، فغيث الذي ولد في الحفرة التي دفن فيها جده يهيمن على البعد الأكثر عمقا في رؤية كاتب الرواية.

في الفصل الأخير (الصّرام) بختتم الكاتب روايته وتتجلى فيه فطوم بدورها الذي سبق أن أشرت إليه من قبل؛ فهي الصنوق الذي يحتوي على تاريخ القرية والشخصيات المهمة في القرية ، وهي ذاكرتها الحامية لإرثها ، المحافظة على أمانة الرعاية و العناية ، المستوعبة لسرديّاتها وفي فصلها الختامي تتكشف الأستار فمشهد تيماء الأخير على المغسلة يكشف أسرارا كانت خافية .

ولأنني منذ البداية أشرت إلى قصوري عن استيعاب ما تتميّز به هذه الرواية في مقالة كهذه ، أود أن أشير إلى أن الكاتب وضع عناوين دالّة لفصول روايته ، فبدت محيطة بمحتواها ومغزاها ؛ فقد بدأها بالفصل الأول الذي يتضمن المحور الرئيس في الرواية (المغادرة و الوصول) الذي يوميء إلى الأرض و السماء : الحفرة وعلاقتها بالموت و الميلاد ، وتنتهي ب(الصرّام) الذي يعني القطيعة حيث مشهد الموت والتحضير له ، بطلته فاطمة بما يوحي به هذا الإسم من الفطام وهو الانقطاع عن الرضاعة بعد تأدية دورها كما فعلت فاطمة التي تولت رعاية المشهد بكامله حتى النهاية (الصرام).

سيرة الأمهات

أمي: رقية الشمرية [7]..

حين مات إخوتي واحداً بعد الآخر.

ابراهيم البليهي

@IbrahimAlbleahy

يكتب الشاعر عبدالله السفر عن أمه نورة بنت أحمد الحطّاب: (وقعتْ كارثةٌ هزَّتْ والدتي هزًا، وبقيتْ آثارُها النفسية معها طوال حياتها؛ أصيب الوالد في حادث تصادم في طريق عودته من العمل بين بقيق والأحساء؛ الإصابة خطيرة في الجمجمة؛ الدكتور كان يريد أن يضعه في ثلاجة الموتى) هذا الحادث المروع الذي نجا منه الأب خَلَقَ في الأم: ((الجزع .. الهلع .. الخوف .. القلق .. التشاؤم؛ هذه هي الصورة التي باتت عليها أمي؛ تعيش التوجس على زوجها وأبنائها وأقربائها جميعا؛ يرتفع منسوب القلق بانتظار الأسوأ؛ فيجعلها ملتصقةً بالباب؛ تنتظر على جمرها الذي لا يُطفأ أبدا) ويضيف: (بوفاة أبناء الابن جاسم، والبنت منيرة أيضا. واحدةٌ من أخواتي قَضَتْ حرقًا وهي تلعب مع صديقاتها، واحدة أخرى عانت مرضًا شديدًا لم يمهلها؛ جميعهم في سن صغيرة جدا؛ يتراكم الأسى الموجع، ويتكثَّف الجزع كأعتى عاصفة) ويشير إلى أن أمه؛ يوجف قلبها، بعد كل حادث عام؛ فهي تتوقع الأسوأ دائمًا فيقول: (شبَّ حريقٌ في أحد معامل البترول في بقيق حيث يعمل أخي؛ سخَّبتني معها من الأحساء إلى بقيق لتحضن ابنها، وتطمئن على سلامته؛ اطمئنان اللحظة؛ الذي سرعان ما يخمد لتستبدله بهَبَّةِ فزعٍ جديدة) ويضيف: (أصيب أخي حمد في حادث تصادم خطير في طريق عودته من العمل في الظهران إلى الأحساء؛ فانشق فؤادها شقًا على ابنها الأكبر؛ عاشت أمي في جزع دائم) هذا القلق الدائم على الأولاد والالتصاق بباب البيت انتظارًا لمن تأخَّر دقائق عن موعده؛ هذا يُذكِّرني بأمي (رقية الشمرية) فقد كانت شديدة القلق على أولادها؛ وهو قلقٌ دائم أصابها بالكثير من الألم والمشقة؛ خلال حياتها كلها. لكنها كانت صبورة غاية الصبر حين تحصل فاجعةُ الموت؛ فقد رأيتها تتصبَّر وتتجلَّد حين ماتت بين يديها صغيرتها لؤلؤة الجميلة، فسمَّت عليها البنت التي جاءت بعدها ولكن الموت أخذها أيضا وهي ما تزال طفلةً جميلة، ورأيتها تكتم ألمها حين مات أخي عبدالكريم بين يديها، ورأيتها تتصبَّر وتتجلَّد وتتماسك حين ماتت أختي الكبرى حصة أثناء الولادة؛ وهي فاجعة مروِّعة لنا جميعًا لأنها بلا مقدمات، ثم رأيتها تتحمل وتصمد لمصابها بوفاة ابنها الأكبر صالح؛ فقد كانت شديدة الترقُّب والقلق على الأحياء الأصحاء حين يتأخرون دقائق عن موعد عودتهم لكنها تصبح كائنًا آخر تمامًا حين يكون الغياب قاطعًا وأبديًا وفاجعًا؛ فهو حينئذ يكون حادثًا حاسمًا؛ ولا مجال فيه للانتظار أو الترقُّب!!! .

أما الشاعر محمد الدميني فيتذكَّر المعاناة اليومية لأمه لجلب الماء؛ فيقول عن طفولته المبكرة جدا: (تحملني أمي من الأرض لأستقر فوق ظهر الحمار؛ بعد أنْ وضَعَتْ القِرَب الفارغة تحتي؛ لنبدأ رحلة الهبوط عبر منحدرات الجبال إلى قيعان الأودية؛ حيث الآبار المنزوية؛ ما أن نتقدم باتجاه فوهة البئر حتى نجد نساء القرية يتسابقن على الدلاء وملء قربهن بالماء؛ ووسط كل ذلك تندلع القصص والحكايات والأسئلة عن أحوال القرية: مَن جاء من الأسفار؟ ومن غادر، ؟ فضلا عن مناكفات أمهات الأزواج على الزوجات والعكس؛ أعانق تلك القصص طفلًا وأشعر أنني أكنز خطوة في عالم الأمهات الساحرات؛ ويفتح عيناي على خبايا القرية وحِيَلها، وسأتلقى حنان الأمهات وقُبلهن لطفل في الخامسة من عمره؛ كل هذا لن يُخفي عذاب الصعود مرة أخرى عبر المسالك الصخرية الوعرة؛ تتشارك في هذا العذاب الحمير المحملة بقِرَب الماء والأمهات اللاتي يحملن قِرَبًا إضافية على ظهورهن) إن الأم هي: (الشجرة الوارفة المنحوتة من تضحيةٍ وعطاءٍ مطلقَين) الأم قادرة: (على التنازل عن مباهج الحياة لصالح) الجنين الذي تحمله شهورًا في بطنها ثم حين يأتي يباشر الصراخ ليحرم الأم من النوم المنتظم. يتحدث عن الكدح المرهق للقرويين طول النهار: (القسوة مُكَوِّنٌ طبيعي في سلوك أهل القرية؛ شُحٌّ كامل لأبجديات الحياة؛ ما يجعل الناس في صراع يومي لتأمين أسباب حياتهم، وهناك التوجس الدائم من تقلبات الطبيعة؛ فقد ينزل المطر وقد يحل محله القحط، وقد ينزل عنيفًا وغزيرًا يهدد موسم الزراعة كله) النهار من شروق الشمس حتى غروبها كدحٌ وعملٌ متواصل: (وما أن يحل الليل؛ حتى يجلل التعبُ والسباتُ كل شيء) عملٌ وكدٌّ من شروق الشمس حتى غروبها؛ ومع مجيء الليل يكون السكون الشامل والنوم العام. ويتذكَّر محمد الدميني قسوة وصلف أبيه على أمه ومعاناتها

من هذا الصلف القاسي فيتحدث عن ذلك ليختم القول عن: (ساعات الصراع القاسي مع أبي) هكذا كانت تعيش الأمهات الحنونات المكافحات في صراعات مريرة مع صعوبات ومرارات الحياة وتربية الأولاد وتكرار الحمل وتقارب الولادات ولا تكتفي الحياة بكل هذه المعاناة وإنما يكون رفيقُ الحياة الزوجُ قاسيًا وكثير الخصام؛ فالأمهات في بيئتنا القاسية كُنَّ يعانين من صلف الأزواج وقسوتهم وشراستهم وعنف تعاملهم؛ فقسوة الحياة تجعل الأزواج يُفرغون معاناتهم على الأقرب الأضعف إليهم.

وتكتب نور الهاشمي؛ عن قسوة أبيها؛ حيث طلَّق أمها، بعد ولادة نور مباشرة؛ وانتزعها من حضن أمها وهي ما تزال في النفاس: (قام أبي بجبروتٍ؛ بانتزاعي من صدر أمي، وأنا بنت شهر واحد) وتقول عن أبيها: (أما أخطاؤه في حقي وحق أمي التي أنجبتني، واختطفني منها، وهي بعد نفساء، وحرمني من حليبها، وأنا بعدُ لحمة حمراء) لكنها تعترف بأن أباها قد اعتنى بها تغذيةً واهتماما وتنظيفًا: (كان يقوم بتحميمي، وقص أظافري، وتمشيط شعري، ويُحَنِّي كفِّي، وكان يفعل ذلك بحب وسخاء) أما رقية الهويريني؛ فتكتب عن أمها؛ هيا اللحيدان فتقول: (إن رحيل أمي يتجدد سنويًا ولو قلت يوميًا؛ لما بالغتُ؛ ففجيعةُ رحيلها جمرةٌ تتلظى في قلبي، وجرحٌ لم يندمل، ونزفٌ لا يتوقف) أما محمد الحرز؛ فكتب يقول: (كل الكلمات التي تربت في بيتي وسمعت حكاياتي وحفظتها عن ظهر قلب؛ تَعرف أن أنفاسها في الحياة هي أنفاس أمي) ويقول: (معصومة اسم أمي؛ كانت هادئة الطباع، لا يُسمع لها صوتٌ وإذا تحدثتْ فإن حديثها؛ يكون خافتًا؛ حتى وهي تأمرنا بجلب حاجيات البيت من السوق؛ هذا الهدوء انعكس على تربيتي، وتشرَّبته شخصيتي، وذهب في العمق من تفكيري وروحي) أما صيته الحميدان فتذكر كفاح أمها من أجل التعلُّم والاستنارة والتفتح لكن قبل ذلك تقول كلامًا ذا دلالة: (في غفوةٍ من ليلٍ بهيم؛ أخبروا طفلةَ السادسة عشرة؛ أنْ تتأهَّب للزواج؛ بعد أن قرر الإخوة وعمهم ذلك بعد وفاة والدها، وقد وافقوا على عريسها الذي يفوق عمرها ضعفًا) لكنها رغم التزويج المبكر القسري؛ فإنها لم تكن من النوع الذي يستسلم للواقع فلابد أن تبني ذاتها بعزيمة وإصرار تقول صيته عن أمها: (أنجبت مولودها الأول والثاني وحتى الرابع؛ ولم تتوان يومًا عن المدرسة؛ كانت تحفظ جدول الضرب وتُحَفِّظني إياه معها، تَدْرس القسمة المطولة وتشرحها لي بعد أن تتقن حلها؛ بها قرأتُ الصبر والسهر والسفر لرحلة كفاح لا متناهية؛ إني أنام .. يمضي الوقت وهي لا تهدأ.. لا تنام) هكذا تَصنع الأمهاتُ الأجيالَ الصبورةَ المكافحةَ الناجحةَ. ويكتب عبدالعزيز الحيص عن أمه (نورة الطيار) ويقول: (أحاديث أمي دومًا تفاجئني بلفتات تأتي طبيعية وجذابة ومعبرة؛ أمي أفضل حكَّاء) ويقول: (أمي على ملامحها ترتسم سيرة ونضال كل وجوه الأمهات؛ منذ الصغر كلما رأيت أمي تتحرك؛ أحسست أن الأرض كلها تزمُّ نفسها عند قدميها؛ العالم عندي ليس سوى بحيرة ساكنة؛ لا يُمَوِّج سطحها إلا قارب أمي) ويضيف: (نحن أجيالٌ مصنوعة من صبر الأمهات النبيلات؛ خصوصًا في فترات شظف العيش، وتَعاظُم الحاجة. قرأت لمؤرخ أمريكي يقول: حين يكون الوقت وقت أزمة وحرب ومجاعة؛ يكون الزمان زمان امرأة؛ فهي تتقدم الصفوف لتنقذ البشرية، وحين الوفرة والرخاء والدعة يكون الوقت وقت رجل، وقت أثَرَةِ الأقوياء) الأب قد يكون محاربًا؛ وهو بهذه الوظيفة يزهق الحياة؛ أما الأم فهي تُنجِب الحياة، وتُغَذي الحياة، وتربي أولادها على مواجهة صعوبات الحياة؛ فالأم نبعٌ دافقٌ بالحياة.

أما الشاعر أحمد الملا فيكتب من الأحساء شعرًا عن أمه (عائشة العرفج): (خِلْسَةً حزَّت جلودنا مثل خنجرٍ سَنَّتْه الصخرةُ وقدحتْ أسماءنا الليالي؛ خِلسةً والنوم غافلٌ وفي صحونا آلمنا الجرج الذي لازلنا نفتش في ثيابنا عن دَمِه؛ ولم نر أين حطَّت الطعنةُ) ويقول: (سيذكرها زعفرانٌ كتبتْه في بياض الآنية؛ ستذكرها نارٌ علقت في ردائها يوم التهمتْ الخُمَّى أخَواتٍ أربع تباعًا؛ يذكرها فقيرٌ اعتاد شَرْبَةَ لبنِ الظهيرة، وغريبٌ شمَّ في رغيفها حنينَ الأهل؛ سيذكرها مارَّةٌ عَبَروا؛ لا أظنني قادر على كتابة سردٍ عن عائشة؛ لست مهيأ لهذا بعد؛ هذا أمرٌ لا أقوى عليه الآن) ويختم قوله الشعري: (هذا نصٌّ شعريٌّ اغْتَرَفْتُه عن عائشة من نوافير العين، ودم القلب، وعيون الأحساء) وتكتب أروى الغلاييني عن أمها (رجاء) التي منعها أبوها من مواصلة الدراسة بعد أن حصلت على الابتدائية؛ فتزوجت وأنجبت ثم بعد أن كبُرت وصارت أُمًا لعدد من الأولاد؛ أتيح لها أن تحصل على شهادة المرحلة المتوسطة منازل في سنة واحدة، ثم حصلت على الثانوية ثم حصلت على الشهادة الجامعية ثم الماجستير ثم الدكتوراه. ولستُ من مؤيدي الإصرار على نيل الشهادات التعليمية؛ فالعمق المعرفي ليس مشروطًا بالشهادات بل بالشغف المعرفي العميق المتجدد. أما الشهادات التعليمية من دون شغف بالعلم؛ فهي مجرد حلية اجتماعية؛ مثل الأساور للبنات؛ مجرد مظهر خارجي؛ لا يقوم على مضمون داخلي.

محمد الدميني

عبدالله السفر

أحمد الملا

بين السطور

هل قرأتَ كلّ هذه الكتب؟.

أحمد بن عبدالرحمن السبيهين

@aalsebaiheen

يبادرني بعض الأحباب في مكتبتي المنزلية المتواضعة أحياناً بالسؤال بشيء من الدهشة: "هل قرأت هذه الكُتب كُلّها"؟ وقد تعلّمتُ مع الزمن أن أُجيب كما أجاب "جبرا إبراهيم جبرا" حين قال: "لقد اطّلعتُ عليها كُلّها"! وقد أحسن جبرا في اقتناص أصدق وأدقّ الكلمات في إجابته.

ولرُبّ قاريء قال لنفسه: لم كلّ هذه الكُتب، ولم كل هذه القراءة؟

والحقيقة أن ألمُستويات المدنية عند الشعوب المُتقدّمة اليوم تُقاس بعدد الكُتب المطبوعة في هذه الثقافات، ولربما كلام كثير وكُتبٌ عديدة تُساعدنا على فهم أو تطبيق فكرة صغيرة، أو شرح طويل يُساعدنا على إدراك مفهوم عميق.. ففي رواية "الخيميائي" لباولو كويلو، يقول الرحّالة الإنجليزي لبطل الرواية، الشاب الأسباني: "إن أهمّ بحث في الكيمياء جاء في بضعة أسطُر"، فقال الشاب: "فلِمَ إذن كلّ هذه الكُتب"؟ فأجاب الرحّالة: "لكي تُساعدنا على فهم تلك الأسطر القليلة"!

فإذا كان الأمر كذلك أدركنا لِمَ يسيرُ المرء كلّ تلك الدروب الطويلة، ويتعثّر في محطّات الفهم، ويُعاني عسير الكُتب؟

والمنطق يقول: أن لا ضير في ذلك، فقد يكون الفهم عملاً يسيرُ المرء فيه، والمحاولة هي الفهم وطريقُه، فقد تكون رحلةٌ ما هي السَّير نفسه، والطريق هو الغاية، والوعي بالدّنيا خليطٌ من هذا وذاك؛ من كتابٍ وكلمة، ومن قِصّة حيوان ومسيرة شجرة، وغيمة وغمرة في بحر.. إذ تتعلّم من الذكي والخامل؛ فتأنس للذكاء الحادّ وترى فيه مِنحة ربّ العالمين، وتعجب مما يُخيّل إليك أنها بَلادة وقد تكون من الخير ومن العُمق الذي غابت عنك حِكمته.

وقد يجد قاريء الكتب، بعد جُهدٍ من القراءة والتعب، من يقول: دع كلّ هذا، فما تتعلّمه من الحياة هو أحسن مما يُمكن أن تُعطيك إياه هذه الكتب، فيجعل من القراءة أقلّ مراتب العلم، ويجعل أعظم مراتبه ما تعلّمه الإنسان من تجاربه الشخصية في الأشياء والناس!

ولكن هذا الرأي لا يُمكن أن يصمد أمام حقيقة أن الكتب هي حاملات للحضارة، فبدون الكتب: فالتاريخ صامت، والآداب ساذجة، والعلوم ناقصة، والتفكير والابتكار جامدان.. بدون الكتب يكاد التطوّر الحضاري ألا يكون، فالكتب هي مُحرّكات التغيير، وهي نوافذ على العالم الفسيح، ومنارات تُضيء بحار الأزمنة.

ولكن من جانب آخر، لو كانت الكتب تسوق لنا الفهم، لكان أمر الفهم أمراً يسيراً، ولكانت البشرية أسعد بفهمها، ولكان الناس أقرب للملائكة ولأخلاق الأنبياء.. ولكن الفهم مطلبٌ عسير، تشيب له هامة الشيخ الجليل، وتنحني قامته وهو مُكِبٌّ على خير الكتب يطلب الفهم، ثم يُغادر العالم وهو يأمل في فهمٍ قد يجيء بعضه وقد لا يجيء، وقد كان الإمام "ابن تيمية" رحمه الله يُعفّر وجهه في المساجد القديمة، ويقول: "يا مُعلّم آدم علّمني، ويا مُفهّم سليمان فهّمني".

فليست الحكمة إذن وليدة الكتب وحدها، وليست كثرة القراءة دائماً ضماناً للنضج، غير أنها من خير الدروب التي يسلكها الإنسان، فتوصله للحكمة والعلم والعمل الصالح.

ولذلك فالبقاء المستمر مع الكتب فقط، بعيداً عن حركة الحياة اليومية، عُزلة عن المجتمع، ونقص في التجربة والفهم.. فالمطالعة عون على حركة المرء الدائبة لا تعويضاً عنها، والكتب مراجع للحياة لا بديلة لها، لأن أمر هذه الحياة بمُختلَف جوانبها مُهمٌّ أيضاً: التجارب والابتكار، والتمتّع بالجمال، والدهشة والإعجاب لكلّ جديد.

القراءة هي النافذة نحو الحياة، ولكنها ليست السّجن الذي نُحبس فيه، كما أن هناك أشياء كثيرة غير القراءة تحبس العقل، وتجعله مُتلقيّاً سلبيّاً في حياتنا المُعاصرة..يقول "ستيفن كوفي" في كتابه "العادات السبع": "إننا ما إن نترك مقاعد الدراسة، حتى يترك العديدون مِنّا عقولهم للتجمّد، فلا نقوم بقراءة جادّة، ولا نستكشف أيّة مواضيع جديدة بعُمقٍ حقيقي خارج دائرة عملنا، ولا نُفكّر بطريقة تحليلية نختبر فيها قُدراتنا الفكرية.. وبدلاً من ذلك نجلس في صمت أمام التلفزيون لساعات طويلة، والتلفزيون مثل الجسد: خادم جيّد وسيّد سيّء، والشخص الذي لا يقرأ ليس خيراً من الأُميّ الذي لا يعرف القراءة".

إن الرغبة في المعرفة الواسعة سِمةٌ رائعة إن استولتْ على الإنسان، لأنها لا تعود عليه بالفائدة وحده، بل تمُدّ نورها عبرهُ إلى مجتمع فسيح من البشر.. إنه نورٌ يهديها في ظُلمات جهلها، وكُلّما اتّسعت معارفه عَظُم نوره، وتنوّعت مآخذه وألوانه، وزاد الوجود من حوله جمالاً وبهاءً.

شرفات

العدد - (29)
أغسطس 2026 م
صفر 1448هـ

ملحق شهري يصدر عن مجلة «اليمامة» يُعنى بالشؤون الثقافية والأدبية.

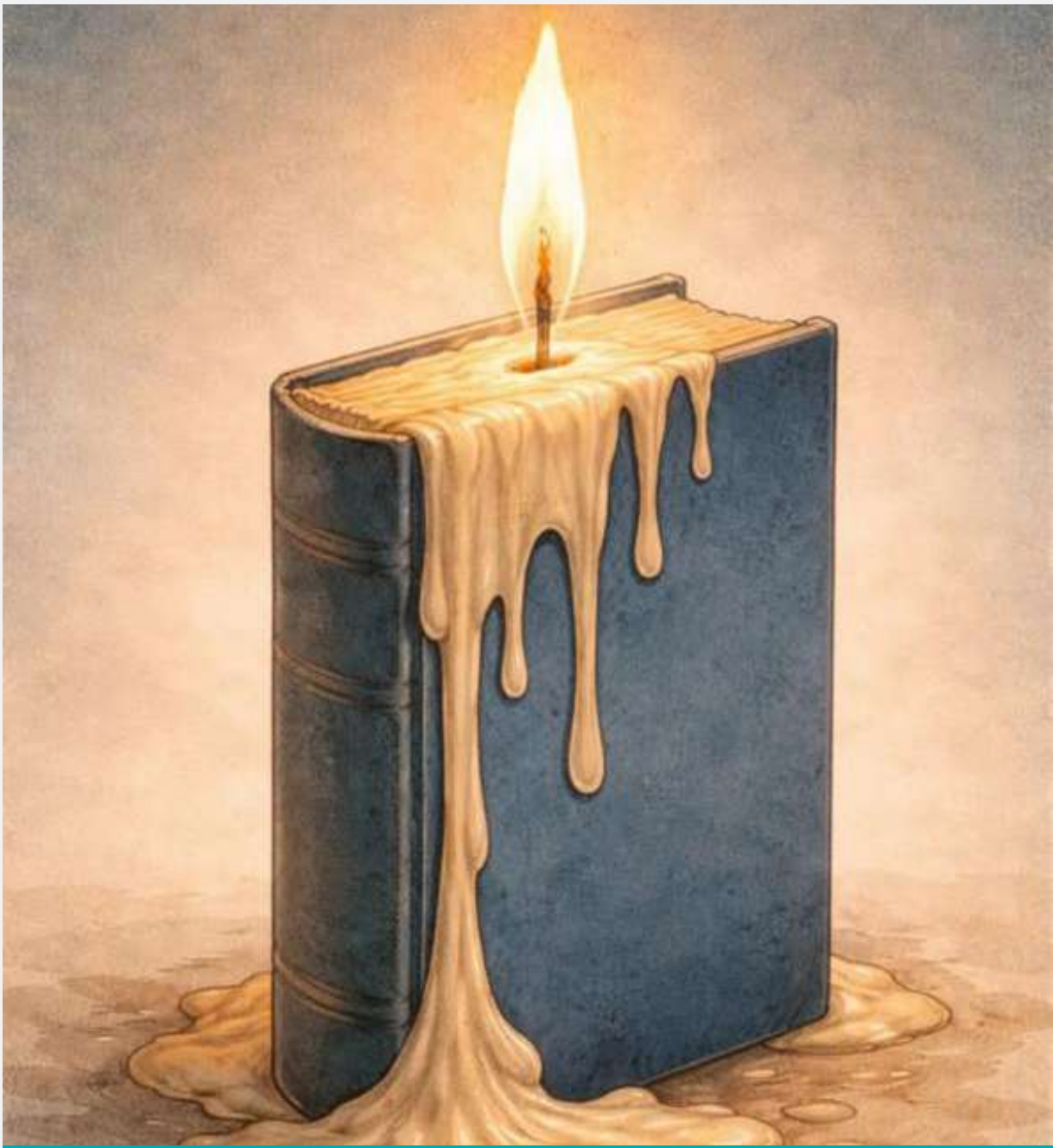

شخصياتنا الثقافية ..
شموع الوطن.

عبدالرحيم الأحمدي..
ملف خاص.

د. علي الحمود..
الرواية التاريخية.

محمد التركي..
أربعة نصوص جديدة.

العـــدد (29)
اغسطس 2026
صفر 1448هـ

42 د. عبدالواحد الحميد..
مثقف عاش للكتاب.

43 د.عبدالعزيز السبيّل..
الأحمدي وذاكرة المكان.

37 د.مرزوق بن تنباك..
رائد المشاريع الثقافية.

50 عبدالمحسن يوسف ..
غوايات الكتب المدهشة.

63 د.حسن النعمي .. عندما
تكون الأمنيات مصيدة.

48 فهد العتيق .. لماذا ترجم
«حسين» الى اليابانية.

54 ابراهيم زولي: من بيت
باريسي إلى خيمة في نجد.

أما قبل

عبدالعزيز الخزام

شخصياتنا الثقافية.

عبدالرحيم الأحمدي ليس أكبر الكتاب والناشرين السعوديين سنا، ولا أشهرهم، لكنه واحد من أكثرهم امتلاكا للمبادرات والمواقف. في ذروة الانفجار الرقمي خلال العقد الثاني من الألفية الجديدة، ومع الانتشار المتسارع لأجهزة «كيندل» و«آيباد»، وصيغ الكتب الإلكترونية، كانت دار النشر التي يملكها الأحمدي، مثل غيرها من دور النشر، تعيش واحدة من أصعب مراحلها مع تراجع مبيعات الكتاب الورقي، وبينما كانت دور النشر تبحث عن حلول، كان الأحمدي يتلقى جائزة ثقافية يابانية سخية قيمتها أكثر من مليون ين ياباني. وكان من شأن القيمة المالية للجائزة أن تخفف شيئا من خسائر الدار المتفاقمة آنذاك، لكنه، كما فعل في محطات كثيرة من حياته، اختار قبول وسام الجائزة، واعتذر عن قيمتها المالية، مؤكدا أن المال لم يكن يوما غايته. وكأن الثقافة كانت تضعه في كل مرحلة أمام اختبار جديد، وكان ينجح فيه لأنه لم يكن مجرد ناشر أو رجل أعمال، وإنما صاحب مشروع ورسالة.

هذا أحد الشخصيات الثقافية الوطنية التي اخترنا تقديمها في ملفات موسعة في هذا الملحق، ولم يكن هدفنا الاحتفاء بالأسماء بقدر ما كان البحث عن المشاريع التي صنعت أثرا في الحركة الثقافية المحلية. وليس من المبالغة القول إن كثيرا من هذه الشخصيات تستحق أن تنال جائزة شخصية العام التي تقدمها وزارة الثقافة، أو على الأقل تحظى بالتفاتة مؤسسية تعيد قراءة مشاريعها وتكشف ما بقي لديها حبيس الأدراج أو في انتظار من يتبناه.

ولعلنا ونحن نقدم اليوم الملف الثلاثين من سلسلة شخصيات «شرفات»، نتوقف قليلا أمام هذه التجربة. فقد كشفت لنا الملفات الثلاثون أن وراء كل شخصية ثقافية مشروعا أكبر من سيرتها، وأن وراء كل مشروع كتبا وأفكارا ومبادرات لم تكتمل بعد. ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن كل ملف قدمناه كان يتضمن عنوانا واحدا على الأقل يستحق أن يكون على طاولة المسؤولين في الوزارة.

فما أكثر المشاريع التي لا ينقصها إلا من يلتفت إليها.

aalkhuzam@yamamahmag.com

38 د.حنان الأحمدي.. الوالد وحياة البداوة.

53 صابرين البحري.. أوصياء الثقافة .

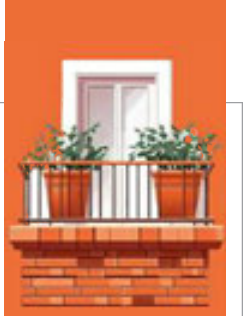

الحدث

منصور الزغيبي: هدفنا بناء تجربة ثقافية تصنع أثرًا..

وجوه جديدة تقود الحراك الثقافي السعودي.

حوار: عبدالمحسن السناني

قدّمت مبادرة الشريك الأدبي للمشهد الثقافي السعودي نماذج جديدة من صناع المبادرات الثقافية، الذين ساهموا في تصميم المبادرات، وإدارة البرامج، وبناء الشراكات، وتحويل الأفكار إلى مشاريع ذات أثر مجتمعي مستدام.

ومع اتساع نطاق المبادرة، تشكلت كوادر ثقافية تجمع بين الرؤية الإبداعية، والقدرة على التخطيط والتنفيذ، بما يعكس التحول الذي يشهده العمل الثقافي في المملكة نحو مزيد من الاحترافية والعمل المؤسسي.

وفي هذا السياق، برزت تجارب يقودها مثقفون ومبادرون، نجحوا في الانتقال من تنظيم الفعاليات إلى بناء مشاريع ثقافية متكاملة، تستند إلى الشراكات، ورؤية واضحة للأثر الثقافي والمجتمعي.

في هذا الحوار، يتحدث مؤسس ورئيس صالون نُبل الثقافي، الأستاذ منصور بن عمر الزغيبي، عن تجربته بوصفها أحد النماذج التي برزت في إطار مبادرة الشريك الأدبي، وكيف تحولت فكرة ثقافية إلى مشروع مجتمعي مستدام، وما يتطلبه بناء المبادرات الثقافية وصناعة أثرها في المملكة.

مساحةً للحوار والأدب

***ما الفكرة التي انطلق منها صالون نُبل الثقافي؟ وكيف تحولت إلى مشروع يقوم على الشراكة وصناعة الأثر؟ وما الذي يمثله اسم "نُبل" في هذه التجربة؟**

-وُلدت فكرة صالون نُبل الثقافي من علاقة مبكرة بالكتاب والقراءة، ومن إيمان راسخ بأن الثقافة لا ينبغي أن تبقى حبيسة القاعات أو محصورة في دائرة النخب، بل يجب أن تكون قريبة من المجتمع، حاضرةً في تفاصيل حياته، ومؤثرةً في وعيه وذائقته، وتناغماً مع المبادرات الثقافية الرسمية. ومن هذه القناعة جاءت فكرة " نُبل " ؛ ليكون مساحةً للحوار والأدب، ومنصةً تلتقي فيها التجارب والأجيال والتخصصات، وليجعل من العمل الثقافي ممارسةً مجتمعيةً مستدامة، تتجاوز حدود الفعاليات إلى بناء الوعي وصناعة الأثر..

ومنذ بدايته، كان الهدف ألا نكتفي بإقامة الفعاليات، بل أن نبني تجربة ثقافية تقوم على جودة المحتوى، واكتشاف المواهب، وصناعة الشراكات، وتحويل الأفكار إلى مبادرات تترك أثرًا ممتدًا.

أما اسم " نُبل " فلم يُختر لأنه اسمٌ جميل فحسب، بل لأنه يختصر الفلسفة التي يقوم عليها الصالون. فالنُّبل في تصورنا قيمةٌ تُوجِّه الفكرة قبل أن تُوجِّه العمل؛ نبلٌ في الكلمة، ونبلٌ في الحوار، ونبلٌ في الاختلاف، ونبلٌ في الشراكة، ونبلٌ في خدمة المجتمع. ولذلك حرصنا أن يكون الاسم انعكاسًا للهوية التي نحملها، وأن تكون كل مبادرة نقدمها جديرة بأن تنتمي إلى هذا المعنى. لذلك أردنا أن يكون الاسم هويةً ومعيارًا في الوقت نفسه؛ بحيث تحمل كل فعالية أو مبادرة أو شراكة شيئًا من هذا المعنى، وأن يظل صالون نُبل وفيًا لرسالته في نشر الوعي النبيل، والارتقاء بالذائقة، وتعزيز المعرفة، وجعل الثقافة أسلوب حياة

الثقافة ليست حكرًا على النخب

***ما أصعب اختبار واجه صالون نُبل في بداياته؟ وهل كانت التحديات في الموارد، أم في ترسيخ نموذج مختلف للعمل الثقافي؟**

-التحدي الأكبر لم يكن في الإمكانات، وإنما في ترسيخ مفهومٍ مختلف للعمل الثقافي، يقوم على أن الثقافة ليست حكرًا على النخب، بل حقٌ لكل أفراد المجتمع. كما

واجهنا تحدي الاستمرارية، لأن المبادرات الثقافية لا تنجح بالحماس وحده، وإنما تحتاج إلى رؤية واضحة، وإدارة واعية، وشراكات فاعلة، وفريق يؤمن بالرسالة. وتجاوزنا تلك التحديات بالعمل المتواصل، وجودة المحتوى، واحترام الجمهور، وبناء الثقة مع الشركاء، حتى أصبح الأثر الذي تحققه المبادرات هو أفضل تعريف بالصالون.

منظومة متكاملة

***كيف تُبنى الخريطة البرامجية لصالون نُبل؟ وما المعايير التي تحكم اختيار موضوعات تمتد من الأدب إلى الفنون والعلوم والرياضة؟**

-نحن لا ننظر إلى الأدب بوصفه مجالًا منفصلًا عن بقية المعارف، بل نراه مساحةً رحبة للحوار معها جميعًا. فالثقافة الحقيقية لا تعرف الحدود الجامدة بين التخصصات، بل تبحث عن نقاط الالتقاء التي تثري المعرفة وتوسع أفق الإنسان. ولذلك حرصنا على تقديم برامج تجمع بين الأدب والفلسفة، والفنون، والعلوم، والتراث، والرياضة، والقانون، والتقنية، وغيرها، لإيماننا بأن الإنسان لا يتكون من معرفة واحدة، وإنما من منظومة متكاملة من الخبرات والثقافات.

الشريك الأدبي

***برأيك، ما الذي أحدثته مبادرة الشريك الأدبي في بنية العمل الثقافي السعودي؟ وكيف انعكس هذا التحول على تجربة صالون نُبل؟**

-أرى أن مبادرة الشريك الأدبي من المبادرات الاستراتيجية التي أحدثت تحولًا مهمًا في العمل الأدبي والثقافي بالمملكة. فقد أسهمت في بناء بيئة أكثر احترافية، ورسخت مفهوم الشراكة بين الجهات الحكومية والقطاع غير الربحي والقطاع الخاص، ودفعت المبادرات الثقافية إلى تطوير برامجها، ورفع جودة مخرجاتها، وقياس أثرها المجتمعي.

وبالنسبة لنا، أتاحت المبادرة تنفيذ مشروعات نوعية، وإطلاق مسابقات وإصدارات ومبادرات، والتوسع في الشراكات والوصول إلى شرائح جديدة من المجتمع، بما ينسجم مع مستهدفات رؤية المملكة 2030 في جعل الثقافة جزءًا من الحياة اليومية.

> مبادرة الشريك الأدبي أحدثت تحولا مهما في العمل الأدبي والثقافي بالمملكة.

الاقتراب من المجتمع

***يلاحظ حرصكم على بناء شراكات متنوعة. ما الرسالة التي تسعون إلى إيصالها؟**

-نحن لا ننظر إلى الشراكة بوصفها غاية، وإنما وسيلة لصناعة أثرٍ ثقافي أوسع. وقد أثبتت التجربة أن الثقافة تستطيع أن تتقاطع مع التعليم، والصحة، والإعلام، والرياضة، والفنون، والقطاع غير الربحي، والقطاع الخاص، وأن كل مجال يحمل فرصة لبناء مبادرة تخدم الإنسان والمجتمع. لذلك حرصنا على أن يذهب الصالون إلى الناس، لا أن ينتظر الناس ليأتوا إليه، لأن الثقافة كلما اقتربت من المجتمع ازدادت تأثيرًا واستدامة.

ترسيخ مكانة المملكة

***بعد أن قطع صالون نُبل هذه الرحلة، كيف ترون ملامح المرحلة المقبلة؟ وما الرؤية التي تقود مشروعكم الثقافي في السنوات القادمة؟**

-ننظر إلى كل إنجاز باعتباره بداية لمرحلة جديدة، لا محطة أخيرة. ونطمح إلى تطوير صالون نُبل بوصفه منصة ثقافية وطنية تسهم في دعم المبدعين، وتعزيز القراءة، وتوثيق الحراك الأدبي، وبناء المبادرات المستدامة، مع توظيف التقنيات الحديثة والذكاء الاصطناعي في خدمة الثقافة. كما نعمل على توسيع حضور الأدب السعودي، وتعزيز جسوره مع العالم من خلال مشروعات نوعية تُبرز منجزه الثقافي، وتسهم في ترسيخ مكانة المملكة بوصفها حاضنة للإبداع والمعرفة.

الشغف بالثقافة

***كلمة أخيرة للشباب والشابات الذين يحملون شغفًا بالأدب والثقافة. ما الذي يحتاجه الشباب اليوم لتحويل شغفهم بالثقافة إلى مبادرات ومشاريع تصنع أثرًا في المجتمع؟**

-أقول لكل شاب وشابة يحملان شغفًا بالأدب والثقافة: اجعلوا المعرفة أساس رحلتكم، والقراءة رفيقة طريقكم، والإنسان غاية ما تقدمونه. فالثقافة ليست تكديسًا للمعلومات، وإنما بناءٌ للوعي، وتهذيبٌ للذائقة، ومسؤوليةٌ تجاه المجتمع. ولا تنشغلوا بسرعة الوصول بقدر انشغالكم بجودة ما تقدمون؛ فالأثر الحقيقي لا يصنعه الحضور المؤقت، بل يصنعه العمل المتقن، والاستمرار، والإخلاص للفكرة. وكل كتاب تقرؤونه، وكل تجربة تخوضونها، وكل مبادرة تطلقونها بإتقان، تسهم في بناء شخصيتكم قبل أن تسهم في خدمة الآخرين. كما أوصيهم بالانفتاح على مختلف مجالات المعرفة، وبناء الشراكات. وأختم بتوصية أراها من أهم المهارات في هذا العصر، وهي تطوير مهارات الاتصال والتواصل؛ فالمثقف الذي يجمع بين عمق الثقافة، وحسن التواصل، والقدرة على الإنصات، يكون أقدر على صناعة الأثر، وخدمة الثقافة، والإسهام في بناء مجتمع أكثر وعيًا ومعرفة.

> التحدي الحقيقي لم يكن في الإمكانات، ولكن في ترسيخ مفهوم مختلف للعمل الثقافي .

الملف

مسيرة حافلة امتدت أكثر من سبعة عقود بين التأليف والنشر وبناء المشاريع الثقافية..

عبدالرحيم الأحمدي: كرَّستُ حياتي لاستعادة ذاكرتنا الثقافية قبل أن تضيع.

يعد عبد الرحيم الأحمدي أحد أبرز الأسماء التي أسهمت في تشكيل المشهد الثقافي المحلي، جامعًا بين الشعر والبحث والتوثيق والنشر والعمل الثقافي المؤسسي. فمنذ بداياته المبكرة في الصحافة والكتابة، مرورا بعمله في التنمية الاجتماعية والأمانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية، وصولاً إلى تأسيس دار المفردات وإطلاق عدد من المشاريع الموسوعية، ظل حاضرا بوصفه ناشرا، وباحثًا في الأدب الشعبي، وصاحب مبادرات ثقافية تركت أثرها في مسيرة الثقافة المحلية.

وبمناسبة بلوغه التسعين من عمره، نخصص ملف هذا العدد لهذا الرائد الثقافي، احتفاء وتقديرا لمسيرة امتدت أكثر من سبعة عقود، ترك خلالها بصمات بارزة في البحث والتأليف والنشر والتوثيق الثقافي.

ويضم الملف حوارا مطولا مع الأحمدي، يعود فيه إلى محطات مفصلية من حياته، منذ نشأته في وادي الصفراء وبداياته مع الشعر والصحافة، مرورًا بتجاربه في التنمية الاجتماعية والأمانة العامة لمجلس التعاون، وصولاً إلى تأسيس "دار المفردات للنشر" قبل 33 عاما، ورؤيته لقضايا الأدب الشعبي والنشر والمشهد الثقافي. كما يضم الملف شهادات لعدد من المثقفين والأكاديميين الذين رافقوا تجربته أو عايشوا منجزه، يستحضرون فيها أثره الثقافي والإنساني، وإسهاماته في خدمة الأدب والثقافة وصناعة الكتاب، فيما يقدم أبنائه شهادات من داخل البيت عن شخصية الأب والإنسان.

البدايات الأولى

*إذا انطلقنا من البدايات الأولى لعبدالرحيم الاحمدي، كيف أسهمت البيئة التي نشأت فيها، وحضور اسم والدك الشاعر، في تشكيل شخصيتك الأدبية، وفي ولادة شغفك المبكر بالشعر الشعبي وجمعه؟

-لقد كان والدي شاعراً، وقد ورثتُ عنه هذه الشخصية وخلعت عليّ آثاره. بدأت فكرة جمع القصائد النبطية من الشعراء والمشاركة في فنون "الكسرات" والأشعار الشعبية تتبلور عندي منذ وقت مبكر، وكنت أجمع تلك القصائد وأشارك في المساجلات، وأتفاعل مع الجماهير الذين كانوا يراسلونني وأقوم بالرد عليهم.

الشعر والهوى والحب

*في أي مرحلة عمرية بدأ شغفك بالشعر يتبلور؟ وكيف أثرت البيئة الاجتماعية في وادي الصفراء على تلك البدايات، في ظل النظرة السائدة آنذاك إلى الشعر والشعراء؟

-كنت في الثالثة عشرة من عمري، وكنت حينها في "وادي الصفراء" قبل انتقالي إلى مكة المكرمة. كان عمي (زوج والدتي) هو من يتولى تربيتي، وكان يقدمني للناس ويقول لهم: "هذا ولدكم، ولا شأن لي به"، وذلك لأن مجتمعات البادية في ذلك الوقت كانت تنظر للشعر بنوع من التحفظ وتمنع الشباب من الانشغال به؛ لأنهم يرون أنه "يسرح بهم" ويعلمهم الهوى والحب وما إلى ذلك، فكانوا يمنعون أبناءهم من حفظ الشعر أو قوله. أما أنا، فقد كنت أقول الشعر وأحفظه.

الغزل والعثري

*كم كان عمرك حين توفي والدك؟ وما الأثر الذي تركه عمك، ومجلسه العامر بالشعراء، في تشكيل بداياتك الشعرية؟

-كان عمري عاماً واحداً، ولذلك لم أعرفه أبداً، ولهذا كنت أنادي عمي بلقب "أبي" لأنه هو من رباني حتى السنة الرابعة الابتدائية، وبعد ذلك انتقلت إلى مكة. كان مجلس عمي بمثابة منتدى للشعراء الذين كانوا يزورونه ويناقشونني ويحاولون استثارتي بأبياتهم الشعرية. وبسبب تلك البيئة، قلت أبياتاً في نساء متميزات لدينا كان لباسهن يسمى "العثري"، وكنت أتغزل بهن عند ذهابهن لورد البئر أو "العين" (النبع)، فقلت:

"اللّه يجازي نزل رحقان
يومن ياتن كما الكدري
مدري كما نورة البستان
والا كما طلعة الفجري".

بداية المساجلات الشعرية

بدأ الشعراء يزورونني ويحرضونني على المساجلات الشعرية. وفي تلك الفترة كنت أقرأ عليهم قصة "عنترة بن شداد"، وفي إحدى الليالي توقفت عند فصل محدد، ففوجئت بأحدهم يطرق باب بيتنا في منتصف الليل ويقول لي: "أخرج عنترة من السجن" في القراءة القادمة، وأعطاني مبلغاً مالياً قدره أربعة قروش، لأنه ذهب إلى بيته ولم يستطع النوم تأثراً بوقوع عنترة في الأسر.

* عمي لما اكتشف شاعريتي كان يقدمني للناس ويقول لهم: «هذا ولدكم، ولا شأن لي به»

* بعد «الكسرة» الأولى بدأ الشعراء يزورونني ويحرضونني على المساجلات الشعرية.

* أحد أفراد الجماعة طرق بابي منتصف الليل يطالبني بإخراج عنترة من السجن.

* ملفات «الديرة» التي ضاعت كانت تضم قصائد نادرة لبديوي الوقداني، والشريف حمزة، والشريف بركات وتدويناً للفصول السنوية والمواسم الزراعية.

* هذه اذن أول "كسرة" تقولها؟ حدثنا متى أصبحت جزءًا من مجالس الشعر، تقرأ السير الشعبية وتخوض المساجلات مع الشعراء؟

-نعم كانت هذه أول "كسرة"، وبعدها

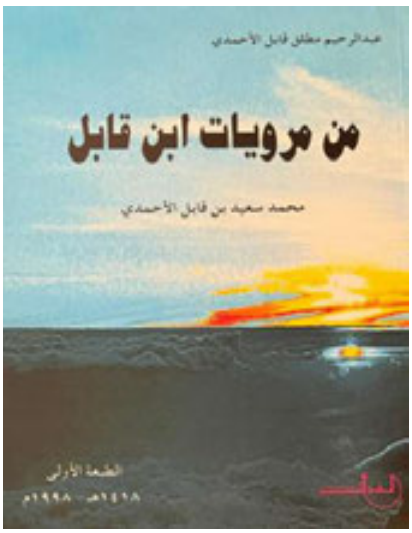

كنت أقرأ لهم أيضاً قصص "أبو زيد الهلالي" و"ذياب بن غانم" (من الأمازيغ في الجزائر). وقصة بني هلال وتغريبتهم بدأت من صراع نشأ بين مصر والسودان، حيث استعان بهم الفاطميون ضد المهدية في تونس، فأشار الوزراء على الخليفة الفاطمي بأن يمنحهم بلاد المهدية ويمدهم بالسلاح والمال ليتخلص منهم، فذهبوا إلى هناك ودمروا حضارة المهدية. وقد صادف ذلك وجود ابن خلدون (وهو حضرمي الأصل لكنه كان في تونس آنذاك)، فكتب نظريته في علم الاجتماع التي سجلها في كتابه "المبتدأ والخبر".

الملفات الضائعة

* يبدو أن تلك المجالس، وما كنت تقرؤه فيها من شعر وسير شعبية، لم يكتفِ بصقل ذائقتك الأدبية،

بل قادك إلى التوثيق والبحث. كيف بدأت علاقتك بجمع الشعر الشعبي وتدوينه؟

-صحيح، كانوا يجلسون بجواري وأنا أوثق القصائد النبطية لشعراء كبار مثل بديوي الوقداني، والشريف حمزة، والشريف بركات وغيرهم. لكن للأسف، تركت تلك الملفات في "الديرة" (القرية) على أمل العودة، ولم أعد، فضاعت تلك الملفات التي كانت تضم قصائد نادرة جداً، وتدويناً للفصول السنوية والمواسم الزراعية، وما يخص الفنون الشعبية والألعاب. حاولت لاحقاً استعادتها من صدور الناس، ومن هنا نشأ شغفي بالأدب الشعبي والبحث فيه.

معركة مع فهد المارك

*** كيف كانت بدايتك مع الصحافة؟ وما قصة المقال المبكر في مسيرتك والذي فتح لك باب السجال مع الكاتب الكبير فهد المارك في سنواتك الأولى؟**

-بدأت الكتابة عام 1375هـ حين صدر كتاب "من شيم العرب". أحضر لي الصديق ماجد فيروزي (أبو هاني) الكتاب وقال لي: "خذ هذا، إنه كلام بدو لا أفهمه". قرأت الكتاب وانتقدت مؤلفه فهد المارك في مقال حاد؛ لأنني عتبت عليه كيف يذكر القبائل النجدية ويغفل الحجازية. وكان المارك حينها يعمل سكرتيراً في السفارة السعودية بدمشق، فرد عليّ بمقال من دمشق، فرددت عليه بمقال تحت عنوان "المارك والمعارك".

أتذكر في أحد الأيام، وقفت سيارة "شفروليه" موديل 56 أمام منزلي، وخرج منها رجل أسمر طويل يطلب مقابلة "الكاتب عبد الرحيم الأحمدي"، وحين دخل لمجلسي المتواضع فوجئ بأنني شاب صغير، إذ كان يتوقع رجلاً مسناً. كان مجلسي متواضعاً ومفروشاً بـ "حنبل هندي" مبقع بالحليب والشاي من جلسات السمر. استغرب فهد المارك وقال لي: "أنا أبحث عن الكاتب"، فقلت له: "أنا هو الكاتب". دعوته للعشاء فاعتذر لارتباطه مع الأديب أحمد جمال (سكرتير تحرير جريدة البلاد السعودية حينها)، والذي كان يعرفني لأنني أكتب عندهم في الجريدة أيام طاهر زمخشري وعبد الله عريف. زرت المارك لاحقاً في فندق "الكندرة" بجدة مع أحد أصحابي، وأخبرني أن أحمد جمال قال له عني: "هذا الشاب يكتب عندنا منذ زمن، رغم أن أهله أميون لا يقرؤون". كان المارك حينها يجمع تبرعات لأبناء المجاهدين في فلسطين، وهي الجمعية التي تولاها لاحقاً حمزة عابد. والمفارقة أن المارك رد عليّ في الصحافة باسم مستعار هو "خالد خضر" (مدعياً أنه طالب في مدرسة ابن خلدون بدمشق)، لكنه نسي نفسه واعترف في ثنايا المقال بأنه لم يقصد العنصرية، فاصطدت عليه هذه الكلمة. وقد كتب "أبو يعرب" عن

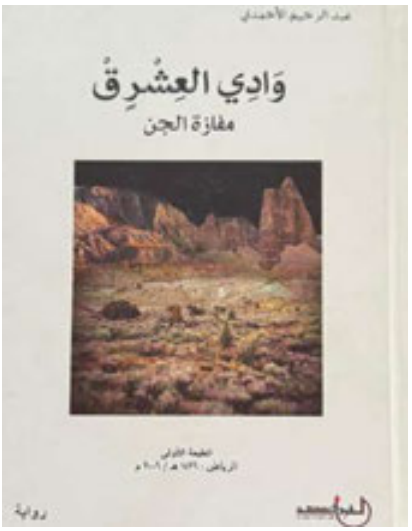

هذه المساجلات وعن بدايات كتاب كبار مثل حمد الجاسر. قابلت المارك بعد سنوات طويلة في وزارة العمل حين كان يطلب مساهمة لجمعية اللاجئين والأيتام السعوديين من عبدالوهاب عطار. وكان حينها يعاني من سرطان في رجله، وللأسف بُترت رجله السليمة بدلاً من المصابة نتيجة خطأ طبي. والمفارقة أن أحفادي درسوا مع أحفاد ابنه عبد المحسن (الذي صار سفيراً في البحرين)، وقد دعاني عبد المحسن لزيارته هناك تقديراً لما كتبته عن والده ومدحي له في مواقف كثيرة.

دكان مصلح الأحمدي

***في مسيرتك الطويلة، لا بد أن هناك محطات وذكريات ما زالت تحتفظ بمكانة خاصة في وجدانك؟**

-من ذكرياتي العزيزة فوزي باشتراك سنوي في مجلة "العربي" منذ عددها الأول وأنا طالب متوسط في مكة، حيث أرسلت مقترحاتي لأبواب المجلة من "دكان مصلح الأحمدي"، وكان حامد مطاوع يأخذ مقالاتي من الدكان ليوصلها لجدة.

ذات مرة صححت الرياضيات لولدي بعلمي وخبرتي، فكتب الأستاذ تعليقاً: "هذا ليس حل طالب"، لأنني حللتها بخبرتي بينما الرياضيات الحديثة تغيرت؛ وهذا يظهر أهمية الخبرة المتوارثة.

دعوة مبكرة لإنشاء الأندية

***ربما لا يعلم الكثير أنك كنت من أوائل الداعين إلى إنشاء الأندية الأدبية في المملكة عبر مقال نشر في العام الهجري١٣٧٥ أي قبل انشاء الاندية الادبية بنحو عشرين عاما. ما الذي دفعك إلى تبني هذه الفكرة في ذلك الوقت المبكر؟ وكيف كان صداها لدى المثقفين؟**

-نعم، بدأت الكتابة بمقال "رحم الله المدرسة"، فرد عليّ أحمد جمال بمقال "رعى الله المدرسة". وفي عام 1375هـ، نشرت في مجلة "حراء" دعوة لإنشاء أندية أدبية، وعلق عليها أحمد عبد الغفور عطار واصفاً إياي بـ "الطالب النجيب"، وأيد وجهة نظري في أن كلمة "أستاذ" ليست عربية لأنه لا يجتمع السين والذال في كلمة عربية واحدة.

استمرت المسيرة، وبسبب شغفي بالأدب الشعبي كتبت فيه أبحاثاً كثيرة. وبناءً على توصية من الدكتور سعد الصويان لرئيس تحرير جريدة الرياض (تركي السديري)، بدأت في كتابة زاوية أسبوعية كل يوم أربعاء بعنوان "أحاديث في الأدب الشعبي"، واستمريت فيها لسنوات أحلل القصص والعادات والتقاليد، مما لاقى قبولاً كبيراً لدى القراء الذين صاروا يتابعونها لأنها تلامس وجدانهم.

رفضت عرض الصويان

الأحمدي يتحدث للزميل عبدالعزيز الخزام بحضور الأستاذ محمد القشعمي

*هل طلب منك الصويان مراجعة موسوعة الأدب التقليدي؟ ولماذا فضلت لاحقًا المضي في مشروعك الخاص على التفرغ للموسوعة؟

-نعم، عرض عليّ الصويان مراجعة أربع مجلدات من موسوعته (المكونة من 12 مجلداً) تخص الأدب الشعبي والطب الشعبي والزراعة، فأضفت عليها معلومات كنت أحفظها منذ صغري. وشارك في المراجعة أيضاً الأستاذ سعد الغريبي. عرض عليّ الصويان حينها التفرغ للموسوعة وترك دار المفردات، لكنني رفضت لأن فكرة الدار كانت قد نضجت عندي أثناء عملي في مجلس التعاون الخليجي.

ولادة "دار المفردات"

* لننتقل إلى مشروعك المؤسسي. كيف ولدت فكرة "دار المفردات"، وكيف تطورت من مجلس ثقافي إلى واحدة من أبرز المبادرات في خدمة الكتاب السعودي، وصولًا إلى إنجاز "موسوعة الأدب العربي السعودي الحديث"؟

-بدأت الدار كمقر لندوة ثقافية أسبوعية (السبتية الآن) بدأت بعد حمد الجاسر، وحضرها كبار المثقفين مثل منصور الحازمي، وعبد الرحمن الأنصاري، وعزت خطاب، وعبد الله المعيقل، ومرزوق بن تنباك، واستمرت الندوة حتى يومنا هذا. أما "موسوعة الأدب العربي السعودي الحديث"، فقد كانت فكرة الدكتور منصور الحازمي، واتفق مع الدكتور عبد الرحمن الأنصاري على طلب تمويلها من الأمير سلطان -رحمه الله- الذي رصد لها مبلغ 3 ملايين ريال. صدرت الموسوعة في عشرة مجلدات وتؤرخ لمراحل التأسيس والتجديد والتحديث، وترجمت للإنجليزية واليابانية والفرنسية والروسية (عبر النسخة الإنجليزية). استعنا في الترجمة بمركز "بروتا" التابع للأديبة سلمى الخضراء الجيوسي في أمريكا، ونشرناها عبر دار نشر إنجليزية لتصل لـ "أمازون"، وجاءتنا طلبات من الصين للاستفادة منها. وقد أثارت الموسوعة جدلاً لأنها اعتبرت "مختارات" واقتصرت على أكاديميين من جامعة الملك سعود، مما جعل البعض مثل ابن ادريس وسلطان القحطاني ينتقدونها.

الصالونات الأدبية

* بعد عقود من إشرافكم على "السبتية"، كيف تنظر إلى دور الصالونات الأدبية اليوم؟ وهل ما زالت قادرة على أداء رسالتها في زمن المنصات الرقمية؟

-نعم، ما زلت أؤمن بأن الصالونات الأدبية تؤدي دورًا لا يمكن أن تعوضه المنصات الرقمية؛ فهي تتيح حوارًا مباشرًا وعميقًا، وتجمع أصحاب الخبرات والمعارف في نقاشات تثري الجميع. وما استمرار "السبتية" حتى اليوم إلا دليل على حاجتنا إلى هذا النوع من اللقاءات الثقافية. ويشارك في الندوة عدد من المثقفين والباحثين الذين يثرونها بخبراتهم.

مراحل تطور الدرعية

*ارتبطت بالدرعية منذ وقت مبكر، وشهدت مراحل تحولها حتى غدت إحدى أبرز الوجهات الثقافية والسياحية في المملكة. كيف بدأت تلك العلاقة؟ وما أبرز المحطات التي ما زالت عالقة في ذاكرتك؟

-نعم، انتقلت للعمل في الدرعية عام 1392هـ قادماً من وادي فاطمة، وتابعت مراحل تطورها من أيام الشيخ الباهلي حتى أصبحت الآن منطقة سياحية كبرى كالبجيري. كما عملت في "عرقة" لمدة سنة في مركز التنمية قبل المدفعية وأنشأت فيها الجمعية التعاونية التي استلمها محمد الرواف.

العلاقة مع اليابانيين

*تتمتع بعلاقة مميزة مع المؤسسات العلمية اليابانية، فكيف تحولت دراساتك الميدانية في التراث الشعبي إلى جسر للتواصل العلمي مع الباحثين اليابانيين، وصولًا إلى التكريم الذي

حظيت به هناك؟

-بـدأت علاقتـي بهـم عـام 1968م في وادي فاطمـة، حين زارتني باحثة يابانية (بروفيسورة ومديرة تخصص التـراث الشـعبي فـي جامعـة نـارا) وكان زوجهـا حينها السـكرتير الأول فـي السـفارة اليابانيـة. كانـت تعد دراسـة أنثروبولوجية عن "قرى البدو والتحولات الاجتماعية والاقتصادية". استمرت العلاقة عقوداً، وصار زوجها لاحقاً مديراً لشـؤون الشـرق الأوسط بـوزارة الخارجية اليابانية، ثم سـفيراً فـي الإمـارات وبعد ذلك سـفيراً في مصر. لقد اسـتضافوني فـي اليابان لمـدة 15 يومـاً وطفـت بهـا كلهـا. هذه الباحثة أوصـت قبل وفاتها بأن تُخصـص ثروتهـا العلميـة والمادية لتأسيس "مؤسسـة ثقافة الصحراء"، وحضـرت أنـا وابنتـي حنـان حفـل التأسـيس ونلت جائزة علمية يابانية لجهودي في التوثيـق الميداني. وقد شـاركتني في الجائزة دكتورة يابانية أجرت بحثـاً في منغوليا حول "التطور

كيـف تمـارس هذا الـدور؟ ومـا الذي يدفعـك إلى تبنـي بعض المشـاريع البحثية؟

-نحـن نراجـع الكتـب لغويـاً وفنيـاً بالتشـاور مـع المؤلفين. وقـد تبنينا باحثين مثل اللواء عبد العزيز الحازمي الذي اكتشف نقوشاً أثرية هامة تعود

* بدأت الكتابة بمعركة أدبية مع فهد المارك.
* كنت أرسلت مقترحاتي لمجلة العربي من «دكان مصلح الأحمدي». وحامد مطاوع كان هو الذي يأخذ مقالاتي من الدكان.
* في عام 375اهـ. نشرت مقالا في مجلة «حراء» أدعو فيه لإنشاء أندية أدبية

الحضـاري"، ووجدنا تشـابهاً كبيراً فـي النتائج؛ حيـث خلصنـا إلى أن الطبيعـة واحـدة، وأن القرية العربية (والمنغوليـة) تزحـف نحـو المدينـة والمدينة تزحف نحو القرية. كما تبرع مركـز الملك فيصل لهذه المؤسسـة بمبلـغ 250 ألـف ريال حيـن واجهت صعوبات مالية.

التصحيح اللغوي

* لم يقتصر دورك على نشـر الكتب، بل امتد إلـى مراجعتها علميًا ولغويًا، ودعم عدد مـن الباحثين والمؤلفين.

لما قبل الإسـلام (مثل الـلات والعزى ومنـات)، وعمر عبد الجبـار الذي كتب موسوعة المناهج ورواية عن المنطقة.

دعم المؤلف

* مـن خـلال تجربتـك الممتـدة فـي التأليـف والنشـر، كيـف تقيّـم واقـع صناعة النشـر في المملكـة؟ وما أبرز المقترحات التي ترى أنها ستسهم في دعم المؤلف والكتاب السعودي؟

-صناعة النشـر تعثرت بتوقف الوزارة عن شـراء الكتب ودعم المؤلفين كما كان يحدث أيام الدكتور السبيل وإياد مدني. أقترح دعم المؤلفين كما تدعم كرة القدم، لأن التأليف يعبر عن الفكر الوطني.

* كيف أسـهمت تجربتـك العملية في مجلس التعاون لـدول الخليج العربية في توسـيع مشـروعك الثقافـي؟ وما أبـرز المبادرات التـي أنجزتها في تلك المرحلة؟

-عملي مديراً لإدارة الشباب والرياضة في المجلس كان ثرياً جداً، وقد أشـاد بجهـودي بلال البدور (سـفير الإمارات السـابق) فـي مقـال بعنـوان "ترجل الأحمدي" ذكر فيه جهودي في اللجان الرياضيـة والعلميـة والكشـفية. كما أصدرت "دليل الأدباء في دول مجلس التعاون" بطبعتين.

تطوير الأندية الأدبية

* كيف تنظرون إلى المشـهد الثقافي اليوم، في ظل المبادرات الجديدة مثل "الشريك الأدبي" والمقاهي الثقافية؟ وهل ترون أنهـا كافية لتعزيز الحراك الثقافي؟

-هـذه المبـادرات هي أفـكار جديدة، لكن بعض الأدبـاء لا يفضلون ارتياد المقاهـي لأنها قد لا تليـق بوقارهم. الأهم هو تطوير الأندية الأدبية ليكون فيها برامج نشر ومستشارون، وتقييم مسيرتها التي بلغت 50 عاماً. في عهد الأميـر فيصل بـن فهـد، كان الوضع الثقافي في أوج عطائه بوجود جمعية الثقافة والفنون ومجلة "التوباد" التي كانت راقية جداً وتوقفت للأسف.

رسالة لوزارة الثقافة

* بعد هذه المسيرة الحافلة بين البحث والتأليف والنشـر والعمل الثقافي، ما الكلمـة التـي تود أن تتركهـا للأجيال القادمـة وللمسـؤولين فـي وزارة الثقافة؟

-أنـا ممتـن لتكريم منتدى السـبتية لـي، وأعتبـره تكريماً لـدار المفردات ولأسـرتي. ورسـالتي لـوزارة الثقافة: الثقافة فكـر ومحتوى وليسـت مجرد "طبخ وأزياء"؛ لـذا يجب وضع معايير دقيقـة للنشـر لضمان خـروج الكتب القيمـة التي تخدم المجتمع. أما القناة الثقافية التلفزيونيـة فأنا أتابعها ولا أنتقـد أي نشـاط يصب فـي مصلحة الثقافة، لكننا نأمل دائماً في المزيد.

رائد المشاريع الثقافية.

د. مرزوق بن تنباك

إن الأستاذ عبد الرحيم الأحمدي يمثِّل تجربة ثقافية وإنسانية ثرية امتدت لعقود، أسهم خلالها في خدمة الأدب والثقافة ودعم المؤلفين والباحثين وترسيخ حضور الكتاب السعودي.

ومن أبرز ما يُذكر له تأسيسه «دار المفردات»، التي كانت على مدى سنوات طويلة ملتقى للمثقفين والأدباء والشعراء والباحثين، ومنبراً للحوار الثقافي الجاد، ومكاناً احتضن الإبداع في تنوّعه، سواء في الأدب الفصيح أو الأدب الشعبي، وأسهم في حفظ كثير من المنجزات الأدبية والتعريف بها.

كما أن أبا مـروان شاعر ومؤلف له إسهاماته المعروفة، ومن أعماله المهمة كتاب «ألف كسرة وكسرة»، الذي يعد توثيقاً أدبياً وفنياً لأحد ألوان التراث الحجازي، وهو جانب من مشروعه الكبير في العناية بالموروث الثقافي وتوثيقه للأجيال اللاحقة.

ولعل ما يلفت النظر في سيرته أنه لم يكن منشغلاً بصناعة اسمه بقدر انشغاله بصناعة الأثر. ولذلك نجد أن منجزه الثقافي أكبر من أن يُختزل في كتاب أو أمسية أو مناسبة، لأنه منجز تراكم عبر عقود طويلة من العمل والصبر والإيمان بدور الثقافة في بناء الإنسان والمجتمع.

ومن المشروعات التي تستحق وقفة خاصة مشروع «موسوعة الأدب السعودي»، الذي يُعد من المبادرات المبكرة في توثيق المنجز الأدبي السعودي والتعريف بأعلامه وتجاربهم. وقد جاء هذا المشروع في وقت كان الجدل الأكاديمي قائماً حول التصنيفات الوطنية أو المكانية للأدب، حيث كانت بعض الاتجاهات

النقدية تفضّل الاكتفاء بمفهوم الأدب العربي العام، دون الالتفات الكافي إلى الخصوصيات الثقافية والجغرافية التي تسهم في تشكيل التجارب الأدبية وتمنحها سماتها المميزة. ومن هنا اكتسب هذا المشروع أهميته بوصفه جهداً علمياً وثقافياً رائداً أسهم في ترسيخ الوعي بالأدب السعودي وتوثيق مسيرته وإبراز مكانته ضمن المشهد الأدبي العربي.

شهـــادات

شهادات من داخل البيت ..

حياة البداوة واليتم والفقر صقلت وجدانه ومنحته حسًا إنسانيًا مرهفًا.

د. حنان بنت عبدالرحيم الأحمدي*

شكّلت البداوة جزءًا أصيلًا من شخصية والدي، فظلّ طوال حياته معتزًا بتراث المجتمعات الصحراوية وما تختزنه من قيم ثقافية واجتماعية وإنسانية عميقة. لم يكن ينظر إلى البداوة بوصفها نمط حياة مضى، بل بوصفها منظومة متكاملة من القيم التي أسهمت في حفظ الأمن والاستقرار وتعزيز التماسك الاجتماعي ووحدة المجتمع، بعيدًا عن مظاهر العصبية والنعرات القبلية. وكان يستحضر دائمًا جذور تلك العادات والتقاليد وأسباب نشأتها، مستقرئًا أبعادها الحضارية ودورها في بناء الإنسان والمجتمع.

كما امتلك معرفة واسعة بتاريخ غرب الجزيرة العربية وأحوالها السياسية والاجتماعية قبل قيام الدولة السعودية المباركة، واستوعب التحولات الكبرى التي مهدت لظهور الدولة الحديثة القائمة على القانون والمؤسسات.

وقد تركت ظروف نشأته أثرًا بالغًا في تكوين شخصيته؛ إذ انتقل من حياة البداوة واليتم والفقر في ضواحي المدينة المنورة إلى كنف أعمامه في مكة المكرمة، فصقلت تلك التجارب وجدانه ومنحته حسًا إنسانيًا مرهفًا وقدرة استثنائية على استشعار حاجات الآخرين والتعاطف مع همومهم. وساهمت رحلاته في طلب العلم وقراءاته المتنوعة في أدب الشعوب وتاريخها في توسيع آفاقه وتعميق رؤيته. وبرغم اعتزازه الراسخ بإرث القبيلة والبداوة، اكتسب من خلال أسفاره واطلاعه أفقًا إنسانيًا واسعًا ورؤية مستنيرة جمعت بين الأصالة والانفتاح.

وانعكست هذه التجربة الغنية على مسيرته المهنية، التي امتدت من العمل في مجال تنمية المجتمعات الريفية والمحافظة على التراث وتعزيز دور المجتمعات المحلية، إلى العمل الإقليمي بعد تأسيس مجلس التعاون لدول الخليج العربية، حيث أسهم في قيادة العمل الثقافي والاجتماعي المشترك من خلال إدارة الإنسان والبيئة في المجلس. وبعد تقاعده، انطلق لآفاق العمل الثقافي الحر ، حيث أسس دار المفردات للنشر لتكون امتدادًا لشغفه الفكري والأدبي والثقافي، فأصبحت خلال العقدين الماضيين رافدًا مهمًا للمكتبة العربية وداعمًا للأدباء والمفكرين في المملكة.

وعلى الرغم من ثراء مسيرته المهنية والفكرية، ظل قريبًا من أسرته وأصدقائه، حاضرًا بحكمته وكرمه وحنانه، غنياً برصيده الأدبي سواء التقليدي والشعبي. وإذا كان لا يمكن اختزال مسيرة كهذه في كلمات قليلة، فإنني أراه نخلةً شامخةً ضاربة الجذور في تربة هذه الأرض وتراثها العريق، فيما تمتد أغصانها عاليًا في سماءات الفكر والأدب والثقافة الواسعه.

* مساعد رئيس مجلس الشورى.

حيان بن عبدالرحيم الاحمدي

«يا الذيب»..

كوني أصغر الأبناء جعل علاقتي بوالدي مختلفة وقريبة جدًا منه، فقد كنت دائمًا رفيقه في المناسبات والسفر واللقاءات العائلية. كنت أستمتع بكل لحظة أقضيها معه، ليس فقط لوجوده بجانبي، بل لأنني كنت أتعلم منه ومن أصدقائه الكثير من قيم الحياة والتجارب والخبرات التي صنعت جزءًا كبيرًا من شخصيتي. ومع مرور الوقت، لم يعودوا مجرد أصدقاء لوالدي، بل أصبحوا أصدقاء مقربين لي أيضًا، أشاركهم الأحاديث وأستفيد من تجاربهم ونظرتهم للحياة، وكنت دائمًا أرى فيهم محبة والدي لهم ومحبتهم الكبيرة له.

ومن أجمل التفاصيل التي تبقى قريبة من قلبي أنه نادرًا ما يناديني باسمي، بل يقول دائمًا: "يا الذيب"، وهي كلمة تحمل الكثير من المحبة والفخر وتشعرني بمكانتي الكبيرة عنده.

وكما أن لوالدي هذا الأثر العظيم، فلوالدتي دور لا يقل أهمية، فهي مصدر الحنان والطمأنينة والسند الحقيقي في حياتي. أتعلم منها الرحمة والصبر والاهتمام بالآخرين، وتكون دائمًا سببًا في نشر المحبة والراحة داخل البيت.

والداي بالنسبة لي أعظم نعمة، فمنهما أتعلم الأخلاق والقيم الجميلة ومعنى الاحترام والمحبة. ومع مرور الوقت أدرك أكثر أن ما أحمله من مبادئ وثقة بالنفس هو ثمرة تعبهما وتربيتهم، وسيبقى لهما في قلبي حب وتقدير لا يمكن للكلمات أن تصفه مهما كتبت أو تحدثت، وأسأل الله دائمًا أن يحفظهما ويجزيهما عني خير الجزاء، وأن أكون دائمًا مصدر فخر لهما كما كانا فهما أعظم نعمة في حياتي.

مروان بن عبدالرحيم الأحمدي

عن «أبو مروان».

عندما أنظر اليوم إلى مسيرة والدي الممتدة عبر تسعة عقود من العمر، لا أرى مجرد سنوات مرت، بل أرى قصة كفاح استثنائية. أرى رجلاً بدأ من الصفر، وشق طريقه بالإرادة والعمل والصبر، خطوةً بعد خطوة، حتى صنع لنفسه مكانةً محترمة ومسيرةً يعتز بها كل من عرفه. لم تكن الإنجازات التي حققها وليدة ظروف سهلة أو فرص استثنائية، بل كانت ثمرة جهد متواصل وعزيمة لا تعرف الاستسلام.

يا والدي العزيز... قد يكتب الناس عن إنجازاتك، ويتحدثون عن عطائك، ويحتفون بما قدمته طوال حياتك، لكن ما لا يعرفه كثيرون هو أنك بالنسبة لنا أكبر من كل تلك الإنجازات. فأنت الرجل الذي علّمنا معنى الكفاح دون أن يتحدث عنه كثيراً، ومعنى المسؤولية دون أن يطلب منا ذلك، ومعنى المحبة الصادقة التي تُترجم أفعالاً قبل أن تكون كلمات.

وإن كان للإنسان أن يختار اسمه مرة أخرى، لاخترت بكل فخر أن أكون «مروان ابن عبدالرحيم». وأسأل الله أن يمدك بالصحة والعافية، وأن يبارك في عمرك، وأن يديمك لنا سنداً وفخراً. فمهما تقدمت بنا السنوات، سيبقى أجمل ما نحمله معنا في هذه الحياة أننا أبناء ذلك الرجل الذي عرفه الناس باسم «أبو مروان»، وعرفناه نحن أباً عظيماً لا يمكن أن يتكرر.

شهـــادات

شهادات من داخل البيت ..

د.وجدان بنت
عبدالرحيم الاحمدي*

شجعنا على الأدب وكان يأخذنا للمكتبة كل أسبوع.

كان لوالدي تأثيرٌ عميق وممتد في تشكيل شخصيتي، لم يكن دعمًا عابرًا، بل بناءً هادئًا ومتدرجًا للإنسان من الداخل. على المستوى الشخصي، منحني الثقة وأحاطني بالاحترام في مختلف مراحلي، فتعلمت أن أواجه الحياة بكرامة واتزان، بقوة لا تقسو ولا تُقصي، بل تُنصف. ومنه ورثت هدوء التعامل مع التحديات، ورصانة الحوار، والقدرة على الموازنة بين القلب والعقل.

أما على الصعيد العملي والعلمي، فقد رسّخ فينا قيمة التعمق قبل اتخاذ القرار، وأن يكون اختيار الدراسة أو العمل أو حتى العلاقات مبنيًا على وعي ومسؤولية، لا على استعجال أو تأثير خارجي. كما ربّانا على الاستقلال، واتخاذ قراراتنا بثقة دون الاتكاء على الآخرين. ومن أهم ما غرسه في داخلي فضيلة التأني، خاصة عند الغضب، وكان يردد: "أن تندمي على شيء لم تقوليه خير من أن تندمي على شيء قلتِه"، فغدت هذه العبارة ميزانًا أراجع من خلاله نفسي قبل القول أو الفعل. كما كان يحرص على ترسيخ قيم الأدب والأصول بوصفها جوهرًا ينعكس في كل تعامل .

كان والدي حجر الأساس في علاقتي بالكتاب؛ جعل القراءة عادة يومية، وشجعنا على الأدب بمختلف أنواعه، وكان الكتاب هديته المفضلة. ارتبطت طفولتي بزيارات أسبوعية للمكتبة، وبالقراءة كشرط يسبق الترفيه، مما خلق توازنًا جميلًا بين المعرفة والمتعة.

تميّز أسلوبه التربوي بالحوار والثقة لا بالفرض، فزرع فينا رقابة داخلية قائمة على المحبة لا الخوف. وكان حاضرًا في تفاصيل حياتنا، يشاركنا أنشطتنا وهواياتنا، ويصنع معنا ذكريات دافئة ممتدة.

باختصار، لم يكن والدي مجرد أب، بل كان مدرسة للحياة، ووطنًا صغيرًا تعلّمنا فيه كيف ننمو بثبات، ونحافظ على إنسانيتنا.

*عالم ابحاث مشارك. مستشفى الملك فيصل التخصصي و مركز الابحاث.

مجلسه العائلي صنع أجمل لحظاتنا.

إيمان بنت عبدالرحيم الأحمدي*

إلى والدي العزيز:

يُعدّ الوالد نموذجًا لشخصيةٍ استثنائية جمعت بين أصالة القيم وحيوية الروح، فبرغم السنوات التي مضت، لا تزال روحه الشابة وقدرته على التواصل مع مختلف الأجيال من أبرز السمات التي تميّزه. فقد استطاع أن يبني جسورًا من الألفة والمحبة مع من حوله، فوجد فيه الصغار صديقًا قريبًا من عالمهم، ورأى فيه الكبار رفيقًا كريمًا وصاحب رأيٍ وحكمة.

وعُرف بحضوره الإيجابي وأثره الطيب في المجالس والمناسبات، لما يتمتع به من بشاشةٍ صادقة، وحسن معشر، وقدرةٍ على إشاعة الأنس والراحة في نفوس من يلتقون به. ولم يكن حضوره مقتصرًا على الجانب الاجتماعي فحسب، بل ارتبط أيضًا بقيم العطاء والتشجيع والدعم، الأمر الذي جعله محل تقدير ومحبة في محيطه الأسري والاجتماعي.

وفي نطاق الأسرة، شكّل ركيزةً أساسية لأبنائه وبناته، فكان السند الذي يستندون إليه، والداعم الذي آمن بقدراتهم وشجع طموحاتهم، ورافق مسيرتهم بالثقة والتوجيه والمحبة. وقد تركت مواقفه الداعمة وأسلوبه التربوي المتوازن أثرًا عميقًا في شخصياتهم، وأسهمت في بناء ثقتهم بأنفسهم وإيمانهم بقدراتهم.

كما عُرف بحرصه الكبير على تماسك الأسرة وترابطها، وإيمانه العميق بأن قوة العائلة تكمن في وحدة أفرادها وتماسك علاقاتهم. ولذلك ظل حريصًا على جمع أفراد الأسرة وتعزيز روابـط المحبة بينهم، إيمانًا منه بأن العلاقات الأسرية المتينة هي من أعظم مقومات الاستقرار والنجاح في الحياة.

وإلى جانب ما عُرف عنه من حكمةٍ واتزان، كان يتمتع بروحٍ مرحة وخفة ظل جعلتا من مجالسه محطاتٍ للأنس والبهجة. فقد امتلك قدرةً فريدة على صناعة اللحظات الجميلة، وبث روح التفاؤل والسرور فيمن حوله، مما أكسبه مكانةً خاصة في قلوب أفراد أسرته وأصدقائه.

أما في نظر أحفاده، فقد مثّل شخصيةً ملهمة جمعت بين العلم والأدب والحكمة والفكاهة في آنٍ واحد. وقد وجدوا في مجالسه مساحةً ثرية للتعلم والاستمتاع، حيث تمتزج المعرفة بالتجربة، والحكمة بروح الدعابة، والوقار بالقرب والدفء الإنساني. ولم يكن بالنسبة لهم مجرد جدٍ عزيز، بل كان قدوةً ومصدر إلهام، وشخصيةً تركت في نفوسهم أثرًا عميقًا سيبقى حاضرًا في ذاكرتهم ووجدانهم.

ومن خلال مسيرته الأسرية والإنسانية، استطاع أن يرسّخ نموذجًا يُحتذى به في العطاء والمحبة والوفاء، وأن يترك إرثًا معنويًا غنيًا في نفوس أبنائه وبناته وأحفاده، يتمثل في القيم التي غرسها، والعلاقات التي بناها، والذكريات الجميلة التي صنعها معهم على امتداد السنوات.

*معلمة للغة الأنجليزية. وزارة التعليم

شهـــادات

د.عبدالواحد الحميد

عبدالرحيم الأحمدي..

مثقفٌ عاش للكتاب وخَدَمَ الثقافة.

يصعب على من اقترب من الأستاذ عبدالرحيم الأحمدي أن يتحدث عنه بوصفه شاعراً أو باحثاً أو أديباً فحسب، فهو قبل ذلك وبعده عاشق للكتاب، مؤمن برسالة الثقافة، ومخلص للمشروع المعرفي الذي نذر له جانباً كبيراً من حياته. وقد أتيحت لي معرفة الأستاذ عبدالرحيم منذ سنوات طويلة، فوجدته مثالاً للمثقف الشغوف بمتابعة كل جديد في عالم الفكر والأدب، لا تفارقه الكتب، ولا ينقطع حديثه عن المؤلفين والإصدارات والمشروعات الثقافية التي يرى فيها خدمة للمعرفة والإنسان.

وقد تجسّد هذا الشغف في تأسيسه لدار المفردات للنشر التي أسهمت في إثراء الحياة الثقافية في بلادنا، من خلال نشر العديد من الكتب والدراسات والإبداعات الأدبية التي تناولت جوانب متنوعة في الأدب والفكر والتاريخ والبحث العلمي. واستطاعت الدار أن تحجز لنفسها مكانةً بين دور النشر الجادة التي قدمت للمكتبة العربية أعمالاً ذات قيمة معرفية وثقافية.

ومن أبرز الإنجازات التي ارتبطت باسم الأستاذ عبدالرحيم الأحمدي مشروع موسوعة الأدب العربي السعودي الحديث، وهو مشروع ثقافي وتوثيقي كبير يُعد من أهم المشروعات التي خدمت الأدب السعودي ورصدت مسيرته في مجالات الشعر والقصة والرواية والمقالة وغيرها من الفنون الأدبية. وقد كان لي شرف المشاركة الإدارية في هذا المشروع، الأمر الذي أتاح لي فرصة العمل معه عن قرب خلال فترة إعداد الموسوعة. وعلى مدى أشهر عديدة كنا نجتمع بصورة متواصلة في مكتبه مع أعضاء اللجنة العلمية المشرفة على المشروع، وكانت تلك اللقاءات تمتد أحياناً لساعات طويلة نناقش خلالها مكونات الموسوعة وأقسامها وآليات تنفيذها وما يلزمها من تنسيق ومتابعة.

وخلال تلك الاجتماعات المتكررة لمست عن قرب حجم الجهد الذي كان يبذله الأستاذ عبدالرحيم لإنجاح هذا العمل. فقد كان حريصاً على متابعة التفاصيل الدقيقة وأن يخرج العمل بالمستوى الذي يليق بالأدب السعودي وتاريخه. ولم يكن ينظر إلى الموسوعة باعتبارها مشروعاً للنشر فقط، بل كان يعدّها مشروعاً ثقافياً وطنياً يهدف إلى توثيق المنجز الأدبي السعودي وخدمة الباحثين والمهتمين بالأدب والثقافة.

وبعد أشهر من العمل المتواصل أثمرت تلك الجهود عن صدور الموسوعة في عدة أجزاء تناولت مختلف مجالات الأدب السعودي الحديث، لتصبح مرجعاً مهماً للباحثين والدارسين، وإضافة نوعية للمكتبة السعودية والعربية. ولا شك أن ما تحقق في هذا المشروع يعكس جانباً من رؤية الأستاذ عبدالرحيم وإيمانه بأهمية العمل الثقافي المؤسسي ودوره في خدمة المعرفة.

ولـم تقتصر إسهامات الأستاذ عبدالرحيم الأحمدي على هذا المشروع وحده، بل امتدت إلى مجالات أخرى من خلال نشاطه الثقافي وإنتاجه الأدبي والشعري وإسهاماته المتنوعة في الحياة الفكرية والأدبية. وقد استطاع عبر سنوات طويلة أن يسجل حضوراً لافتاً في المشهد الثقافي، وأن يقدم نموذجاً للمثقف الذي يجمع بين الشغف بالمعرفة والعمل الجاد لخدمة الثقافة.

إن الحديث عن الأستاذ عبدالرحيم الأحمدي هو في جوهره حديث عن رجل آمن بالكتاب واستثمر وقته وجهده وإمكاناته في خدمة الثقافة والأدب. ومن عرفه عن قرب يدرك أن ما حققه لم يكن وليد المصادفة، بل ثمرة سنوات طويلة من العمل الـدؤوب والإيمان العميق بقيمة المعرفة ودورها في بناء الإنسان والمجتمع.

فله كل الشكر والتقدير على ما قدمه من عطاء ثقافي ومعرفي، وعلى الجهود التي بذلها في خدمة الأدب السعودي ودعم الحركة الثقافية، وهي جهود ستبقى محل تقدير وامتنان لدى كل من يعرف قيمة العمل الثقافي وأثره في نهضة الأمم.

الأحمدي وذاكرة المكان.

د. عبد العزيز السبيل

حين نذكر الأديب القدير عبد الرحيم الأحمدي، فإننا لا نستدعي اسما عابرا في سجل الثقافة السعودية، بل نستحضر تجربة ممتدة جمعت بين صفاء الموهبة، ووفاء الذاكرة، ودأب الباحث، وحس الناشر الذي يدرك أن الكتاب أثر من آثار الروح، ومرآة لتحولات المجتمع، وجسر يصل الماضي بالحاضر.

عبد الرحيم الأحمدي من الأدباء الذين خرجوا من رحم المكان، بوصفه ذاكرة حية، ومخزنا للحكايات، ومهبطا للأصوات الشعبية التي تصنع وجدان الناس. حمل الأحمدي من بيئته الأولى في وادي الصفراء وما حوله الحس الحجازي العميق، حيث تختلط الطبيعة بالإنسان، وتجاور الحكاية القصيدة، ويصبح الشعر جزءا من الحياة اليومية.

لـم يكن الأحـمـدي فـي عنايته بالموروث الشعبي مجرد جامع للنصوص أو راو للأخبار، بل كان صاحب رؤيـة ثقافية تـدرك أن ما يتناقله الناس في مجالسهم وأسفارهم ومناسباتهم هو جزء أصيل من تاريخهم الاجتماعي. ولهذا بدت أعماله في توثيق الكسرة وشعرائها وسياقاتها أشبه بمحاولة لإنقاذ ذاكرة شفوية من النسيان، وإدخالها إلى فضاء الكتابة الموثقة، ومجال الدراسة والتأمل.

وتتجاوز تجربة الأحمدي حدود الشعر الشعبي إلى الشعر الفصيح، والرواية، والدراسة الاجتماعية للأدب، والعمل الثقافي المؤسسي. فهو أديب متعدد الوجوه، يرى في الأدب وثيقة جمالية واجتماعية في آن واحد. ولعل دراسته عن الاتجاهات الاجتماعية في القصة القصيرة السعودية تكشف هذا الوعي المبكر بالعلاقة بين النص والمجتمع، وبين الإبداع والتحولات التي تصيب حياة الناس وقيمهم وأساليب عيشهم. فالأدب عنده ليس صوتا معزولا، وإنما هو صدى للزمان والمكان والإنسان.

أما في تجربته الروائية والشعرية، فيحضر المكان بوصفه بطلا رئيسا، وتحضر الذاكرة بوصفها مادة للتخييل والتأمل. يكتب الأحمدي وفي خلفية نصوصه قرى ووديـان ومجالس ووجوه، يعيد قراءتها ويمنحها حياة جديدة، يصنع منها قيمة إنسانية أوسع.

ولا يمكن الحديث عن عبد الرحيم الأحمدي دون الوقوف عند جهده في النشر وخدمة الكتاب، من خلال "دار المفردات". لقد أدرك أن الثقافة لا تقوم بالمبدعين وحدهم، بل تحتاج إلى من يحتضن النصوص، ويرعى المؤلفين، ويفتح للكتب طريقها إلى القارئ. ومن خلال عمله في النشر أسهم في دعم الحركة الثقافية، وأتاح لأصوات أدبية وفكرية أن تجد مساحة للظهور والحضور. ويحمد له جهده في الأعمال الموسوعية، فقد أصدرت دار المفردات "دليل الأدباء بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية"، و "موسوعة الأدب العربي السعودي الحديث"، التي تحول جزء منها إلى مرجع مهم للأدب السعودي باللغة الإنجليزية من خلال إصدار "Beyond the Dunes: An Anthology of Modern Saudi Literature"

يضاف إلى ذلك مساهمة الأحمدي في مراجعة "موسوعة لثقافة التقليدية في المملكة العربية السعودية".

إن الاحتفاء بعبد الرحيم الأحمدي هو احتفاء بجيل آمن بأن الثقافة مسؤولية، وأن الأدب ذاكـرة، وأن الكلمة تستطيع أن تحفظ ما قد يبدده الزمن. وهو احتفاء أيضا بالشخصية التي ظلت قريبة من الناس ومن لغتهم ومأثوراتهم، دون أن تنفصل عن همّ الكتابة الحديثة وأسئلتها. لذلك تبدو تجربته علامة مضيئة في مسار الأدب السعودي، لأنها تمثل التقاء الشفاهي بالمكتوب، والشعبي بالفصيح، والذاتي بالاجتماعي، والإبداعي بالتوثيقي.

يبقى عبد الرحيم الأحمدي واحدا من أولئك الذين لا تقرأ سيرتهم من خلال مؤلفاتهم وحدها، بل من خلال الأثر الذي تركوه في الذاكرة الثقافية. لقد جعل من الأدب بابا لحفظ المكان، ومن النشر خدمة للمعرفة، ومن الكلمة وفاء للإنسان. وفي زمن تتسارع فيه التحولات، تبدو تجربته تذكيرا مهما بأن الثقافة الحقيقية تبدأ من الإصغاء العميق إلى صوت الأرض، ثم ترتقي به إلى مقام الأثر الممتد.

عصامي في مدرسة الحياة.

د. ناصر الحجيلان

أكتب هذه الأسطر بمناسبة الاحتفال بمرور تسعين عاماً على ولادة الأستاذ عبدالرحيم الأحمدي، وقد علمت بذلك من صديق الثقافة والمثقفين الأستاذ محمد القشعمي الذي يذكرنا دائماً بكل جميل. وهو الذي جمعني أول مرة بالأستاذ عبدالرحيم الأحمدي في مكتبه في دار المفردات بحي المحمدية في الرياض قبل سنوات. ومع أن لقاءاتي بالأستاذ الأحمدي محدودة لكنها كانت ثرية وعرفت من خلالها أنه محب للتراث ومعنيّ به، وسمعت منه قصصاً عن أحداث ووقائع حصلت له أو شاهدها في صباه في قريته. وكانت تلك الحكايات مع بساطتها وعفويتها تكشف عن التصورات الذهنية لجيله في مرحلة تاريخيّة من بلادنا، وكيف كان الناس يتعاملون مع بعضهم ومع مفردات الطبيعة من حولهم ومدى استثمارهم للمواد المتاحة في ذلك الزمن لتلبية احتياجاتهم الأساسية وكذلك للوفاء بمتطلبات الراحة والترفيه.

بعد ذلك، تابعت جهوده في دار المفردات التي أسسها يجهده الشخصي حرصاً منه على نشر المعرفة والفكر من خلال المؤلفات في المجالات الثقافية والتراثية مستفيداً من معرفته وخبرته في الأدب شعره ونثره، فهو متخصص في دراسة قصة القصيرة ومهتم بالشعر، وكذلك فقد استثمر علاقاته الناجحة مع المؤلفين من الأكاديميين والمهتمين بالأدب العربي والثقافة السعودية؛ فأصدرت دار المفردات موسوعة الأدب السعودي (2001). وهذه الموسوعة قدمت منجزاً علمياً مهماً خدم الباحثين في الأدب ويسّر لهم معلومات دقيقة وأصيلة. كما صدر عن الدار دليل الأدباء في مجلس التعاون الخليجي (2014).

وبمناسبة هذا الاحتفاء بالأستاذ الأحمدي، أمد الله في عمره ومتعه بالصحة والعافية، فإننا نحتفل بقيمة ثقافية مهمة تركت بصمتها في خارطة تشكُل المعارف والأدب في بلادنا منذ الخمسينات وحتى اليوم، فقد بدأ أولى محطات حياته معلماً في قرى منطقة مكة المكرمة في خمسينيات القرن الماضي وواجه الصعوبات التي يعيشها المجتمع آنذاك في التنقل والاتصال ووسائل الحياة المتواضعة، ثم انتقل إلى العمل في وادي فاطمة في مجال إداري؛ ومنذ السبعينيات جاء إلى منطقة نجد فعمل في المهام الإدارية في الدرعية ثم في الرياض حتى تقاعد من العمل الرسمي. وما يثير الإعجاب في مسيرته قدرته على التكيف مع معطيات كل مرحلة وكل بيئة، فمن معلم مشغول بطلابه ومواده إلى إداري معني بالخطط والضبط الإداري بكفاءة. لقد كان عصامياً متعدد المنابع والعلاقات ومتصلاً بالأماكن وأهلها وعاداتها ومكوناتها، ابتداء بالمدينة المنورة التي ولد في إحدى قراها ثم مكة المكرمة إلى أن استقر به المقام في الرياض. فمزج بين خبرات متباينة مستفيداً من كل بيئة ليضيف لبنة جديدة إلى صرح معارفه وتجاربه فيخرج بتجربة إنسانية واعية.

وتعددت كذلك مشاربه العلمية في الدراسة الثانوية في مكة ثم المرحلة الجامعية في جامعة الإمام محمد بن سعود، وبعد ذلك حصل على الماجستير من جامعة الملك سعود. وهو شاعر وقاص وباحث وله مجموعة من دواوين الشعر ورواية ودراسات أدبية مطبوعة. إنه يمثل بوصلة البصير المطلع على قارات الفكر ومحطات الحياة.

ويمكن القول بأنه رحّالة فكرية اتخذ من تنوع مراكز العلم ومن تعدد الأماكن مساراً لصقل شخصيته التي جمعت بين عمق الباحث واتساع أفق الإنسان.

يضاف إلى ذلك كله أنه يجمع المهتمين والضيوف القادمين للرياض من المثقفين والمفكرين ضحى كل سبت في مقر دار المفردات من باب الوفاء والمحبة والكرم الذي تتسم به شخصيته المحبة للخير ونشر المنفعة. إننا أمام نموذج للإنسان الذي لا تحده قوالب جاهزة ولا تقيده آليات عمل جامدة، وهو برهان على أن التعددية سعة في الفهم والتصورات. والواقع أن مسيرته الثرية والمرنة انعكاس لروحه وعقله الذي يرى في كل حقل ومجال موطئ قدم جديد وفي كل تجربة ثقافية فرصة مهمة للمعرفة والاكتشاف والتعلم.

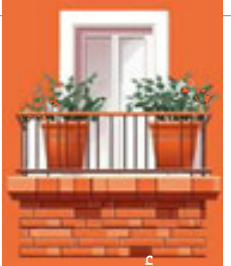

أعلام في الظل

محمد بن عبدالرزاق القشعمي

عبدالرحيم الأحمدي..

من طوكيو إلى وادي فاطمة.

احتفل أولاد وأصدقاء الاستاذ عبدالرحيم الأحمدي بمناسبة بلوغه التسعين من عمره ومرور ثلاث وثلاثون عاما على تقاعده من العمل في الأمانة العامة لمجلس التعاون وتأسيسه لدار المفردات للنشر والتوزيع ، ومرور خمس وعشرين سنة على اصداره لموسوعة (الأدب العربي السعودي الحديث) نصوص مختارة ودراسات . ط١ - ٢٠٠١ م.

وقد تبارى عدد من أصدقائه بإلقاء القصائد والأحاديث عن المحتفى به ومنهم الدكاترة: مرزوق بن تنباك، عبداللطيف الحميد، فايز البدراني، عايض الردادي، ومحمد الرويشد. ومن الأساتذة: سعد الغريبي، وابراهيم ناظر ومحمد المحمدي وغيرهم.

وشاركت ببعض الذكريات التي جمعتني به لأكثر من نصف قرن ومما قلته عنه بالمناسبة :

رحلتي مع الأحمدي

«جاءت موتوكو كاتكاكورا من أقصى الشرق مرافقة لزوجها السيد كونيو كاتاكورا السكرتير الأول في سفارة اليابان بجدة، لم تكتف السيدة موتوكو كاتاكورا بوصفها زوجة دبلوماسي وما يتطلب هذا الوضع من جهد ليكونا الصورة المشرقة لبلاد الشمس المشرقة. بل راحت تبحث في ذكاء بلورته التجارب العلمية وصقله العزم عن مجال لدراستها ومصدر لنيل شهادة الدكتوراه التي ستقدمها بعد شهور لجامعة طوكيو .. اختارت وادي فاطمة كمتسع قروي وبدوي فسيح لدراستها.. عاشت حياة القرية بكل بساطتها.. سكنت الخيام وبيوت الشعر ولبست ملابس الوادي النسائية.. تحملت الشعور بالوحدة والغربة وقطعت المسافات لتجعل رسالتها عن النظام الاجتماعي والاقتصادي في الوادي .. قابلتُها في بيتها .. بل دعنا نسميه متحفها الصغير الذي ضم آثارا وتحفاً من كل مكان .. من ملابس بدوية وبراقع، ومقتنيات قديمة من صناديق وقرب الماء وغيرها.»

بهذه المقدمة الجميلة روت الفنانة التشكيلية المبدعة «منيرة موصلي» مشاعرها وهي تقابل السيدة موتوكو، ونشرتها بجريدة المدينة المنورة في العدد 1904 يوم الخميس 1390-4-27هـ 1970 م تحت عنوان: ((يابانية في وادي فاطمة.. تحضر رسالة الدكتوراه عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المملكة) قالت أنها تعلمت أشياء كثيرة كانت تجهلها، منها أن المعرفة لا تنبع من التطور فقط وأن الإرادة وسياسة اكتساب قلوب الناس وعقولهم تصنع كل شيء من لا شيء.

كان وقتها الاستاذ عبدالرحيم الأحمدي مديرا لمركز التنمية الاجتماعية بوادي فاطمة - إحدى ضواحي مكة المكرمة - وكان المركز يضم أقساماً للتربية والاجتماع والصحة والزراعة وغيرها، ويهدف إلى تطوير ورفع مستوى الوعي لدى سكان القرية ومن انتقلوا إليها من البادية بعد أن عاشوا حياة البادية متنقلين يرعون ماشيتهم ويبحثون عن الماء والكلا. والذي سهل للباحثة التعرف ومقابلة أهل القرية وبالذات الأمهات والبنات بشكل خاص مجموعة العاملين بالمركز الذي يعنى بالتنمية الاجتماعية والذي وجهها للمركز وعمّده بمساعدتها وزير العمل والشؤون الاجتماعية حينها معالي الشيخ عبدالرحمن أبا الخيل الذي وجه المركز مساعدتها، حتى أنها

أصبحت تقيم بالوادي فترات طويلة حينا بالمركز وأحياناً كثيرة لدى السكان مضحية بحياة الرفاهية في سكن الدبلوماسيين بجدة. قالت عند سؤالها عن موضوع رسالتها وعن الصعوبات التي اعترضت طريقها: (لقد واجهت صعوبات كثيرة في البداية، ذلك لأن الموضوع الذي أعد رسالة عنه للدكتوراه يتطلب مني دراسة مجتمع خاص والاتصال بأعضاء المجتمع والاطلاع على سبل حياتهم ومعيشتهم وتطور الحياة عندهم، وبصفتي امرأة كنت في البداية أجد الصعوبة في التعرف عليهم وكسب ودهم. لكنني ذللت جميع هذه العقبات بفضل تعاون مركز التنمية الاجتماعية في وادي فاطمة وبفضل ما أظهر السكان من عطف عليّ بعد تعميق اتصالي بهم، وأخص هنا بالذكر وزارة الشؤون الاجتماعية ومديرية الزراعة والمياه فقد فعلتا كل ما في استطاعتهما لتسهيل مهمتي إذ ساعدتاني في شتى الأمور). وهكذا اندمجت مع الأسر ورصدت ملامح التحول لديهم من حياة البادية إلى حياة القرية والتحضر والاستقرار، فقالت تصف القرية وصعوبة توفر متطلبات الحياة: أن الكهرباء شحيحة وأن كل بيت شعبي يحتاج إلى أبسط أنواع الأثاث، وأمام كل باب ربطت عنز للاستفادة من حليبها، وقد عشت وعايشت هذه الأسر حتى أنني أحضر مناسبات أفراحهم وأتراحهم فأصبحت بمثابة واحدة منهم.

بعد تعرفي على الاستاذ عبد الرحيم الأحمدي الذي انتقل بعد ذلك مديرا لمركز التنمية بالدرعية ثم للأمانة العامة لمجلس التعاون الخليجي ذكر أشياء من ذكريات هذه السيدة وزوجها السيد كونيو كاتاكورا الذي أصبح صديقاً له حتى الآن.

قال أنه علم بمناسبة زواج هناك فاتفق مع زوجته على تقديم هدية وهي خروف وفق العادات التي تعلمتها الباحثة فذهبا واختارا خروفاً جميلا ادخلاه منزلهما وغسلوه بالشامبو والصابون وغذوه لمدة أسبوع، فأصبح يألفهم ويألفونه. ولما حانت المناسبة ذهبوا لمكان الحفل مقدمين الخروف ولمعرفتهما أن العادة تقضي بذبحه وتقديمه لمقدميه مطبوخاً فقد طلبا إعفاءهما من هذه العادة توفيرا، فالباحثة ستتناول العشاء مع المدعوات والرجل مع المدعوين.

عادت بعد عشرين سنة لتزور القرية فوجدتها قد تغيرت، الشوارع مسفلتة والكهرباء وأصوات المكيفات تضج في كل بيت، وقد بنيت المساكن بشكل أفضل، وأصبح هناك حوانيت ومدارس وفيلات وقد أبعدت حضائر المواشي خارج القرية «قرية البشور» بمحيط قرية دف زيني، ولم يعد هنا رعاة أو وراد لبئر القرية أو حقولها. ولم تعد المنازل التي تعهد معروفة لتحولها إلى فيلات واختراق الطرق المعبدة للمنازل ولم تستطع الوصول إلى منازل معارفها. فذهبت ورفاقها إلى مدرسة البنين منفردة لتدخل المدرسة فظنوها إحدى الخادمات الهاربات. فمنعها أحد المدرسين وحاول طردها، فقالت له: ألست «عتيق»؟ قال نعم قالت أمك فلانة وأختك فلانه فتذكر وهو طفل صغير هذه السيدة التي اعتبروها كأحدهم فنادى على زملائه المدرسين ليستعيدوا ذكرياتهم معها عندما كانوا صغارا بعد عشرين عاما عرفت «عتيق» الذي عرفته طفلا فأصبح اليوم مدرساً ومثله المدرسون الآخرون. وقدمت دراستها ((البناء الاقتصادي لقرى البدو في وادي فاطمة - قرية البشور نموذجا)) صدرت باللغة اليابانية وترجمت إلى العربية بعنوان ((أهل الوادي)).

أصيبت آخر حياتها بالسرطان فتوفيت عام 2013 م فأوصت بإنشاء مؤسسة كتاكورا لثقافة الصحراء ينفق على المؤسسة من تركتها المالية وتعرض فيها أبحاثها ومؤلفاتها ومكتبتها وتم تشكيل مجلس إدارة المؤسسة من باحثين لهم علاقة وطيدة بالمملكة وبالعالم العربي والإسلامي، ومنهم مدير المؤسسة البروفيسور نواتا الذي قام بدراسات في المجال الزراعي والبحري في البحر الأحمر ومنطقة عسير، أما رئيس مجلس الإدارة فهو زوجها السفير كونيو كاتاكورا.

لقد أوصت السيدة كاتاكورا بمنح جائزة سنوية لمن أنجز عملاً ثقافياً في مجال ثقافة الصحراء وأطلقت عليها اسم ((جائزة الراحة)) ((يو توروغي)) وتعني الراحة تلك السعادة التي يشعر بها الإنسان عندما ينجز عملاً مفيدا للمجتمع. وقد منحت الجائزة لعام 2014 م لبروفيسور ياباني أشاع فكرة تشجير الصحراء في الصين. والجائزة الثانية صارت من نصيب الاستاذ عبدالرحيم الأحمدي لعام 2015 م لاهتمامه بثقافة وأدب الصحراء، وقدمت جائزة عام 2016 م للباحثة اليابانية الدكتورة يوكي كوناغايا عن دراستها عن حياة البدو الرحل في صحراء منغوليا. ومقدار الجائزة مليون يَن بما يعادل (خمسين ألف ريال) وقد اكتفى الأحمدي بالوسام وتنازل عن الجائزة المادية دعماً منه للمؤسسة.

لقد كان لي شرف مرافقة الاستاذ عبد الرحيم الأحمدي مع ابنيه غسان وحيان قبل ثلاث سنوات، وكانت رحلة ممتعة تجولنا في أنحاء طوكيو ومعالمها ولمدة خمسة أيام وزرنا السفارة السعودية واستقبلنا السفير أحمد يونس البراك، وزرنا معهد اللغة العربية التابع لجامعة الإمام وغيرها وهكذا نجد من يحتفل بثقافة الصحراء هم اليابانيون الذين يعيشون حول وعلى الماء بجزر عديدة، وقد أعدوا لنا برنامجاً سياحياً خارج طوكيو شاهدنا خلاله قمة جبل فوجي وبركانه وما حوله، ومعالجة تنفس الأرض بالغازات تفادياً لانفجارها.

ثلاثة وثلاثون عاماً في عالم النشر.

د. عائض الردادي

نال الأستاذ عبد الرحيم بن مطلق الأحمدي مؤسس دار المفردات للنشر والتوزيع جائزة ثقافة الصحراء من مؤسسة كاتاكورا لثقافة الصحراء في اليابان عام 2015م لاهتمامه ودراساته لثقافة وأدب الصحراء، وجهوده في مساعدة الباحثين في أدب الصحراء.

ارتبط بالثقافة منذ أن كان طالباً عام 1375هـ/1956م، وواصل دراسته حتى نال الماجستير في علم اجتماع الأدب من جامعة الملك سعود عام 1408هـ/1988م، وقضى جل حياته العملية في مجال العمل الاجتماعي مديراً لمركز التنمية الاجتماعية في وادي فاطمة فمديراً لمركز التنمية الاجتماعية في الدرعية فمديراً لإدارة الشباب والرياضة بالأمانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج، ونال وسام المجلس الذهبي في الإدارة والتنظيم.

أنشأ دار المفردات للنشر والتوزيع في الرياض، التي نشرت عشرات الدراسات، وكتب الأدب، والموسوعات، ومن أبرز الموسوعات موسوعة الأدب العربي السعودي الحديث عام 1422هـ/2001م في ثمانية مجلدات، كل مجلد في نوع من أنواع الأدب، ومثله دليل الأدباء بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية الذي ظهرت طبعته الأولى عام 1428هـ/2007م.

وتخصص صاحب الدار في التأليف والنشر في الأدب الشعبي، وله في ذلك عدة مؤلفات منها "أهل الكسرة" و"ألف كسرة وكسرة" (أدب شعبي) و"مرويات ابن قابل" وهو عمه محمد بن سعيد بن قاسي بن قابل الأحمدي. وهي "مزيج من القصص الواقعية، والقطوف الأدبية، والمواقف الإنسانية، والأخبار الطريفة، والنوادر إلى غير ذلك من موضوعات الحياة الاجتماعية" وفيها نقل لصورة عن واقع اجتماعي ماضٍ يجهله كثير من المعاصرين، وإنما دون هذه المرويات إسهاماً في جمع موروث شعبي كان مكنوناً في صدور الرواة قبل انتقالهم إلى الدار الآخرة ليكون ذخيرة للأجيال، وقد صدر الكتاب عن دار المفردات عام 1418هـ/1998م، ومن أبرز مؤلفاته "أحاديث في الأدب الشعبي" و "رواية العشرق" ومؤلفات أخرى لا يتسع لها المجال منها ديوانه "إني أعتذر" باللغة الفصحى.

ومن أبرز ما طبعته دار المفردات "قصص وأساطير شعبية من منطقة المدينة المنورة" لمفرج بن فراج السيد ويقع في 352 صفحة، وكتاب آخر للمؤلف بعنوان "بدر ووادي الصفراء.. عادات وتقاليد.. حكايات وذكريات في 247 صفحة، وكلا الكتابين طبع عام 1437هـ/2015م.

وعنيت دار المفردات بطبع مؤلفات السعوديين وبخاصة النساء من دواوين وقصص وأدب.

تلك إطلالة سريعة على دار المفردات للنشر والتوزيع بمناسبة مرور 33 عاماً على إنشائها، وحفاوة بعض أصدقاء صاحبها به وتكريمه؛ تقديراً لما بذله من جهد في خدمة الثقافة والأدب.

عن «المفردات» وفريق العمل.

د معجب سعيد الزهراني

عدت من باريس بداية العام الدراسي ١٩٩٠ ومعي أهم ما حوته مكتبتي الشخصية . الكثير من الروايات والكتب النقدية وبعض المجموعات الشعرية الفرنسية والمترجمة إليها . ولم تكن مقتنياتي من كتب الفكر الفلسفي التخصصي والعام قليلة والدليل أنني خصصت لها كرتوناً مستقلاً كنت أتمنى ألا يضيع أو يمنع منه شيء ولو طال الضياع أو المنع بقية الكتب في الكراتين الخمسة. واذكر جيدا كم حزنت لعدم قدرتي على شحن نسختي من الموسوعة الفرنسية الشاملة التي اشتريتها بثمن بسيط من أحد الأسواق الأسبوعية في الحي الخامس عشر عام ١٩٨٨. فالعمل الكبير مرجعي يتكون من ١٨ مجلدا أنيق المظهر غني المحتوى مثله مثل الموسوعة البريطانية الشهيرة. كنت اعرف جيداً أن مكتبة الجامعة لا تخلو من أعمال كهذه لكن وجود نسخة منه في مكتبة المنزل هو الحلم العصي على التحقق.

نهاية ذلك العقد عاد الحلم بصيغة مختلفة إذ خطر ببالي مشروع « الموسوعة السعودية الشاملة « خاصةً وأنه سيكون الأول من نوعه محلياً، وعلى المستوى العربي ربما. فالمملكة كيان وطني كبير حديث النشوء حتى ليكاد يكون قارة مجهولة. ولولا بعض كتب الرحالة الأجانب لما وجدنا حينها أي عمل مرجعي يوثق جميع الجوانب الجغرافية والتاريخية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها من الموضوعات الرئيسية في أي بلد. هكذا قررت أن أرسم الملامح العام للمشروع بأمل أن أجد من يعين على تنفيذه وهو يحتاج إلى الكثير من الجهود والطاقات البشرية والمالية . وكما بينته في سيرتي الذاتية « سيرة الوقت « نال المشروع الكبير اهتمام صديق المرحلة الأهم الدكتور حمد المرزوقي الذي عرضه على الأمير نايف رحمه الله فتحمس له ووعد بدعمه بل وحرص على أن ينفذ برعاية خاصة منه شخصياً . وحينما تراجع صديقي وفتر حماسه لأسباب أجهلها إلى هذا اليوم قررت أن أواصل الطريق مع آخرين لعل وعسى . وذات يوم عرضت الفكرة على أستاذنا القدير وصديق الجميع د. منصور الحازمي أبدى إعجابه واهتمامه فطلب مني نسخة من الخطة الأولية العامة ليطلع عليه وقد يعرضه بدروه على من يرى ويريد. ولم انتظر طويلاً إذ دعاني إلى مكتبه وهو رئيس قسم اللغة العربية وآدابها منذ حين، وكانت المفاجأة الأجمل إذ اكد لي أنه ناقش الموضوع مع أصدقائه عبد الرحمن الأنصاري وعزت خطاب ، وكلاهما من أعلام المرحلة ، فأبدوا من الحماس فوق ما توقع ، بل إنهم اتفقوا على عقد الاجتماع التشاوري الأول في دار المفردات التي يملكها الأستاذ عبد الرحيم الأحمدي ، صديقهم الحميم الذي لم أكن أعرف الكثير شخصه الكريم أو عند دار المفردات التي دشنها للتو في طريق الملك عبدالله غير بعيد عن عملنا وسكننا في جامعة الملك سعود . وفي ضحى ذلك السبت الميمون اجتمعنا نحن الأربعة ومعنا الزملاء - الأصدقاء الأساتذة مرزوق بن تنباك وعبدالله المعيقل ، وقد استبشرت خيرا بكثرة العدد ونوعية الحضور معرفياً واجتماعيا . وبعد الحوار والنقاش الجماعي المعتاد مال الغالبية من الزملاء إلى رأي د منصور الحازمي الذي فضل أن نركز على الحياة الأدبية في المملكة ونترك مشروع الموسوعة الشاملة لمؤسسة وطنية كبيرة هي الاقدر عليه . وتم الاتفاق على المشروع المختصر بعنوان « موسوعة الأدب السعودي الحديث « بدلا من العنوان الطويل « موسوعة الأدب الحديث في المملكة العربية السعودية «.

هكذا تقرر أن تعاد صياغة دار المفردات الصغيرة بحيث ندخل شركاء فيها وهكذا تضمن المزيد من القدرات والخبرات التي تعينها على تنفيذ المشروع الطموح. ولن أدخل في تفاصيل ما حدث بعد ذلك لكني أسمح لنفسي ببلورة ثلاث ملاحظات جعلت الاجتماعات الأسبوعية المنتظمة تتحول إلى ساعات عمل ومرح و فرح لا تمل. فالرجل الهادئ المتواضع الوديع عبدالرحيم الأحمدي سريعاً ما يتحول إلى مضيف كريم يومن الشاي و القهوة وأطيب أنواع التمر وكأننا في بيته لا في مكتبه. ومنصور الحازمي لا يتكلم في موضوع بشكل جدي إلا بعد أن يوزع تعليقاته الساخرة المرحة على هذا الشخص أو ذاك حد أن نوبات الضحك كانت تشغلنا عن نقاش البرنامج بقدر ما تعيننا عليه.

وكانت العلاقات الحميمة بين أساتذتنا الثلاثة « الكبار» مصدر ثقة و أمل لا ينفذ بقدر ما يتجدد في كل اجتماع ، خاصةً و الحازمي والأنصاري يومها من ألمع الأكاديميين الأعضاء في مجلس الشورى وجهودهما الفعالة أثمرت ما فتح أبواب الأمل وطرقات العمل حتى النهاية .

ومما أغنى تلك اللقاءات الأسبوعية أننا كثيراً ما كنا نسعد بزيارت مفاجئة لشخصيات ثقافية عامة متميزة تثري النقاشات وتعزز البعد التواصلي المتسع اجتماعياً وأدبياً وفكريا. واذكر منهم الآن المذيع الشهير بدر كريم وصنوه الإعلامي المخضرم عبدالكريم الخطيب، و صديق الجميع محمد القشعمي الذي كان بمثابة كنز اخباري ومعلوماتي لا ينفذ، ولعله أكثرهم قرباً لفكري يومها والى الآن .

لعلني حاولت أن أتذكر فنسيت الأهم والأجمل من الأحداث والأشخاص لكن عذري أنني أكتب بعفوية ومحبة و في لحظة تراجيدية فرضها طول الزمن وتباعد الأصدقاء وغياب بعضهم موتا ومرضا على الجميع .

شهـــادات

مجلس الأحمدي ورواياته.

د. عبدالرحمن بن مديرس المديرس*

الأديب الأريب الأستاذ عبدالرحيم بن مطلق الأحمدي من أبرز الأدباء والرواد السعوديين المعاصرين متعه الله بالصحة والعمر المديد.

وقد بـدأت معرفتي بأبي مروان بواسطة الأخ العزيز الأستاذ محمد بن عبدالرزاق القشعمي الغني عن التعريف فهو باحث ومؤرخ وكاتب فقد اقترح أبا يعرب بعد مجلس سبتية الشيخ حمد الجاسر «رحمه الله» أن أصحبه لـزيـارة مجلس لأحد الأدباء في حي الورود القريب من دارة العرب فذهبت بصحبته لمكتب الأستاذ عبدالرحيم الأحمدي وهو كاتب ومؤلف وروائي وصاحب دار المفردات للنشر والتوزيع وعند وصولنا لمكتب الأستاذ عبدالرحيم كان في مجلسه عدد من الأدباء ومن بينهم الأستاذ عبدالكريم بن محمود الخطيب «رحمه الله» وهو صحفي ومذيع وأديب ومؤرخ وكانت الجلسة أشبه بصالون أدبي والنقاش والحوار مفتوح في كافة المجالات وبخاصة الأدبية والتاريخية وقد حوى مجلسه العلمي كوكبة من الأدباء والمؤرخين والمفكرين وهم على سبيل المثال لا الحصر الدكتور مرزوق بن صنيتان بن تنباك والدكتور عائض بن بنيّة الردادي والدكتور فايز بن موسى البدراني والأستاذ محمد بن عبدالرزاق القشعمي والأستاذ سعد بن عبدالله الغريبي والدكتور محمد بن برّاك الفوزان والدكتور عبداللطيف بن محمد الحميد واللواء عبدالعزيز الحازمي واللواء إبراهيم بن محمد ناظر والأستاذ محمد بن ناصر الأسمري وآخرون من الأدباء والكتاب والمثقفين.

وقد انتقل مجلسه فيما بعد إلى منزله في الدرعية واتسع عدد الحضور لهذا المجلس بحضور عدد آخر من رواده.

كان الأستاذ عبدالرحيم يتحدث في مجلسه في موضوعات مختلفة ذات طابع أدبي نثراً أو شعراً كما كان له تحليله الخاص في الرواية وقيمتها العلمية وخاصة الرواية التاريخية وهو قارئ واسع الثقافة لمجالات أدبية متنوعة كما أنه صاحب رواية في التراث وبخاصة في المرويات الشعبية وكذلك له اهتماماته بالشعر الشعبي وله كتاباته العديدة في هذا المجال في الصحف والمجلات وهو في مجلسه مستمع جيّد لما يطرح من حوارات وآراء في مختلف الموضوعات وباعتباري مؤرخ كنت أطرح بعض الجوانب التاريخية في التاريخين الإسلامي والحديث والمعاصر ويجري النقاش في مجلس الأستاذ عبدالرحيم حول تلك الجوانب وكذلك ما يطرح من قضايا أدبية تناقش بكل شفافية في هذا الصالون الأدبي كانت الجلسة أسبوعية في الفترة الصباحية من يوم السبت.

تجربة الأستاذ عبدالرحيم الأحمدي في مجال العمل الوظيفي ثرية وله اسهاماته المتميزة في التعليم وإدارة مراكز التنمية الاجتماعية بوادي فاطمة والدرعية كما أصبح مدير لإدارة الشباب والرياضة بالأمانة العامة لمجلس التعاوني لدول الخليج العربية.

الأستاذ عبدالرحيم الأحمدي متنوع الثقافة واسع الاطلاع بحكم تنوع تخصصاته فقد حصل على درجة البكالوريوس في التاريخ وعلى درجة الماجستير في علم الاجتماع وعنوان رسالته (الاتجاهات الاجتماعية في القصة القصيرة المعاصرة في المملكة العربية السعودية 1371 – 1400ه/ 1951 – 1980م) وصلت مؤلفاته لأكثر من عشرة كتب كما أسهم في مراجعة مواد (موسوعة الثقافة التقليدية في المملكة العربية السعودية) في اثني عشر مجلداً و (موسوعة الأدب السعودي) في عشرة مجلدات كما رعى اصدار الطبعة الثانية من (دليل الأدباء بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية).

وقد حصل الأستاذ عبدالرحيم على جائزة «يوتو روغني» «الراحة» من قبل مؤسسة موتوكوكتاكورا لثقافة الصحراء في اليابان.

*قسم التاريخ – كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية. جامعة

عبد الرحمن الجريفاني

عازف المفردات.. العازف عن الأضواء.

عبدالرحيم الأحمدي اسم يشع في سماء الأدب السعودي كاتباً وناشراً، وهو أديب شامل.. شاعر وناقد وكاتب رواية وقصة قصيرة له اسهامات في موسوعة الأدب العربي السعودي، كما أن قدرته على (الصبر) كبيرة عند مراجعة كل كتاب تتولاه دار المفردات وتصحيح الأخطاء النحوية والإملائية وإسداء النصح وإبداء الملاحظات.

لم أتشرف بمعرفته شخصياً إلا من سنوات قريبة، لكني كنت أقرأ ما يكتب، وعلمت بعد ذلك أنه صاحب دار (المفردات) للنشر التي تجاوز عمرها الثلاثين عاماً، وهذه الدار هي إحدى بناته الأثيرات اللاتي رباهن على خدمة الوطن، وكان اختصاصها الأدب والثقافة، وأمست مقصدا للأدباء والشعراء لنشر أعمالهم، كما أن لها حضور قوي في معارض الكتاب مما أسهم في نشر الأدب السعودي.

والأستاذ الأحمدي شاعر مجيد طرق دروب الشعر المتعددة باختلاف ألوانها ومنها شعر (الكسرة) الذي ما إن يأتي ذكر له حتى تلمع عيناه وتنفرج أساريره، فهو المحب لهذا الفن الذي يجمع بين الكلمات العذبة القصيرة والتجمعات الشعبية، ويتصف هذا النوع بأن له وقع جميل على الأذن لخفته وعدم الإطالة فيه، فهو بيتين اثنين من أربعة أشطر وأهم شروطه الحكمة وايجاز الفكرة. والأستاذ عبدالرحيم تربى بالحجاز حيث شعراء الكسرة لهم صولات وجولات في ساحاته، والجميل أن الألعاب الشعبية غالبا ما تكون مرادفة له، وقد ألف فيه كتاب عنوانه (ألف كسرة وكسرة) وأيضا (أحاديث من الأدب الشعبي)، ومن بنات قلمه ديوان شعر فصيح هو (أيها الشاعر إني أعتذر)، وديوان (بديوية) وعن الحياة الاجتماعية ديوان (مرويات ابن قابل)، أما في مجال الرواية فصدرت له رواية (وادي العشرق.. مفازة الجن)، وله اسهامات في موسوعة الأدب العربي السعودي، وكانت رسالة الماجستير التي قدمها بعنوان (الاتجاهات الاجتماعية في القصة القصيرة المعاصرة).

ودار المفردات ليست دار نشر فقط تملأ جنباتها الأوراق ومسودات الدواوين الشعرية والكتب، بل أن أبا مرون جعل منها ملتقى ثقافي اسبوعي يجتمع فيه كل يوم سبت عدد من المهتمين بالأدب والثقافة والصحافة حيث الأحاديث والمحاورات المفيدة.

وهناك اهتمام آخر لدى الأستاذ عبدالرحيم يتعلق بتحول المجتمعات إلى الأفضل وفيه أن الباحثة اليابانية كاتاكورا - المهتمة أيضا بهذا الشأن- اختارت وادي فاطمة لدراسة تحول المجتمع فيه فكان أبو مروان خير عون لها في مهمتها هذه، وقد تلقى بعد ذلك دعوة لزيارة طوكيو، وهناك منح جائزة يوتو روغي (الراحة) لنشره ثقافة الصحراء.

معلمي أبي مروان -هو كما وصفوه- مدرسة بساطها الألفة وسقفها المحبة تحوي مختلف الفنون... أبرزها فن التواضع وفن التوجيه؛ وهذان قل من يجيدهما وأيضا الحفظ والإلقاء والسرد وتصحيح المعلومة بأسلوب لا يشعرك أنك جانبت الصواب.

وليس أمامي في الختام إلا دعاء المولى عز وجل أن يطيل بعمر أبي مروان الإنسان المتواضع المحب والأديب الذي لا يحب الأضواء وأن يمنحه الصحة.

كلمة ودّ واحتفاء.

د. عبدالله المعيقل

احتفل أصدقاء الأستاذ عبد الرحيم الأحمدي بمرور 33 عامًا على تأسيس دار المفردات للنشر، وهو احتفال ذو لفتة كريمة بهذه الدار وصاحبها التي أسهمت منذ تأسيسها عام 1422هـ-2000م، بنشر وطني مسؤول للثقافة السعودية من شعر ورواية، ودراسات نقدية واجتماعية لعددٍ كبير من الكتّاب والأدباء السعوديين، ووضعت لها مكانة خاصة وفاعلة بين دور النشر السعودية والعربية، وأسهمت بدور مهم في نشر الكتاب السعودي في معارض الكتاب المختلفة، ومنها دول الخليج العربي، وما زالت الدار تواصل نشر إنتاجها المتنوع من شعر ورواية ودراسات مختلفة في موضوعات متنوعة.

ولعلنا نتوقف عند بعض المراحل المفصلية في تاريخ الدار، ومنها نشر موسوعة الأدب السعودي الحديث في مجلدات عشرة للشعر والرواية والدراسات النقدية والسيرة الذاتية، تبع ذلك إصدار مجلد خاص من الموسوعة مترجمًا إلى اللغة الإنجليزية. فكان كل جزء يتضمن دراسة نوعية، ونصوصًا مختارة تمثل الفن نفسه، وقد كَتبَ مادة الموسوعة أكاديميون متخصصون في كل فن، وكانت الموسوعة قد طُبعت على حساب صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز رحمه اللّه.

وتُعد الموسوعة أول عمل من نوعه يصدر عن الأدب والنقد السعودي بهذا البعد الشمولي الرصين. وقد مكّنت القرّاء، وبشكل خاص الباحثين والدارسين للأدب السعودي، من الاطلاع على مادة غزيرة للبحث الأكاديمي والدراسة العلمية في الأدب السعودي. والموسوعة عمل عظيم جدًا تحسب الريادة فيه لدار المفردات، وبكل جدارة. ولا أظن أن عملًا وطنيًا في اتساعه وشموليته يمكن أن يضاهي الموسوعة، وسوف تظل علامة بارزة لدار المفردات.

ولعلّي أذكر ريادةً لدار المفردات، وهي منذ البداية ظلت مهتمة بالتراث الشعبي، فأصدرت أولًا كتاب ألف كسرة وكسرة، جمع فيه الأستاذ عبد الرحيم من نصوص فن الكسرة، وهو شعر شعبي باللهجة سائد في قرى الحجاز ومنطقة ينبع بالذات، ثم أعقب ذلك إصداره لموسوعة الكسرة، وهي في أجزاء كثيرة تشتمل على نبذة عن الشاعر، ثم مختارات من نصوصه، ولا يخلو الكتاب من نظرات نقدية مهمة. وتنبع أهمية العمل أنه لأول مرة يوفر مادة للدراسين في وقت لم تكن الكسرة تُدوَّن في كتاب؛ لأنه شعر ينتقل شفاهيًا بين الناس حفظًا وسماعًا؛ ما أتاح لعشاق هذا الفن الحصول عليه مكتوبًا بين أيديهم. ولعل اهتمام الدار بشعر الكسرة نابع من أنه للصديق عبد الرحيم؛ اهتمامًا بالتراث الشعبي حفظًا ورواية، وهو نفسه شاعر كسرة مجدّد، وله نصوص كسرات جميلة. وبوصفي محبًا لشعر الكسرة، كثيرًا ما تحضر الكسرة لقائي به، فأحيانًا ننظم كسرة مشتركة أو نتجادل حول كسرة معينة.

والصديق عبد الرحيم أبو مروان -حفظه اللّه- أديب وكاتب متمرّس متنوّع المواهب؛ فهو شاعر له مجموعات شعرية، وله عدد من الروايات المنشورة أيضًا، وأبو مروان -إن صح القول- خرج إلى الحياة وبيده قلمٌ وكتاب، وشارك في فترة مبكرة من شبابه في الكتابة في الصحف والمجلات السعودية، ومنها مجلة المنهل وغيرها؛ مما يعني أن أبا مروان صاحب تجربة طويلة ممتدة في الكتابة والتأليف.

ولعلي أختم هذه الكلمة القصيرة بالحديث عما أسميته ظاهرة السبت التي رافقت مسيرة دار المفردات منذ تأسيسها، وأقصد بها لقاء ضحى السبت الذي ينعقد أسبوعيًا في مكتب الدار في طريق الملك عبداللّه، وهو لقاءٌ مفتوح للجميع، يلتقي فيه عشّاق الحرف من مختلف المشارب والاهتمامات في جو ودّي حميم، وعندما انتقل مكتب الدار إلى منزل أبي مروان بالدرعية، انتقلت جلسة السبت إليه. وأظن أن هذا عمل غير مسبوق في تاريخ دور النشر على حدّ علمي. وأحسب أن هذه الظاهرة مهمة جدًا، وينبغي ألا نقلل من أهميتها وأثرها وما يحدث فيها من نقاش وتبادل للأفكار في الأدب والفكر وشؤون الساحة والمجتمع.

إبراهيم بن محمد ناظر

عاشق الكسرات الشعبية.

كانت بداية معرفتي بالأديب الكبير الأستاذ عبدالرحيم بن مطلق الأحمدي حين انتقلت إلى مدينة الرياض عام 1407هـ. وبعد بضع سنوات من إقامتي فيها، طلبت مني عمتي الشاعرة الأستاذة رقية أحمد عارف ناظر، وكان لها حضور أدبي صحفي وقتها، و قد صدر لها ديوان «كسرات شعبية» وعدد من الأعمال الأدبية الأخرى، أن أزور الأستاذ عبدالرحيم لتسليمه بعض الكتب أو استلامها منه.

كانت تلك الزيارة بداية علاقة امتدت لأكثر من ثلاثين عامًا، تحولت خلالها إلي معرفة و مودة صادقة وثيقة وعلاقة أسرية كريمة أعتز بها كثيرًا. وخلال هذه العقود عرفته أديبًا مثقفًا، وباحثًا دؤوبًا، وإنسانًا نبيلًا يحمل في قلبه محبة للناس ووفاءً لأصدقائه، كما عرفته صاحب خلق رفيع وتواضع جم، يجمع بين سعة العلم وحسن المعشر.

مها السنان

حافظة للذاكرة الوطنية.

أدركت قيمة الأستاذ عبدالرحيم الأحمدي لأول مرة خلال سنوات دراستي للدكتوراه. في ذلك الوقت كانت الكتب المتخصصة في الفن نادرة، وكان الاهتمام بالفنون أقل بكثير مما هو عليه اليوم. كنت أحرص على زيارة معرض الكتاب بحثاً عن أي إصدار جديد في هذا المجال، وكانت دار المفردات من أبرز محطاتي فيه. هناك كنت أجد الأستاذ عبدالرحيم، صاحب الدار، حاضراً يومياً في الجناح، وقد ارتبط اسمه في ذهني بإتاحة الكتب الفنية للباحثين والمهتمين ودعم حضورها في المشهد الثقافي.

ما لفت انتباهي لم يكن مجرد نشر كتب الفن في وقت لم يكن لها عائد تجاري واضح، بل شغفه الحقيقي بما يقدمه وحضوره الدائم بين القراء والمهتمين. كان مستعداً للحوار وتبادل المعرفة وتقديم النصح بسخاء، مما عكس إيماناً عميقاً بقيمة الثقافة ودورها في المجتمع.

أما آخر لقاء جمعني به فكان في مكتبه أثناء عملنا على مشروع يتعلق بالأرشيف الثقافي. وخلال حديث قصير استعرض بعض محطات رحلته المهنية، فشعرت أنني أمام نموذج حي لمن كرّس جهده لحفظ الذاكرة الثقافية. لم يكن منشغلا بالحديث عن إنجازاته الشخصية، بل عن الكتب والمشروعات والأفكار والأشخاص الذين آمن بهم ودعمهم على مدى سنوات طويلة.

أقدّر في الأستاذ عبدالرحيم اختياره للعمل الهادئ والمستمر في بناء المحتوى الثقافي وتوثيقه، في وقت كان كثير من هذا الجهد يمر بعيداً عن الأضواء. وتجربته تذكرنا بأن الأثر الثقافي الحقيقي لا يُقاس بما يُنجز في لحظته، بل بما يبقى منه ويستمر أثره في الأجيال القادمة.

نشر روايتي الأولى ودافع عن المطالبات بسحبها من السوق.

عبدالله محمد العبدالمحسن

سمعت عن دار المفردات وصاحبها الأستاذ عبد الرحيم الأحمدي لأول مرة من الصديق عبد الكريم العودة، حيث أثنى كثيرا على صاحبها، ووصفه بأنه يمتاز بالطيبة ودماثة الخلق، ولأن عبد الكريم يحمل السمات السامية ذاتها، وغالبا ما يسقطها على الكثيرين، إذ يرى جل الناس طيبين، تقبلت ما قاله بتحفظ حتى التقيت بأبي مروان ووجدته، كما وصفه الأخ عبد الكريم وأكثر. وتعرفت عليه عن قرب حين قامت داره عام 2009 بنشر أول عمل روائي لي، رواية السواق التي تطالب بحق المرأة في قيادة السيارة.

وجدت معاملة بالغة الاحترام والتقدير، لم يفاوضني عن تكاليف النشر، ولا عن هامش ربحه، ولا عن حق المؤلف، ولم نوقع عقودا، كلمته ثقة، ومعاملة عقد، فقد شعرت أنه يتعامل مع صديق، ليس هذا فقط، بل تولى مهمة مراجعة الجهات المعنية بالنشر لفسح الكتاب، ولما وزعت الرواية، واعترض البعض على إثارتها إشكالية حق المرأة في قيادة مركبتها، حينها كانت تعد منكرا، وطالبوا بحجب الرواية، وسحبها من السوق، تصدى الأستاذ عبد الرحيم للدفاع عن الرواية ومؤلفها.

ومما لفت انتباهي أني رأيته يتعامل مع كتابي بعناية وحـرص، وكأنه مؤلفه، رأيته منكبا عليه مراجعا ومنقحا ومصححا، وهذه المعاملة لا تخصني وحدي، فكل ما ينشر في داره يحظى بمثل هذه العناية الفائقة، فهو لا يكتفي بما يقوم به المصحح اللغوي، فحرصه شديد أن يخرج الكتاب من داره خال من العيوب.

إن الأستاذ عبد الرحيم الأحمدي من الناشرين القلة النادرة جدا الذين يهتمون بالكتاب ومؤلفه، فهو لا يتعامل مع الكتاب كسلعة يتكسب منها، ولا يتعامل مع المؤلف كزبون عابر، يهم الأستاذ عبد الرحيم الكتاب، كما يهمه المؤلف، هذا ما يميزه عن بقية الناشرين، إذ أن أغلبهم مع الأسف يتعاملون مع المؤلفين معاملة البائع والمشتري، لا يعنيهم في المقام الأول إلا كم يكسبون من هذا العمل، مما حذا بالشاعر عدنان العوامي صديق أبي مروان أن يستبدل الراء في مفردة ناشر بحرف اللام، وأراه مصيبا وليس متجنيا، فقد أصبحت دور النشر مع الأسف دكاكين معنية بالربح في المقام الأول إذ يشكل ذلك محور اهتمامها لا أهمية الكتاب، ولا مكانة مؤلفه.

عبر دار المفردات سما الأستاذ عبد الرحيم برسالة النشر إلى مرتبة خاصة، تجعلنا لا نبالغ، ولا نجانب الحقيقة إذا وصفنا داره بأنها مؤسسة غير ربحية، ذات رسالة ثقافية في الدرجة الأولى، تهدف نشر الكتاب وخدمة الإبداع والثقافة، لم يتخذ النشر تجارة رابحة، إنما بدافع تعلقه بالمفردة الهادفة كونه مبدعا له في النثر والشعر أعمال متميزة.

تجسد هذا التعلق والاهتمام بخدمة الجليلة التي قدمها لـلأدب المحلي والخليجي، فمن مآثره البارزة التي قدمها للأدب المحلي موسوعة الأدب العربي السعودي الحديث في عشرة مجلدات، تضمنت دراسات ومقالات نقدية والسرد القصة القصيرة والرواية والمسرحية والسيرة الذاتية، وكذلك الشعر.

اختار لها نخبة مؤهلة من الأكاديميين المختصين في الشأن الأدبي والثقافي والتاريخ، الذين عكفوا عليها كل في اختصاصه. أصدرها بمناسبة الذكرى المئوية لتأسيس المملكة، تتبعت هذه الموسوعة وأرخت لمراحل تطور الحياة الثقافية والأدبية في المملكة.

لم تقتصر جهود الأستاذ عبد الرحيم على خدمة الأدب المحلي، فقد قامت دار المفردات بإعداد دليل الأدباء بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، حيث تواصل مع الجهات المعنية بالشأن الثقافي، كما تجشم معاناة القيام بعدة زيارات لدول الخليج كي يجمع مادة هذا الدليل، ثم إعدادها ومراجعتها والإشراف عليها، وأصـدر دليل المؤلفين في الخليج، تكمن أهمية هذا الدليل لخدمة المهتمين بالشأن الأدبي والثقافي من دارسين وباحثين.

أكثر من ثلاثين سنة أنفقها أبو مروان في خدمة الكتاب قدم خلالها اسهامات بـارزة وذات قيمة في خدمة الأدب والحركة الثقافية عامة من خلال دار المفردات للنشر، إلى جانب هذه الرسالة النبيلة التي اضطلعت بها داره، حول مقرها بكرمه وطيب معاملته ورحابة صدره منتدى ثقافيا يلتقي فيه كل نهار سبت نخبة من المثقفين والمبدعين، من كتاب وشعراء وأكاديميين، لأكثر من ثلاثين سنة.

حقق أبو مروان من خلالها أكبر مكاسبه التي لم يبلغها سواه، أهم هذه المكاسب السمعة الطيبة والاحترام الجم، وإذا لم يصب من هذه الدار ثراء قد يغري أحدا من أبنائه أن يتولى الدار لتواصل مسيرتها بعد أن بلغ مؤسسها التسعين أطال الله في عمره، لقد أصاب أكبر مكسب ألا وهو الحب والاحترام الجم في الوسط الثقافي، لنسوق مثلا الاحتفال بمناسبة مرور ثلاثين سنة من عطاء دار المفردات، وتسعين عاما من عمر مؤسسها الأستاذ عبد الرحيم الأحمدي، أمد الله في عمره ومتعه بالصحة.

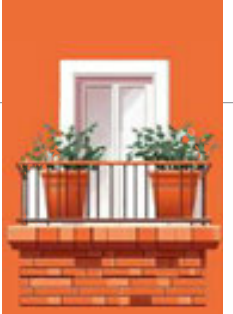

المقـــال

لماذا ترجمة رواية لمس الأطراف لـ «حسين علي حسين» إلى اللغة اليابانية؟

نشر ملحق شـرفات في مجلة اليمامة حوارا مع المترجـم الياباني المعروف نوبوأكـي نوتوهـارا، كشـف فيه أن الدكتور يحيى بن جنيد رشح له رواية للكاتب السعودي القدير الراحل حسين علـي حسـين رحمـه الله لترجمتهـا إلى اللغـة اليابانية. وأبـدى المترجم الياباني إعجابه بالرواية، لأنها تكشف المجتمع من الداخل، ويرى أن الرواية بشـكل عام تمثل نافـذة على عوالم مستقلة وكل تفاصيلها مهمة.

ورواية لمس الأطراف للروائي والكاتب السـعودي الراحل حسين علي حسين (1949 - 2025)، كاتـب صاحـب خبرة وتجربـة كبيـرة ومتميزة فـي القصة والروايـة، وروايتـه لمـس الأطـراف تعتبر عمل روائي سـعودي بارز يوثق تحـولات المجتمـع وذاكـرة المـكان، تتميز الرواية بلغتها السردية المبدعة وحظيت باهتمام نقدي واسع.

بعد هـذا الخبر عـن ترجمـة الرواية، قرأنا آراء تسـأل عـن وظيفة الترجمة وتنتقـد اشـارة المترجـم الياباني أن إعجابـه بهـذه الرواية لأنها تكشـف المجتمـع مـن الداخـل، ويـرون أن خطـورة هذا المبرر، هـو في فكرة أن تتحول الرواية إلى دليل سـياحي وأن تكون وظيفـة الترجمة مجـرد خدمة اجتماعية تعريفية.

ومثـل هـذه الآراء النقديـة التـي تشـجب وتسـتنكر كثيـرة، ولا يمكن الوقـوف فقـط عنـد واحـدة منهـا فقط، لأنهـا أصبحت ظاهـرة مع كل ترجمـة أو جائـزة، وهنـا نتوقف عند فكـرة الاسـتنكار ليـس لمحاورتها ، ولكـن لمحاولة تقديم صـورة أخرى مغايـرة ومختلفـة، خصوصـا أنهـا تذكرنـا بمقـالات أخرى، نشـرت بعد فوز الروائيـة العُمانية جوخة الحارثي بجائزة مان بوكر الدولية عن روايتها المعروفة سـيدات القمـر، حين قرأنا باسـتغراب في ذلك الوقـت ، بعض المقـالات العربية الغاضبة التي كانت تـرى أن فوز هـذه الكاتبـة الخليجية بهذه الجائزة العالمية لم يكن بسبب مستواها لكن بسبب أن الجائزة تريد روايـات عربيـة تكشـف المجتمع من الداخـل بصرف النظر عن مسـتواها، رغـم أن لجنة تحكيم الجائزة أشـادت بمسـتوى رواية سـيدات القمر، حين أوضحـت رئيسـة اللجنة بأنهـا رواية تسـتولي علـى العقـول والقلـوب بالمقـدار ذاتـه وأنهـا عمـل يتحدى الصور النمطية الشـائعة عن الشـرق واعتبرتهـا فنـاً حساسـاً يغوص في أعماق مجتمع عماني يشـهد تحولات عميقـة وأن لغـة الرواية وأسـلوبها يُقاومـان بمهارة العبـارات المبتذلة حول العرق والعبودية والجنس.

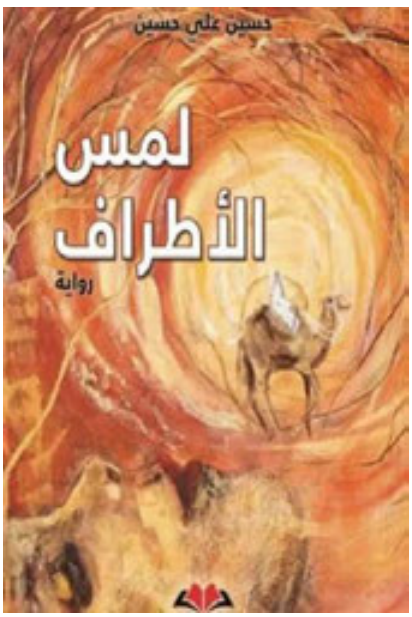

فهد العتيق

والسؤال هنا: ماهي المشكلة في رواية تكشـف المجتمع من الداخل إذا كانت بمسـتوى فني جيد، ماهي المشـكلة أن تكـون الروايـة دليـل سـياحي، ماهي المشـكلة فـي تنـوع الروايات السـعودية والعربيـة المترجمة، هي فـي النهايـة رواية، نـص أدبي وفن كتابة، قـد تعجب بعـض القراء وقد لا تعجـب بعضهم. وهنا لسـت مع أو ضـد الترجمات أو الجوائز، لكن أسـأل لماذا نعطي مثل هذه الأمور أكبر من حجمها الطبيعي، وكأن حصول كاتبة عربيـة خليجية علـى جائـزة عالمية، أو ترجمـة رواية سـعودية إلى اللغة اليابانيـة، سـوف يغيـر وجـه العالم وتاريـخ الأدب، مع معرفتنـا أن هناك كتبا نالت ترجمـات وجوائز ولم يطبع منها سوى مئات قليلة من النسخ ولم يكتـب عنها شـيئا، ومـع معرفتنا أنه بعد ثورة النت ومعها وسائل التواصل الجديد، صار الإعلامي الثقافي يقوده جيل جديد له رؤيته التجديدية الخاصة ومزاجه الخاص.

والغريب أن هذه الآراء النقدية المبالغ فيهـا، تؤكـد أن الراويـة الضعيفـة

فقط هي التي تكشف المجتمع، بينما الذي تعلمناه من القراءة والكتابة أن الرواية الضعيفة لا تستطيع أن تكشف شيئا لا مجتمع ولا غيره، أضف إلى ذلك أن الرواية التي تكشف المجتمع من الداخل هي في الغالب الرواية المبدعة التي تهتم بالمجتمع والانسان ومصيره وأسئلته بأسلوب أدبي رفيع ولغة ممتعة.

هل نحن هنا نشك في قدرات ومستوى الجوائز أو في وعي المترجم، أم أننا نرى أحيانا، أن الجائزة أو المترجم اختاروا رواية لا تناسب مزاجنا أو ليست ضمن تفضيلاتنا أو دولتنا أو منطقتنا، لأن مثل هذه الآراء النقدية التي تبالغ في الخوف والخطر والقلق على روايتنا المسكينة تجعلنا نسأل أيضا: لماذا لا نكتب مراجعات نقدية لمثل هذه الروايات التي تم اختيارها للجائزة أو الترجمة.

الرواية الان صارت نبض المجتمعات في العالم، صارت نبض الشارع ومطلب الجماهير من القراء وليست للنخبة فقط، ويصدر في العالم العربي ألاف الروايات سنويا ، ومنها عشرات الروايات المتميزة لكتاب وكاتبات من الجيل الأدبي العربي الجديد ، تستحق الاهتمام والترجمة ، وهناك الآن حركة ترجمة كبيرة في المغرب والمشرق العربي بالذات للغتين الإنجليزية والفرنسية، وربما الأفضل كتابة مراجعات نقدية لروايات سعودية أو عربية أو مترجمة متميزة لتعميم الجمال الأدبي، أفضل من هذه المقالات النقدية التي تبالغ في الخوف، وتكشف سوء فهم للمجتمع الجديد وتحولاته والرواية الجديدة واسمائها وموضوعاتها وأساليبها الجديدة والمتجددة والمتعددة، والتي لم تعد تقف على جيل واحد أو كاتب واحد أو ناقد واحد أو رؤية واحدة.

أتفق مع الأستاذ المترجم الياباني نوتوهارا في رؤيته الموضوعية والفنية والاجتماعية لهذه الرواية السعودية التي قرأها وأعجبته وسوف يترجمها لأنها رواية تضيف إلى الأدب العالمي وتخلق تجربة إنسانية مختلفة وتعرّفه وتعرف الآخرين على المجتمع السعودي، وهكذا تتحول الرواية

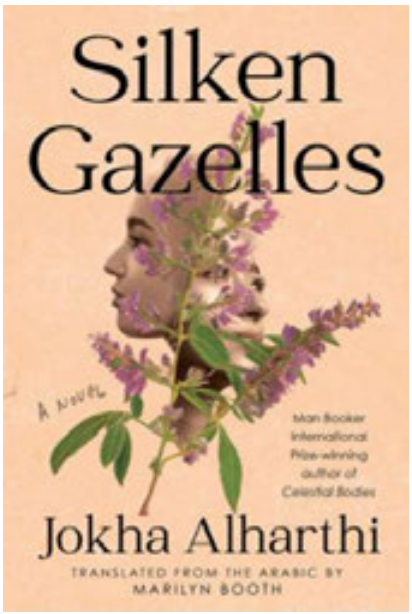

إلى أداة لسد نقص معرفي عند القارئ الأجنبي، وإلى عمل أدبي فني اجتماعي رفيع يستحق القراءة على حد سواء، من جهة الأسلوب واللغة والبناء والخيال والرؤية الفلسفية.

المترجم نوتاهارا اختار الرواية ليتعرف على المجتمع السعودي ، هكذا ببساطة دون تهويل وتعظيم وإعطاء الأمور الأدبية أكبر من حجمها الطبيعي ، هذا يعني أن هذا الناقد والمترجم يفهم في الرواية، هو يفهمها ببساطة عميقة ورفيعة ، دون مبالغات ثقافية متكلفة تريد

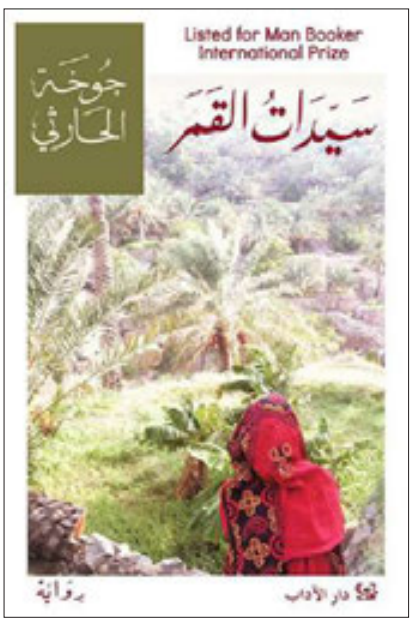

من الرواية أن تكون نخبوية بعيدة عن المجتمع وعن هموم واسئلة وأماكن وحارات ومقاهي الناس، هو ناقد ومترجم يفهم الرواية ببساطة الخبير الذي يعرف أن الرواية هي مكان حي ، مكان حيوي وفيه مجتمع وفيه عادات وتقاليد ، مكان يترك فيه الناس أثرا وتراث ورؤية جديدة وحوارات واسئلة اجتماعية ودينية وأخلاقية ونفسية وفكرية وفلسفية، والرواية بالنسبة له هي أدب وفن قراءة ممتع، للتعرف على المجتمعات ، وهي طريق فني مختصر ومشوق للتعرف على ثقافات بعيدة ، أفضل له من كتب التاريخ والاجتماع الجافة والمباشرة وأكثر متعة .

مع ملاحظة أن السواح من مختلف دول العالم يزورون الآن مصر القديمة ومعهم روايات الكاتب نجيب محفوظ بلغة بلدانهم ويذهبون إلى أحياء الجمالية والمنيرة وشارع المعز يصورون حارات وبيوت وشوارع روايات نجيب محفوظ وكذلك عدد كبير من السواح يتوافدون على قرية ماكوندو في كولومبيا وهي قرية رواية مئة عام من العزلة للكاتب ماركيز لرؤية بيوتها وشوارعها وحاراتها والدكاكين التي كان يذهب لها أبطال الرواية ومثلهم آلاف السواح يذهبون إلى حارات وشوارع وبيت الكاتب كافكا في مدينة براغ.

هل هذا يعني أن روايات مثل هؤلاء الكتاب تحولت إلى دليل سياحي وشيء نفعي، هذا بالإضافة إلى روايات عالمية معروفة كشفت مجتمعاتها من الداخل بأساليب فنية متجددة ومبدعة مثل رواية الغريب للكاتب البير كامو ورواية المكان للكاتبة آني ارنو وروايات باتريك موديانو وأرنست همنجواي وكذلك الكاتب الياباني ياسو ناري كواباتا الذي كشف في رواياته المجتمع الياباني من الداخل بأسلوب يختلف عن التشريح الاجتماعي المباشر في الكتب الاجتماعية والتاريخية، واعتمد كما يقول النقاد على الكشف النفسي والجمالي وعكس الصراع العميق بين التقاليد اليابانية الأصيلة وحداثة ما بعد الحرب.

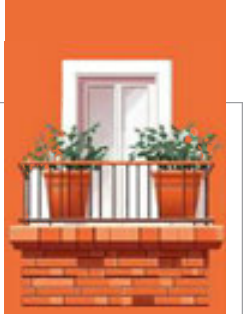

شرفة الهديل

غوايات الكتب المدهشة.

عبدالمحسن يوسف

للكتبِ الجميلةِ سطوةٌ على الذاكرة ، تتركُ أثرها العميق رغم مرور الكثير من السنوات تحت جسر الزمن.
هنا باقةٌ من تلك الكتب التي قرأتُها باكرًا وشغفتُ بها كثيرًا ، وظلّ تأثيرُها قائمًا إلى يومنا هذا.
لذا أكتبُ عنها هذه الإضاءات المقتضبة ، لعلّ جيلاً جديدًا من هُواةِ القراءةِ والكتابةِ والإبداع يصطفيها كما اصطفيتُها ذات شغف.

1

باكرًا قرأتُ كتاب " العمق الرمادي " ، للشاعر الروسي يفغيني يفتوشنكو (قام بترجمته إدريس الملياني ، وصدر عن " أزمنة " بالعاصمة الأردنية عمّان) إنه سيرةٌ مليئةٌ ، مكتوبةٌ بحبرٍ صافٍ وروحٍ جلية..تتناول سنوات الطفولة والصبا ، العذابات المبكرة ، والبدايات العجيبة الأولى على مستوى الكتابة .. مكابدات الحياة ، عثراتها ، ومخاتلاتها المُرّة ، سطوة الأيديولوجيا وما تحدثه في النفس البشرية من تلف ، الرقابة الصارمة على الإبداع في بلده ذاتَ حقبةٍ مريرة والتلصص على أصابع الكاتب وتفتيش الهواء الذي يتنفسه ..كما تتناول بلغةٍ بسيطةٍ عميقةٍ جميلةٍ ساحرةٍ و ساخرةٍ وناقدة ذلك الفكر المغلق كصندوق ، الفكر الذي يفضي إلى صوغِ أصنامٍ جديدة في كل مرحلة ، و تقديس " الديكتاتور " وتقديمه لحشدٍ واسعٍ من الناس بوصفه بطلًا مغوارًا ورمزًا خارقًا للعادة.. وبما انه وُضِعَ في منطقةٍ مقدسة فهو حتمًا - والحال هذه - فوق مستوى النقد والتمحيص والمساءلة.. يفتوشنكو هنا يشيرُ - من دون مواربةٍ - إلى " ستالين " الذي اتضحتْ حقيقتُهُ بجلاء بعد رحيله ، فهو ذلك الدمويُّ البشع ، مهندسُ المجازر ، وسليلُ حقبةِ الآثام .
المهم في هذا السياق هو إن الشاعر يفغيني _ على حدِّ قوله - حينما رأى ما يجري في جنازة ستالين من حماقاتٍ قرر على الفور إجراء " مراجعةٍ " جذرية - ولربّما جاءت متأخرةً - كيلا يظل رهينةً لهذا الفكر " القطيعيِّ " الذي يسوقُ الناسَ إلى بريّةٍ عريضةٍ واسعةٍ معتمةٍ كما لو كانوا محضَ أنعامٍ مصابةٍ بالعمى.

2

هذه الرواية العظيمة لسيلفيا بلاث التي بعنوان (الناقوس الزجاجي) - الصادرة عن دار كلمة في " أبوظبي " - لها "حكاية " طويلة ، أوجزها هكذا : رفضتها محررتان في دار هاربر ـ تكبران بلاث سنًا ـ بحجة إن الرواية " مخيبة للآمال " ، وإنها " صبيانية " .. بعد انتحار بلاث في العام 1963 ، عُرِضَتْ الروايةُ ذاتُها على شخصٍ يُدعى فرانك سيوسيا ـ وهو مدير مبيعات بارز في الدار نفسها ـ لكنه كان يتصف بنظرة ثاقبة تمكنه من التعرف على الكتب العظيمة آنَ قراءتِها .. قرأها في ليلةٍ واحدة ، شغفَ بها ، وتوقع أن تحقق مبيعات استثنائية ، وفعلًا صدقَ حدسُهُ.
قامت الدارُ بنشرها ، ومنذ العام 1972 بيعت منها قرابة 3 ملايين نسخة ، ثم احتلت مكانها على الفور ضمن قائمة الكتب الأكثر مبيعًا ، ورَسَّخَتْ نفسَها كتوأم للرواية الشهيرة " الحارس في حقل الشوفان " للكاتب الأمريكي جيروم ديفيد سالينجر الصادرة في العام 1951.
جدير بالذكر أن سيلفيا بلاث شاعرةٌ رائعةٌ أيضًا .. منذ سنواتٍ ليست بعيدةً قرأتُ لها مختارات أدارت رأسي ، صادرة في مجلد أنيق عن دار " كلمة " في أبوظبي ، ترجمها بحبره الرائع سامر أبو هواش.
هذه الشاعرة ذات الروح القلقة أنْهَتْ حياتها منتحرةً بالغاز بطريقةٍ قاسيةٍ ومؤلمة .. مصيرها المأساوي هذا دفعني إلى التساؤل بريبة : هل لزوجها الشاعر " تيد هيوز" يدٌ في عذاباتها ؟ أم إنها مهيأة نفسيًا لإطفاءِ حياتِها هكذا وهي في ربيعها الثلاثين ؟

3

" الطريق الوحيد " للروائي التركي الكبير عزيز نسين ، رواية مبهجة مثل روايته العظيمة الأخرى " زوبك " ، تتناول عالم الاحتيال بلغةٍ ساخرة ، لا تخلو من مرحٍ داكن ..يتحدث نسين عنها قائلًا : " تعرفت على بطل هذه الرواية عام 1956 في سجن باشا قبصي. كان محتالًا ذا سوابق ، عمره يزيد على الخمسين عامًا. وقد شكّلَ لي المصدرَ الحيَّ لاستلهام شخصية باشازادة الذي أحكي عنه في الرواية" ، ويتابع نسين حديثه قائلًا : " كأكثر المحتالين كان باشازادة حَكَّاءً ماهرًا ، وكأكثر المحتالين أيضًا يحكي وقائعَ ملفقةً كما لو انها وقعتْ له في الحقيقة ، ولكثرة ما يكرر سرد حكاياته يُصدِّق ما لفقه هو من كذب. ولأنه يصدّقُ هو أولًا ما يحكيه من تلفيقاتٍ كاذبةٍ تصبح هذه الحكاياتُ مقنعةً ومؤثرة ".. هذا المحتال كان يبرع في ابتكار المبررات لإسكاتِ ضميرِهِ عند ارتكابه ذنبًا ما ، قائلًا

: " كانت كافةُ الطرقِ مغلقةً في وجهي ، بقيَ أمامي طريقٌ واحد " ، لهذا السبب - يضيفُ نسين - أطلقتُ على هذه الرواية "الطريق الوحيد".

هذه الرواية صدرت عن دار المدى بدمشق ، وقام بالترجمة المبدع الراحل عبد القادر عبد اللي المتخصص في ترجمة الأدب التركي.

4

من الروايات التي راقت لي كثيرًا (تُرْجِمَتْ إلى أكثر من خمسين لغة في العالم) رواية " الرجل الذي مات مرتين " ، وهناك ترجمة ثانية لها بعنوان " ميتتان لرجل واحد " ، وثمة ترجمة ثالثة أيضًا بعنوان " كانكان العوّام " ، للروائي البرازيلي جورج أمادو ، المهتم كثيرًا بالعوالم السفلية لمدينة " باهيا " وبأولئك المسحوقين الذين دأبَتْ الحياةُ الغليظةُ أن تضغط عليهم بأقدامها الرثة .. حين مات " جواكيم " في البيت ميتةً عاديّةً لم يصدق أصدقاؤه المقربون هذه الميتة التي حَلَّتْ به ، إذْ من المفترض أن يموت غرقًا كميتةِ أيِّ بحّارٍ جسور ، كميتةِ فارسِ الريحِ والليلِ والزرقة ، الذي تخلّى عن البيت والعائلة والأصدقاء القدامى والحياة المستقرة ووهب نفسَهُ لقيم التشرد و الصعلكة حيث النوم في الحظيرة والعيش في المهب ؛ لذا تحلّقَ حوله الأصدقاءُ تحت جنح الظلام كندماءٍ مخلصين ، وظلوا يسردون حكايةً أخرى لموته ، حكاية تليق بسيد التسكع في " باهيا " .. وفيما كانوا يتناوبون على حراسته الليل كله شرعوا يتذكرون الكثير من الانتصارات والجسارات والمراثي ويقولون فيه قصائدَ عذبةً مليئةً بشجنٍ حارقٍ تمتدحه وتمتدح الصعلكة وفرسانها الرائعين. في خاتمةِ الروايةِ والليلِ معًا يحملونه على مضض في قاربٍ و يلقون به في البحر ليموت ميتةً أخرى تليق بفارسٍ صعلوكٍ ظلَّ حيًا في الوجدان ، في الشعر والأغاني معًا.

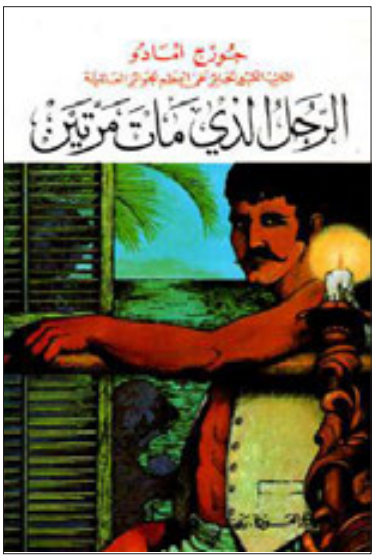

5

تحت سماءٍ نظيفةٍ ، حيث رقة النسائم ، أعدتُ قراءةَ كتابٍ جميلٍ سبق أن قرأته قبل سنوات ...كتاب بعنوان " مشاهد إنسانية " للشاعر التركي الكبير ناظم حكمت ..كان هذا الكتاب النثري - الذي يوشك أن يكون شعرًا - في مكتبتي أيام الجامعة في أربعة أجزاء ، لكنَّ نارًا شرسةً أتتْ على محتوياتِ الغرفةِ التي كنتُ أقطنُها فوق السطح بما فيها المكتبة التي بكيتُ عليها بحرقة ، ألم أكنْ أجمع محتوياتها قطرةً قطرة ؟ .. في العام 2001 استعدتُ الكتابَ حين اشتريتُهُ من المعرض الدولي للكتاب بجدة ..تحديدًا من دار الحوار.. وكانتْ قد جمعَتْ الأجزاءَ كلَّها في كتابٍ واحد. ناظم حكمت هنا يكتب تأملاته ومشاهداته وهو في المعتقل ، يستعيدها من الذاكرة أو يرصدها عبر ما رآه في السجون ..إنه يكتبُ حيواتِ الناسِ البسطاء ، أمثال خليل وعائشة وزينب ومصطفى وحمدي ...الخ ..وهو بهذا كمن يؤرّخُ للحربِ العالميةِ الثانية التي كانت تستعرُ في تلك الأثناء .. لهذا كان هاجسُ الموتِ طاغيًا وهو يكتب : " ما أشبه الإنسان بالورد ، يذوي في لحظةٍ واحدة " ، ويقول : " بعد موتي أنا .. الآخر سيعيشُ ..وآخرُ سيموت ..في حين سأستمرُّ أنا حيًا " .. أو قوله لفائق بيك : " لأنك وحيدٌ في الحياة ، تبقى وحيدًا أيضًا في الموت " ..ويبدع ناظم حكمت في تأملاته اليومية وهو يرصدُ بسطاءَ الناسِ قائلًا : " كان خليل يدخلُ عالَمَ التأمُّل ، وكأنه يدخل من أحد الأبواب " ..أو قوله : " كان علي يروي حلمه والآخرون يصغون باحترام ،ليس الاحترام لمن رأى الحلم ، لا ..إنه للحلم بالذات " ..كما يتألق في رسم صور شعرية فاتنة فيما هو يرصد التفاصيل ، هكذا : " سقط كيسُ الورقِ من حضنِ الدوملي ، تناثرتْ حبَّاتُ التفاح على الأرض كأطفالٍ فرحين " ..كما يهيمُ بالمرأة ويبدعُ في وصفها : " تلك المرأةُ التي لم تهْرَمْ أبدًا ، ممتلئةٌ كالخبزِ الأبيض ، بيضاءُ وناعمةٌ " .. أو كقوله : " أنا مَنْ رأيتُ جمالَ يديك ، إنَّ يديكِ خارقتان للعادة "..الجميل هو إنَّ ناظم حكمت ظلَّ دائمًا مدافعًا عن الأمل وهكذا يطلقُ سؤالَهُ طيرًا طليقًا في سماءٍ صافيةٍ : " مَنْ قالَ إنَّ بالإمكانِ هزيمةَ الأمل ؟ مَنْ يستطيعُ هزيمةَ أملِ البشريّة ؟ " ، كما ظلَّ متفائلًا على الدوام ، ألم يقلْ - ذاتَ سيرةٍ - رغم كل العذاب : " الحياةُ جميلةٌ ، يا صاحبي " ؟

6

" هكذا أتينا إلى الحياة " ، و " هكذا سرنا " ..جزءان من كتابٍ في ألف صفحة ، يختزلان - بلغةٍ شيقة و ساخرة - سيرة الروائي التركي الكبير عزيز نيسين ، بدءًا من الطفولة والصبا والشباب وانتهاءً بمرحلة الشهرة والذيوع والأضواء والنضال والسجون والمآلات المرعبة .. قرأتُهما في جلسةٍ طويلةٍ ممتعة ..أذكر جيدًا أن القراءة انطلقت عصر الأربعاء وانتهت عصر الخميس ..حين أتذكر كل هذا أقول ضاحكًا : يا لجنون القراءة في تلك المرحلة المليئة من حياتي !

هذه السيرةُ جميلةٌ حقًا كونها تكنزُ تجربةً غنيّةً في الكتابة والحياة ..مبثوثٌ بها اللؤم والبراءة ، النصر والخذلان ، الأعراس والمراثي ، السجن والحرية ، الكتابة والواقع ، السلطة والكاتب ، الوردة والعطر ، العاصفة والنسيم ، الإخفاقات والأماني ، الضحك والنحيب ، الكتابة والإنسان ، البسالة في قول ما ينبغي أن يُقال مع الاستعداد الباهر لتحمل العواقب... باختصار ، هي سيرةٌ مليئةٌ بالمواقف والمشاهد والأحداث والكثير من التحديات التي واجهت صاحب " زوبك " ، و " الطريق الوحيد " ، و " بتوش الحلوة " ، و " يحيى ، يعيش ولا يحيى" ، وسواها.

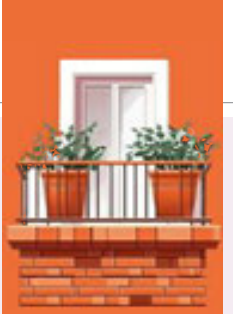

المقـــال

حدود الرواية التاريخية.

أ.د. علي بن محمد الحمود*

تسعى هذه المقالة إلى وضع حدود واضحة للرواية التاريخية بعد أن لاحظت وجود تداخل كبير بين اتجاهات الرواية الأدبية، إذ يختلط المفهوم عند بعض المتلقين، فيعدّ بعض الروايات الاجتماعية روايات تاريخية، ومن ذلك عدّ بعضهم رواية (شقة الحرية) لغازي القصيبي (رحمه الله) رواية تاريخية؛ لأنها تحدثت عن مرحلة سابقة، تمثلت في مرحلة الخمسينات. فالتداخل والخلط الظاهر عند بعض المتلقين دفعني إلى محاولة توضيح الفروق بين الرواية التاريخية والاتجاهات الروائية الأخرى.

والسبب في هذا الخلط في المرحلة الأخيرة يرجع إلى ظهور روايات تاريخية اتخذت من العصر الحديث فضاء لها، وهذه الروايات تتداخل مع بعض الروايات الاجتماعية التي كتبت في مرحلة سابقة، مثل: ثلاثية نجيب محفوظ التي كتبت قبل أكثر من سبعين عاماً، فالمتلقي الحالي ينظر إليها وأمثالها من الروايات بصفتها روايات تاريخية. والقضية محسومة مع الروايات التي اتخذت من العصور السابقة للعصر الحديث فضاءات لها؛ إذ يجمع المتلقون على أنها روايات تاريخية، وإن كانت تتداخل- في بعض نماذجها- مع اتجاهات روائية أخرى، مثل: الروايات العجائبية والأسطورية.

وبداية أشير إلى أن مفهوم الرواية يتمثل في أنها فن سردي تخييلي، ويعنى بسرد مجموعة من الأحداث، ويهتم بوصف الشخصيات، وفق أبعادها المختلفة؛ لتبدو للمتلقي كائناً مكتمل الملامح؛ لتبرير تصرفاتها وعلاقاتها بالعناصر الروائية الأخرى. وتعنى الرواية-أيضاً-بالفضاء الذي يحتضن الأحداث، وتنمو فيه الشخصيات وتتحرك، وأساليبها متنوعة، تتمثل في السرد والوصف والحوار بنوعيه.

والمجال مفتوح أمام الروائيين لاختيار شخصيات رواياتهم أو أحداثها من الواقع الحاضر، أو التاريخ، أو الأساطير، ويحضر المرجع التخييلي مساندا للمرجعيات السابقة، وقد يكون هو العنصر الرئيس في الروايات الخيالية المحضة، أو الروايات العجائبية.

والرواية التاريخية: هي الرواية التي تتخذ من التاريخ عبر عصوره المختلفة موضوعاً لها، وعودة الروائي إلى الماضي عبر مراحله المختلفة؛ بحثاً عن أحداث مضت، وشخصيات اندثرت، لها وظائف متفاوتة؛ وتنتج تبعاً لذلك اتجاهات روائية مختلفة.

وهي الرواية التي يمتزج فيها الواقع التاريخي بالتخييلي، مع اختلاف في طغيان أحد الجانبين على الآخر. ومن مفاهيمها أنها الرواية التي تتخذ من الماضي عبر عصوره المختلفة فضاء لها، وتتحدث عن أحداث وشخصيات تاريخية. وهي إما أن تروي الماضي أو تبعثه أو تجدده أو تفسره وتؤوله. وليست وظيفة الروائي مجرد الإخبار عن تلك الأحداث والشخصيات، فهذه وظيفة المؤرخين الذين كفونا هذا الأمر.

والمقياس المقترح عندي لوضع حدود واضحة للرواية التاريخية النظر إلى زمن كتابة الرواية، فهل كان الكاتب معاصراً لتلك الأحداث؟ فرواية (شقة الحرية) لغازي القصيبي، و(ثلاثية نجيب محفوظ) -على سبيل المثال- تحدثت عن فضاء زماني عاصره الروائيان، ومن هنا نستطيع الحكم على تلك الأعمال بأنها روايات اجتماعية واقعية.

ولو كتب اليوم روائي عن مرحلة لم يعاصر أحداثها، فستكون روايته تاريخية؛ لأنه يتحدث عن فضاء زماني لم يعش فيه، وكان مصدره ما دونته الكتب، وما سمعه من كبار السن، أو البرامج الوثائقية.

ولتوضيح الصورة: لو كتب روائي اليوم عن الحارة المصرية في الخمسينات مثلاً، فروايته تاريخية؛ لأنه تحدث عن فترة زمنية لم يعش فيها، ولم يعاصر أحداثها المفترضة. بينما لو كتب روائي معمر عن الفترة ذاتها، وكان معاصرًا لفضائها الزماني، فتعد روايته واقعية اجتماعية.

فالتحديد ينطلق من زمن الكتابة، ومعاصرة الروائي للأحداث، والمصادر التي استعان بها في كتابة روايته.

وبعد وضع حدود بين الروايتين الاجتماعية الواقعية والتاريخية سأتجه إلى محاولة التمييز بين الرواية التاريخية والرواية العجائبية والأسطورية. وبداية سأشير بإيجاز إلى مفهوم الرواية العجائبية والأسطورية. فالرواية العجائبية قوامها أحداث خارقة للعادة، وتختلط بالتاريخية عندما ترتد إلى الزمن الماضي، والرواية الأسطورية قوامها شخصيات أسطورية أو أحداث أسطورية، أو أماكن أسطورية. ويرجع تداخل هذين الاتجاهين مع الرواية التاريخية إلى الارتداد إلى أزمان ماضية، ومن نماذج الروايات العجائبية رواية (الجنية) (لغازي القصيبي)، ومن نماذج الروايات الأسطورية في أدبنا المحلي بعض روايات الروائي السعودي (طاهر عوض سلام). ويمكن التفريق بين الرواية التاريخية وهذين الاتجاهين عن طريق تحديد الزمن في الروايات التاريخية، وبناء الشخصيات وسماتها، وحضور المرجعي التاريخي في الشخصيات العجائبية والأسطورية. وأؤكد هنا أن هناك بعض الروايات يتداخل فيها المرجعي التاريخي بالعجائبي والأسطوري، ولتحديد اتجاه هذا النوع من الروايات يمكن النظر إلى الأكثر حضوراً في الرواية، فهناك روايات تاريخية تقوم على شخصيات تاريخية، ويبرز فيها البعد الأسطوري أو روايات تاريخية من حيث الفضاء، لكنها تقوم على شخصيات عجائبية ذات صفات خارقة للعادة، والحد الفاصل بينها ينطلق من تحديد المرجعية الأكثر حضوراً في الرواية.

وبعد، فما ذكرته في هذه المقالة يندرج ضمن محاولة تعميق الأسئلة المعرفية عن حدود الرواية التاريخية، وفض الاشتباك بينها وبين الروايات الواقعية الحديثة والروايات العجائبية والأسطورية، والموضوع بحاجة إلى مزيد من المقاربات النقدية التي تزيل اللبس والاختلاط القائم بين المتلقين.

*أستاذ النقد الأدبي

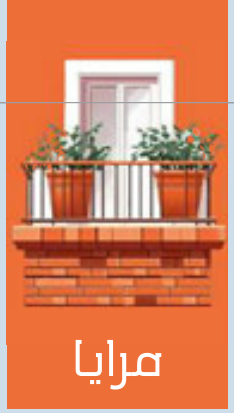

مرايا

لماذا يظن بعض المثقفين أنهم أوصياء على الثقافة؟!

صابرين البحري

كلما اتسع المشهد الثقافي، ظهر فيه من يتصرف وكأنه وكيل الثقافة، ووصيها، والناطق باسمها. لا يكتفي بعرض رأيه، وإنما يمنح نفسه حق تحديد من يستحق أن يُسمى مثقفًا، وما الذي يدخل في دائرة الثقافة، وأي الأفكار تستحق أن تُسمع، وأيها يجب أن تُهمَّش. وكأن الثقافة دارٌ لها باب، يقف عنده حارس يقرر من يعبر ومن يبقى خارجه.

ولا تنشأ هذه الوصاية من منصب أو تكليف، وإنما تبدأ حين يقتنع الإنسان أن ما حصّله من معرفة يخوّله الحديث باسم الثقافة كلها. عندها يتغير معنى النقد، فلا يعود قراءةً للمشهد أو محاولةً لفهمه، وإنما يتحول إلى سلطة تمنح الشرعية لهذا، وتسحبها من ذاك، وترتب الناس في مراتب، وكأن الحقيقة استقرت عند طرف واحد.

ومن هنا تضيق الثقافة بأهلها. فالوصي لا ينشغل بما يمكن أن تضيفه الأفكار، بقدر ما ينشغل بمن قالها. ولا يرى في الاختلاف فرصة لتوسيع أفقه، وإنما يعدّه اعتراضًا على مكانته. لذلك يكثر من إصدار الأحكام، ويقل عنده الإصغاء، حتى يصبح الانتصار لرأيه أهم من البحث عن الحقيقة.

الثقافة لا تُبنى بهذه الطريقة. إنها تراكم طويل، يخطئ ويصيب، ويتقدم ويتعثر. ومن اعتاد أن يبحث عن الإخفاق في كل تجربة، فلن يرى المشهد كما هو، بل كما رسمه في ذهنه قبل أن يقرأه.

والأغرب أن بعض الأصوات لم تعد تكتفي بقراءة الكتب أو نقد المبادرات، وإنما أخذت تمنح الناس ألقابًا وتسلبها منهم. فهذا مثقف، وذاك لا يستحق هذه الصفة، وهذا يمثل الثقافة، وآخر لا مكان له فيها. وكأن الثقافة امتياز يمنحه أفراد، لا رحلة يثبتها العمل، ويشهد لها الزمن.

لهذا يبقى الفرق كبيرًا بين الناقد والوصي. فالناقد يقرأ ليكتشف، ويحلل ليُقوِّم، ويختلف ليُثري الحوار. أما الوصي فيقرأ ليحكم، ويكتب ليحسم، ويتعامل مع رأيه على أنه خاتمة النقاش. وهنا يفقد النقد رسالته، ويتحول إلى أداة للهيمنة لا وسيلة للفهم.

إن المشهد الثقافي الحي لا يرهقه تعدد واختلاف الآراء، إنما يرهقه ادعاء امتلاك المعرفة. فما من فكرة نضجت إلا بعد أن صهرها النقاش، وما من معرفة بقيت حية إلا لأنها قبلت المراجعة والتفكيك. وما إن يظن أحدهم أنه أصبح المتحدث الرسمي باسم الثقافة، حتى يبتعد عنها في اللحظة ذاتها التي يتوهم فيها أنه يدافع عنها.

فالثقافة لا تحتاج إلى من يتحدث باسمها، وإنما إلى من يضيف إليها. والوصاية لا تصنع مثقفًا، وإنما تصنع سلطة جديدة، يتغير اسمها، ويبقى أثرها واحدًا.

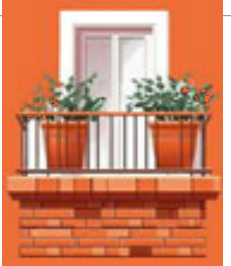

قراءة ثانية

بين باشلار وشعراء المعلقات..

من بيت باريسي إلى خيمة في نجد.

إبراهيم زولي

بين بيت غاستون باشلار وطلل امرئ القيس مسافة طويلة في التاريخ، لكنها قصيرة في الذاكرة. هناك فيلسوف فرنسي يتأمل بيت الطفولة بوصفه زاوية الإنسان الأولى من العالم، وهنا شاعر جاهلي يقف أمام دار خلت من أهلها، فيستدعي بها زمنًا أوسع من حدود المكان نفسه. في الحالتين لا يعود المكان جغرافيا محايدة، ولا كتلة من حجر أو تراب، بل يصبح جهازًا للذاكرة، وجسدًا خفيًا للحنين، ووسيلة يعيد بها الإنسان ترتيب علاقته بالعالم.

وليست هذه المقاربة محاولة لإخضاع الشعر الجاهلي لنظرية حديثة، ولا جرّ باشلار إلى الصحراء على نحو قسري، بقدر ما هي إنصات إلى قرابة عميقة بين حدس الشاعر وتأمل الفيلسوف. فكلاهما، بطريقته، أدرك أن المكان لا يظل خارج الإنسان، بل يتسلل إلى لغته وصوره وأحلامه، حتى يصير جزءًا من تكوينه الداخلي.

باشلار: البيت كونًا أول

في كتابه "جماليات المكان"، بترجمة غالب هلسا (1932-1989)، يذكّرنا باشلار بأن البيت هو "زاويتنا من العالم"، ويصفه بأنه "كوننا الأول". لا يتعامل باشلار مع البيت بوصفه بناء هندسيًا، بل بوصفه مجالًا حميميًا تعيد الذاكرة والخيال والصورة الشعرية تشكيله. فالبيت عنده ليس جدرانًا وسقفًا فحسب، وإنما مكان تتجمع فيه الأفكار والذكريات والأحلام، وتتحول تفاصيله الصغيرة، من القبو إلى العلية، ومن الأدراج إلى الزوايا، إلى طبقات داخل النفس.

لذلك لا يرى باشلار (1884-1962) المكان فضاء خارجيًا تقف الذات في مواجهته، بل مجالًا يتداخل فيه السكن بالحلم والذاكرة واللغة. إن فقدان الحس بالبيت ليس فقدانًا لمأوى مادي فقط، بل خسارة لجزء من القدرة على الحلم. فالإنسان لا يسكن البيت وحده، بل تسكنه البيوت التي مر بها، وتظل غرفها القديمة تعمل في داخله، حتى بعد أن تغلق أبوابها في الواقع.

الطلل: عتبة القصيدة الجاهلية

حين ننتقل إلى شعراء المعلقات، نجد أنهم، بحدسهم الشعري، اقتربوا مما سيصوغه باشلار لاحقًا بلغة فلسفية. فالوقوف على الأطلال ليس عادة شكلية في المطالع، ولا مجرد استجابة لقالب موروث، بل لحظة تأسيس يدخل منها الشاعر إلى القصيدة. عند هذه العتبة يختبر علاقته بالماضي، وبالحبيبة، وبالرحيل، وبذاته التي لا تستعيد المكان كما كان، بل كما ترك أثره فيها. يقول امرؤ القيس:

"قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل"

هذا المطلع ليس بكاء عابرًا، بل وقفة تأملية أمام ذاكرة محددة الأسماء. فالشاعر لا يبدأ من فكرة مجردة، ولا من حزن عام، بل من موضع له حدود وملامح: "سقط اللوى"، "الدخول"، "حومل". كأن تسمية المكان محاولة لإنقاذه من الذوبان، أو تثبيته في وجه الزمن. وما إن تدخل هذه الأسماء في القصيدة حتى تكف عن كونها نقاطًا على خريطة، وتتحول إلى علامات وجدانية في ذاكرة الشاعر واللغة معًا.

هنا لا يعمل المكان كخلفية للحكاية، بل كجذر لها. فالحب لا يعود ذكرى عاطفية فقط، بل يرتبط بتراب ومهب ريح ومواضع عبور. ومن هذه العلاقة بين الوجدان والموضع يكتسب المطلع قوته؛ فالقصيدة لا تبدأ من الداخل وحده، ولا من الخارج وحده، بل من لحظة يلتقي فيها الاثنان على أثر دار قديمة.

المكان كأثر جسدي

طرفة بن العبد يذهب إلى المعنى نفسه من زاوية أكثر حسية، إذ يقول:

"لخولة أطلال ببرقة ثهمد
تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد"

هنا يتحول المكان إلى جلد، والطلل إلى وشم باهت. الأطلال لا تُرى فحسب، بل تكاد تُلمس تخييليًا. في الصورة انزياح لافت: الخراب يُشبَّه بما هو زينة دائمة، والفقد يتحول إلى أثر لا يمحى. كأن المكان، حين يدخل منطقة المجاز، لا يبقى خارج الجسد، بل يغدو علامة على الجلد، وذاكرة منظورة.

هذه إحدى لحظات عبقرية الشعر الجاهلي: أنه لا يحفظ المكان بالوصف وحده، بل يربطه بالحواس. لذلك يتحول "ثهمد" من اسم بعيد إلى أثر قريب؛ من موضع في الصحراء إلى وشم على ظاهر اليد. وما كان يمكن لهذه الصورة أن تبلغ هذا العمق لو ظل الطلل مجرد بقايا مرئية. إنه هنا شيء آخر: بقايا في الخارج، وندبة في الداخل.

المكان الصامت ولسان القصيدة

أما زهير بن أبي سلمى، فيبدأ من صمت المكان، إذ يقول:

"أمن أم أوفى دمنة لم تكلم
بحرمانة الدراج فالمتثلم"

الدمنة هنا مخاطب صامت. لا تتكلم، لكنها تستدرج سؤال الشاعر. ومن هذا الصمت تنبثق اللغة. كأن القصيدة كلها محاولة لجعل المكان ينطق، أو لتسجيل التوتر بين طلل صامت ولسان لا يقبل أن يترك الماضي في العدم. هنا لا يكون الطلل شاهدًا على الفقد فحسب، بل امتحانًا لقدرة الشعر على إنقاذ ما

يمكن إنقاذه من الغياب.
قوة المشهد في مفارقته: المكان لا يقول شيئًا، ومع ذلك يطلق الكلام كله. وربما كان هذا جوهر العلاقة بين الشعر والأمكنة الراحلة؛ فالمكان حين يصمت لا ينتهي، بل يترك للشاعر مهمة الكلام عنه، لا لكي يعيده كما كان، بل لكي يمنحه حياة أخرى في اللغة.

عنترة: حين تشك الذاكرة في العين

عنترة بن شداد يفتح بابًا آخر؛ لا باب البكاء وحده، بل باب الشك في قدرة العين على مطابقة الذاكرة. يقول:

"هل غادر الشعراء من متردم
أم هل عرفت الدار بعد توهم؟
يا دار عبلة بالجواء تكلمي
وعمي صباحًا دار عبلة واسلمي"

السؤال المحوري هنا ليس عن الشعراء فقط، بل عن المعرفة نفسها: "أم هل عرفت الدار بعد توهم؟". هل يرى الشاعر المكان كما هو، أم كما أعادته الذاكرة؟ هل يتعرف إلى الدار، أم يتعرف إلى صورته القديمة عنها؟ هذا السؤال يلتقي، من بعيد، بتجربة باشلار حين يعود الإنسان إلى بيت طفولته فيجده أصغر من صورته القديمة. الذاكرة اتسعت، والمكان تقلص، وبينهما فجوة لا يملؤها إلا الخيال.

لذلك يخاطب عنترة الدار كما تخاطب الكائنات الحية. إنه لا يصفها من بعيد، بل يحييها، ويسلم عليها، ويطلب منها الكلام. في هذا النداء شيء من العجز وشيء من الوفاء؛ كأن الشاعر يعرف أن الدار لن تجيب، لكنه لا يستطيع أن يمر بها كما يمر الغريب. فالذاكرة، حين تشتد، تجعل الجماد قريبًا، وتمنح الصامت حق المخاطبة.

النابغة: المكان في مواجهة الزمن

وإذا وسعنا الدائرة قليلًا خارج أصحاب المعلقات في صورتهم الأشهر، وجدنا النابغة الذبياني (يعده البعض من أصحاب المعلقات العشر)

يضيف إلى الطلل بعدًا زمنيًا أشد قتامة، إذ يقول:

"يا دار مية بالعلياء فالسند
أقوت وطال عليها سالف الأبد"

ليست الدار هنا مهجورة فقط، بل واقعة تحت ثقل زمن كثيف، كأن "سالف الأبد" مر عليها وتركها شاهدًا على هشاشة العمر. في هذا المشهد لا يخص المكان تجربة عاشق واحد، بل يصبح علامة على مصير إنساني أوسع: كل بيت مهدد بأن يصير أثرًا، وكل حضور قابل لأن يتحول إلى ذكرى.

هكذا تتسع الدار من كونها منزلًا للحبيبة إلى كونها سؤالًا عن الفناء. ومن هنا يستمد الطلل قوته: إنه مكان صغير، لكنه يفتح على زمن لا حد له. وما يبدو للعين خرابًا محدودًا، يتحول في القصيدة إلى مرآة كبرى يرى فيها الإنسان مصيره، لا مصير حبه وحده.

بين الداخل والخارج

إذا وضعنا باشلار في مواجهة شعراء الطلل، فلن يكون التشابه في هيئة المكان. باشلار يتأمل بيتًا ذا قبو وعلية وزوايا وأدراج، بينما يتحرك الشعراء في صحراء وديار وأطلال ومسالك رحيل. الفارق المادي واضح، لكن القرابة العميقة تكمن في الطريقة التي تحول بها اللغة المكان إلى سؤال عن الذات.

باشلار يكتب السكن من الداخل إلى الخارج؛ يهبط إلى القبو، يصعد إلى العلية، ويتتبع الزوايا كخرائط للروح. أما شعراء المعلقات فيبدأون من الخارج المفتوح: الرمل، الديار الخالية، أثر الحبيبة، طريق الرحيل. غير أن هذا الخارج، ما إن يدخل القصيدة، حتى يتحول إلى باطن: الصحراء تيه داخلي، والطلل ذاكرة، واسم الموضع علامة هوية.

من هنا يمكن فهم الوقوف على الأطلال بوصفه بنية رمزية تفتح القصيدة على الحب والرحيل والحرب والفخر والموت. فالشاعر لا يبدأ بالدار لأنه يريد أن يؤدي طقسًا موروثًا فقط، بل لأنه يحتاج إلى عتبة يدخل منها إلى عالمه. ومن يمتلك تفاصيل المكان يمتلك طريقه إلى المعنى، ولو كان ذلك المكان دمنة ممحوة أو أثرًا آيلًا إلى الاختفاء.

هل يمكن للقصيدة أن تعيش بلا مكان؟

يكشف اللقاء بين باشلار والشعراء الجاهليين سؤالًا لا يزال ملحًا: ماذا يعني أن ننتمي إلى مكان؟ وماذا نخسر حين تفقد اللغة أسماءها الحميمة، مثل "سقط اللوى" و"برقة ثهمد" و"حومانة الدراج"؟ هل تستطيع قصيدة بلا أثر مكاني أن تستقر في الوجدان، أم تبقى معلقة في هواء العبارة؟

ربما لهذا تبدو بعض النصوص الحديثة، حين تتخلى عن ملامح المكان وروائحه وأسمائه، أقرب إلى تأمل نظري لا يجد أرضًا يقف عليها. وليس المقصود إنكار تجارب حديثة جعلت المكان مركزًا شعريًا، من القرية إلى المدينة، ومن المنفى إلى الوطن، بل الإشارة إلى خطر التجريد حين يقطع النص صلته بالمحسوس. فالمكان لا يضيق القصيدة، بل يمنحها جسدًا.

لقد استطاع الشاعر الجاهلي، بقوة الذاكرة الشفوية وثراء الصورة، أن يخلد مواضع بعينها؛ لأنه لم يتعامل معها بوصفها أسماء عابرة، بل بوصفها جزءًا من جسده اللغوي. وما زلنا، إلى اليوم، نردد أسماء مواضع قد لا نعرف مواقعها الدقيقة، لكنها بقيت فينا لأن الشعر منحها حياة ثانية. إننا لا نعرف "ثهمد" كما يعرفها الجغرافي، بل كما جعلها طرفة تلمع كباقي الوشم في ظاهر اليد.

اللغة بيت بديل

هنا تتقاطع حكمة الفيلسوف مع حدس الشاعر. باشلار يذكرنا بأن البيت يحمي أحلام اليقظة، وأن فقدان الحس به يضعف قدرتنا على الحلم. وشعراء المعلقات يعلموننا أن القصيدة التي لا تبدأ من عتبة ما، من دار أو طلل أو أثر، قد تفقد شيئًا من ذاكرتها الأولى.

بين بيت الطفولة الذي يتقلص حين نعود إليه، ودار الحبيبة التي لا يبقى منها إلا الأثر، نكتشف أن جماليات المكان ليست حنينًا سهلًا، بل طريقة لطرح سؤال وجودي: من نحن بلا أمكنتنا؟ وكيف تصبح اللغة بيتًا بديلًا حين تغيب البيوت أو تُمحى؟

ولعل أجمل ما يفعله الأدب أنه لا يعيد المكان كما كان، بل كما بقي فينا. فالبيت القديم قد يهدم، والدار قد تقفر، والطريق قد يتغير، غير أن اللغة تستطيع أن تحفظ من ذلك كله ومضة لا يبلغها الخراب كاملًا. لهذا ليست القصيدة، سواء كتبت في بيت باريسي، أو أمام طلل أو خيمة في صحراء نجد، سوى محاولة لإعادة بناء مأوى ما. كلما عدنا إليه وجدناه أصغر مما تخيلنا، وأوسع مما نحتمل؛ لكنه يظل المكان الذي يحمينا من التيه، ويمنح الغياب صوتًا، ويجعل اللغة بيتًا بديلًا.

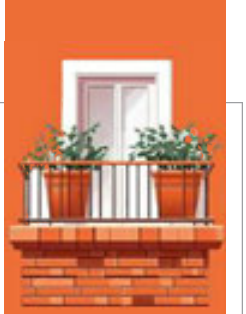

شرفة النقد

تأملات في "سيرة ذاتية لغيمة" للشاعر محمد خضر..

عندما تتحوّل الاستعارات إلى سيرة.

د. مستورة العرابي

إن قراءة ديوان "سيرة ذاتية لغيمة" للشاعر محمد خضر(دار أدب، 2023م) في أول تماسٍّ مع النص، تثير جملة من السمات الجمالية والدلالية المتشابكة، من بينها: تحويل قصيدة النثر، عبر بنيتها السردية، وإيقاعها الداخلي إلى قصص قصيرة تتحول بدورها إلى مشاهد سيرية متشظية، إضافة إلى بناء معمارٍ استعاريٍّ متماسك يُشكِّل نواة لتحويل الذهن من الغيم إلى المطر، ومن الموت إلى الولادة داخل صيرورة البنية التكرارية التي تنتج ميلاد الاستعارة والسيرة على حدّ سواء.

وانطلاقًا من هذا الأفق، تأتي هذه المقالة بوصفها قراءة صحفية تستضيء بهذه الملامح، وتتبّع بعض تجلياتها في بنية الديوان ومساراته التأويلية.

وفي هذا السياق، يطالعنا استهلالٌ سرديٌّ ينطوي على بُعد فلسفي يزاوج بين المطر والحكاية في صيغة اقتباس من الفيلسوف المثالي الألماني (هيغل):

(من الطبيعة نقرأ التاريخ، ومن تناقضها ندرك أنها أصل كل حركة وكل حياة).

إنه ملفوظ يجيب على مقدمة الشاعر حينما يقول:

أنت القديم في المطر، يعرفك جيدًا..

منذ الطفولة حين كنت تظنه بكاء السماء..

حتى هذه اللحظة وهو يبلل وجهك بالحكايات.

نتلقّى هذا المدخل الفلسفي الرومانسي من خلال تشاكل: المطر حكاية.إذ يبني المتلقي في ذهنه عوالم لقطرات المطر، وهي تحكي حركة الحياة قطرة قطرة. وذلك عبر وحدات دلالية متشاكلة وهي: المطر، الطفولة، بكاء السماء، الحكايات، كل حياة، حركة.

ومن هذا المنطلق، نقرأ قصيدة "غيمة" بغية الكشف عن بنائها الاستعاري، وآليات تشكله. إذ تنتقل السيرة في القصيدة من الفكرة إلى الكائن، حيث تتشكل حكاية الهوية، وهوية الحكاية.

من قبل أن تعرف أنها سَتمضِي
نحو الجبال الجرداء،
من قبل أن تكبر..تكبر
ويكسوها السواد
من صغرها حين كانت فكرةً
لرياح عاتية
وهي تدركُ أن المعنى في البذرة
في شجرة على وشك الموت
في وردةٍ مغلفةٍ لحفلِ ميلاد.

إن تلك المقاطع تحكي سيرة الغيمة، وكيف تحولت مع الريح إلى سواد يطلّ على حياة طبيعية على وشك الموت. إنها استعارة مفهومية تسند الصغر والطفولة للغيمة التي تتحول إلى فكرة، وتمثل الذات، وهي تجابه العالم. وهذا ما تمثله الاستعارات الآتية:

"من قبل أن تكبر"،"من صغرها"،" وهي تدرك المعنى"، وهو ما يكرّس حضور استعارة المطر المركزية التي تقوم على أساس جسدنة العزلة والموت نحو أمل الانبعاث من جديد، وهو مايشكل المحور الدلالي للنص: "المعنى في البذرة" مما يقود المتلقي إلى الانصات بعمق إلى سيرة الغيمة التي تبحث عن هوية المطر وسط العتمة والسواد.

إن هذا المنظور الجمالي الشعري يقود إلى تشييد هوية الغيمة عبر تناص داخلي لمكونات القصيدة مع بعضها بعضٍ، وللقصائد الأخرى في الديوان كذلك، فالمطر يحاور العتمة، ويحاور السواد، والعتمة تحاور الجفاف، والبذرة تحاور المعنى.

إن هذه البنى الشعرية التي تنبثق من استعارات المطر والغيمة يوازيها سردٌ متزامن يزاوج بين الحكي والشعر الملفوظ عبر مستويات هي: مستوى التبئير؛ حيث قصائد الشاعر تجعل من الغيمة قصة تدور حول قصص صغرى، مث ل:"ولادة"،"غيمة"،"سحب"،"حقل"،"مطر" وغيرها. ونضيف إلى هذا المستوى بنية الصراع الدرامي الذي تختزله الجملة السيرية الشعرية الآتية: (مطرٌ ليس أكيدًا)، يقول:

يتردد ينهمر قليلاً
يتوقف فجأةً
لأنها صحراء..
لا أحد هناك
ربما لأن جسد الرمالِ لم يعد عاريًا
ربما لم يعد في الأمر مغامرة
قصصُ التيه في الجهات انتهت
وبات السرابُ حيلة قديمة
والقافلة المنتظرة بالهودج لن تعود
إلا كقصةٍ في فيلم وثائقي
..
المطر سؤالٌ لم يجد إجابة
في كل مرةٍ تجيبهُ الأرض
بالمزيد من الأسئلة
فيعود..

ومن هنا تتداعى قصص الغيمة عبر هذين المستويين، فينشأ الصراع بين الغيمة والعطش وبين المطر والدلاء الخاوية. وبذلك فنحن أمام هوية مضمرة، هي هوية الشاعر الذي يرى ذاته غيمة تحتبس في السماء ،وتنتظر انفلات السحاب إلى حفيف الشجر، وخيالات المطر.

إذن، نلحظ أن الشاعر يبحث عن قصة الولادة، وهي ولادة ليست من الفراغ، بل تشكّل قصة غيم محمّل بالحكايات؛ وهذا يعني أن الشاعر ينسج قصيدته النثرية، وفي داخله

ذاكرة جماعية سابقة، مما يدل على أن أن الهوية لا تمنح مرة واحدة، بل تتشكّل قطرة قطرة مع زخم الغيمة وسيرتها المتواصلة. وهـذا ما يفسّـره نسـق الاسـتعارات الذي يـزاوج بيـن عناصـر متباعدة فـي الزمان والمـكان غيـر أنهـا منسـجمة وجدانيًـا وذهنيًا في هذا السـياق من قبيل: "شـغف البسـاتين"و"منابت النعناع"و"عطـش الأمكنة"..وهذا مايتمثّل فـي صراع الرغبة والهوية. أي صراع الواقع والحلم والممكن، يقول في مقاطع نصه"غبار":

• الغبار رغبة الترابِ أن يتحولَ إلى غيمة.
• يعود الغبارُ إلى الأرضِ
وفي ملامحه بقع زرقاء
• عائلاتٌ من الغبارِ
فقدت أطفالها
على رفوف النوافذ.
• الغبار: ترابٌ مدّ لحافه لأكثرَ من قدميهِ
• وحده التائهُ
لا يفرقُ بين الغبارِ والضباب.
..
• الغبار محاولة الصحراء الأولى للطيران.
...
لكن الأحلام السعيدة واصلت السفر..
بنفس عدد المقاعد المحجوزة،
وبطاقة إرشادات الوقاية
وعدد الملوحين بقلوبهم في بوابات المغادرين..

نحـن أمام تصور نسـقي اسـتعاري ينطلق من نـواة الغيم، ليحكي رغبة الذات في بناء سـيرة تحكي أولاً، ثم ثانيًا تتحول إلـى انبعاث مـن رحم الجفاف، بـل إن الاسـتعارة المركزية السابقة تتشظى إلى حكايات تتداولها القصيدة ذاتها. يقول في قصيدة "شتاء":

يوجعنا الشتاء بهذا الليل الزائدِ عن حاجة المرء..
برائحة المعاطف القديمة..
بذاكرةِ القصائد التي لم تكتمل..
بصوتِ أغنية من شباكٍ بعيد..
برسائل العائدين بعد سنوات..
ليسألونك وهم في محاولة تذكرِ وجهكَ الأول:
كيف الحال؟

إن المتلقـي، وهويقرأ حكايـات الغيمة، تتشـابك في ذهنه مؤشرات ما نعته أمبرتو إيكو بالقارئ الضمني، فيتساءل: إلى متـى تنتهي قصص خريفنـا بمطر يتجاوز العـدم، كما في قوله:أنا فراشتك أيها الوجود
أنا تاجك أيها العدم
من مائك تجرعت ذراتي
ومن وقع صوتك في شوارع الفضاء
نسجت موالي الأول
..
وقعنا كثيرًا بالخطأ والعمد واللعب
وقعنا..كي لا تشعر الكائنات المتوحشة
أننا نقوى على شيء..
فلم نعد نرانا سوى حفرة مضيئة
بين جبال الأكوان البعيدة
أنا شذرة من ضلعك

تلك التي لونت البحر بماء أرواحنا
والصحراء بألوان أو جهنا في الطفولة..
والأسماء بنصيبنا من أحزاننا..

وانطلاقًا من هذه الوقفات التي اسـتثمرنا فيها مفاهيم التناص المسـاند والاستعارة النسقية والتكثيف والتبئير السردي وغيرها نطـرح تسـاؤلاً جديـدًا، وهو: كيـف ينتقل الديوان مـن جنس السـيرة التقليدية . أي من السيرة الواقعية إلى السيرة الاستعارية داخـل البنيـة الكليـة للديـوان بوصفهـا مشروعًا مفتوحًا للتشكّل والتأويل.

إن الديـوان، وهويحتفـي بالمطـر وأحلام الطفولة، يجعل ثيمة"الوجود" أساسًا لذلك الحلـم بالمطر، فقصيدة "تكوين" تشـكل محورًا دلاليًا للقصيدة بوصفه نسـقًا عامًا. إذ يتجلى الصراع بين الوجود والعدم تمثله كلمات مثل:" الوجود"،"العدم"،"تجرعت"، "نسجت"،"القدر" وغيرها مما تتناسل عنه متواليات سردية؛ فكل اسـتعارة في الوجـود تحكي حكاية:"أنا فراشـتك أيها الوجود".إذ يسـجل السـرد هنا حالة الذات والفضاء.أي نسبة الأنا إلى الفراشـة ثم إلى الوجود، ثم تتشكّل استعارة العدم في قوله:

أنا تاجك أيها العدم
ويغدو السـرد، من جديد، قائمًا علـى تقديم متوالية العدم، ثم تتنامى الحكايات من اسـتعارات متراكمة بكثافة، كما في قوله: من مائك تجرعتْ ذراتي
ومن وقعِ صوتك في شوارع الفضاء
نسجتُ موالي الأول
الصوت الذي كتب في طرقاتنا الحظ، والنصيب
والقرعة، والقدر
والنجمة الحرز..

إذ نلحظ أن في كل استعارة حكاية:

فمـن الماء يتجـرع الإنسـان ذرات الحياة. إذ تتشـكل حالات الإنسان استعاريًا عبر تراكم الفعل الماضي"نسجت"،"كتب"؛ حيث ذرات الحياة تنشطر إلى أصوات في الطرقات، وانكسارات بين الحظ والنصيب، والقضاء والقدر.

ذلك التوليد المتوازي للاسـتعارة والحكاية يعترف به الشاعر نفسه، حين يقول: احتفاءً بجدران أجداد البشرية الأوائل الذين أقاموا عليها معارضهم الرمزية
وحرروا حكاياتهم الآسرة :
حين اكتشفوا لأول مرةٍ الفرقَ
بين الصرخة واللغة..
وأن صورتهم في النهر..
هي صورتهم الأبدية..

فبالنظـر إلـى تراكـم الأفعـال الماضيـة، والمركـب الاسـمي"حكايات" يتجاوز الشاعر السـرد الذاتي ليتحول إلى سـيرة جماعية تحكيها الغيمـة والطريق والأودية والشـتاء؛ بـل تمتد إلى المعاطف القديمة المرتبطة اسـتعاريًا بذاكرة القصائد: برائحةِ المعاطفِ القديمة..
بذاكرة القصائد التي لم تكتمل..

إذن، حوّل شـاعرنا في ديوانه"سيرة ذاتية لغيمة" الاستعارة إلـى سـيرة، وحوّل السـيرة مـن بعدهـا الذاتي إلـى بعدها الجماعي والوجودي في تحوّل فكري أشـبه ما يكون بشعرية السرد، وسرد الشعر.

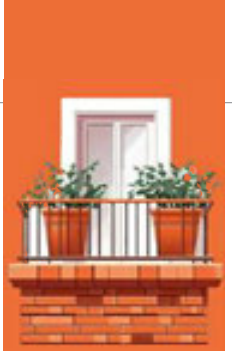

وقفات في مقام الشعر

قراءة في تجربة الشاعر محمد أبو شرارة..

الأنا الشعرية بين الملحمية والغنائية.

محمد إبراهيم يعقوب

اقرأُ ويُحجبُ عنّي الجمالُ بدعاوى أدركتُ فيما بعد أنّها زائفة.

هكذا كانت تجربة قراءتي لشعرية محمد أبو شرارة عبر دواوينه الثلاثة:

ـ اعترافٌ في حضرة الأنا 2015 م.

ـ السماويّ الذي يُغنّي 2018 م.

ـ أغنية على حافة الريح 2023 م.

كان يدور في ذهني سؤالٌ عن نسبة الشعرية في نصٍّ مناسباتي، أياً كانت هذه المناسبة. هل كان هذا حكماً مسبقاً قبل الدخول إلى النصّ، أم أنّ المسألة عبارة عن قناعة خاطئة شائعة لا تستطيع الانحياز إلى الشعر أياً كان موقعه.

بالنسبة لقصائد المناسبات، يقول غوته الشاعر والروائي الألماني: كلّ شعرٍ هو شعر مناسبات، ومنذ وقتٍ مبكّر انتبه لذلك الدكتور عبد الله الغذامي في كتابه «ثقافة الأسئلة ـ 1992 م»، يقول: وباب المناسبات، وهو بابٌ عريضٌ وواسعٌ، وهو أحد الأبواب التي مسّها من الظلم والحيف الشيء الكبير والجليل، منذ أيام مدرسة الديوان إلى اليوم، مما بلغ بالمتكلمين (أو الكاتبين) حدّ طردها من ديوان الأدب، ووصف كل ما هو مناسباتي بأنه ليس أدبياً وأنّ شعر المناسبات ليس شعراً. وهذا شعار شاع في نقدنا شيوعاً غوغائياً سالت بسببه الأقلام والأفواه مستنكرةً لكل قول يرتبط بمناسبة، واعتبرت هذا صنيعاً لا يدخل في الأدب، ونحن لو قبلنا هذا لأخرجنا معظم أشعار العرب وأشعار المعاصرين ولن يبقى لنا بعد ذلك سوى النزر اليسير من صافي القول الذي ربما جاء حراً من المناسبة.

هل ترتكز قصائد محمد أبو شرارة على المناسبة إلى هذا الحدّ؟

في الواقع أنّني عندما قرأت قصائد محمد أبو شرارة عبر دواوينه الثلاثة، وصلت إلى أنّ هذه القصائد تتأرجح بين الملحمية والغنائية ضمن مناسبات شتّى، ثمّ أنّ الشاعر يتّكئ على نفسه كثيراً في بعض القصائد الملحمية، مثلاً قصيدة «معلّقة للاحتفاء بالهشاشة» ما يقارب 80 بيتاً، وقصيدة «محراب الماء» ما يفوق 50 بيتاً، ألقيت في افتتاح مهرجان أبي تمام، وقصيدة «نقشٌ على ذهب النيلين» أكثر من ثلاثين بيتاً، ألقيت في افتتاح مهرجان الشعر العربي بالخرطوم، وقصيدة «شرفة الرؤيا» أكثر من ثلاثين بيتاً، قيلت في حفل افتتاح بيت الشعراء في الأردن. ثم انظر إلى الأجواء التي يضع الشاعر نفسها فيها في مواجهات تناصٍّ كبرى، مثلاً قصيدة «اعترافٌ بين يدي أبي تمّام»، وقصيدة «في حضرة المتنبّي»، وقصيدة «مقتل كليب» إلى روح الشاعر أمل دنقل، وهكذا.

أجل، القصائد كتبت في مناسبات بعينها، أو في أجواء استحضار شخوص ونصوص بذاتها، لكن، ماذا يقول النصّ في آخر الأمر؟

ولنبدأ الآن باستكشاف تجربة محمد أبو شرارة الشعرية من خلال عناوين دواوينه. والعنوان الشعريّ تكوينٌ لغويٌ دالٌّ، وكما تؤكد الدكتورة دوش الدوسري في كتابها «العنوان: تشكيله الجمالي ومحاوره الدلالية»: «تكمن أهمية العنوان في كونه ينفتح على ثلاث جهات، على النصّ حيث يرتبط معه في علاقات قوية، وعلى المتلقي حيث يكون جاذباً ومدهشاً، وعلى العنوان نفسه، بوصفه يحمل ملامحه في الدلالة والبناء الجمالي، ويستدعي القراءة والتأمّل والتأويل.

عنوان الديوان الأول للشاعر محمد أبو شرارة هو: «اعترافٌ في حضرة الأنا»، وهو في الحقيقة التفاتٌ ما إلى الذات الشاعرة، وتقديمها للعالم كأنا شعرية واثقة، يقول: «نبوءتي لغتي العليا»، وهو في هذا الديوان شاعرٌ يحتجُّ، هل الشعر إلا احتجاجٌ على العالم بطريقةٍ ما؟! وكما يقول نزار قبّاني: ماذا من الشعر يبقى حين يرتاحُ؟! لكن الشاعر بالرغم من ذلك ينحاز إلى غنائية تتجلّى فيما بعد، لكنها غنائية تنشد الحرية وتكون بها، يقول:

والشعر مثل النهر يجري بنا
والمـرء مغلوبٌ على أمـهِ
فما يُغني طائرٌ مـوثقٌ
طائر يمـرح في قفرهْ

في ديوانه الثاني بعنوان «السماويّ الذي يُغنّي»، وإن كان العنوان يؤكد مزيّة الغناء هذه لهذا السماويّ، إلا أنّ هناك بقايا «الأنا» الأولى، يقول:

قال لي الكوكب القصيّ: اتّخذني
وسوى قِبلة الـ «أنا» ما اتّخذتْ

ويقول:

من أنتَ؟ قال: اقترح اسماً فقلتُ لهُ في
جبّتي مددٌ يُفضي إلى مددِ

ولكنه يكاد يصل إلى حقيقة الأمر، يقول:

الشعر برق الفكرة العـذراء والمعنى فضـــوحُ
الشعـر تهويم الخيال ويُفسد الشعـر الوضوحُ
الشعـر سرّ الســـدرة العليا يُجلّيها الجنوحُ
قل للقصيدة: «هيت» إنّ الشعر ممتنعٌ مليحُ
وجـــع القصيدة للمغنّي والخـليّ المستريحُ
ليس للمغنّي إلا وجع القصيدة!

في ديوانه الثالث بعنوان «أغنية على حافة الريح» يبدو الشاعر أكثر قدرةً على تقبّل الأمـر، فيكتب «معلقةً للاحتفاء بالهشاشة» هكذا مرةً واحدة، يقول:

طلبتُ حين انشطـــرتُ أغنيةً واحدةً لم أفز بواحدةِ
أفرُّ من قِبلتي ويرهقني طوف المريدين حول صومعتي
مـــواسمٌ أُجّلت وأمنيةٌ خضـــراء ما أثمرت بسنبلةِ

لكن هل يتخّلى محمد أبو شـرارة عن «أناه»، أبداً!، يقول في آخر القصيدة:

قصيدةٌ أحكمت فرائدها كســـورةٍ في الكتاب مُحكمةِ
تقول للبحر وهو منسرحٌ: ضفائري يا خليل مِنسأتي
أمرّد الصـرح باسم فاتنةٍ من عبقـــر الفنّ أيّ فاتنةِ
أتيتهم بالمجاز معجـــزةً فأنكروا آيتي ومعجـــزتي

لعلّنا نفهم الآن هذه الطاقة الشعرية الواثقة التي يمتلكها الشاعر للتصدّي لكتابة قصيدة مناسبات ملحمية، يضع فيها شعريته على المحكّ كلّ مرة، وبكل هذا الجموح.

ولكن، هل للشاعر محمد أبو شرارة وجه آخر غير هذه الملحمية النافرة!

كـأنّ محمد أبو شـرارة يلتقط أنفاسه بين هذه القصائد التي تصرّ أن تترافع ضدّ قبح العالم، فهو يجد نفسه أحياناً مشدوداً إلى الغناء، والغناء وحده، في قصائد غاية فـي العذوبة والشغب اللذيذ، يقول:

ألا يا ورد لا تحـزن وحقّ الحبّ لا تحـــزنْ
تثنّ ومِل مع النسمات يا جـــوريّ يا سوسنْ
وإن رفّ الهـــوى يوماً للثم العطـــر

واستأذنْ
فأرسل عطرك الفوّاح هل خُلق الشذا يُسجنْ؟!

ويـقـول فـي قصيدة «مـرايـا الشاطئ الرملي»:

أنا طفـلها أم أنها طفـلي
نلهـو فيتبع ظلها ظلي
طفلين عدنا عند شـرفتنا
لا أهلها انتبهـوا ولا أهلي
أحلامنا بالرمل نرسمهـا
والموج يمحـو حلمنا الرملي
طفـــلان إلا أنّ في فمنـا
ظمأً، فمن يروي الظما؟ قل لي

ويقول في قصيدة «هيولى»:

تجسّدي يا هيولى تكشّفي يا ستورُ
مظلّتان ومـــاءٌ ومخمـــلٌ وعبيرُ
تغار منكِ المرايا كما يغار الحريرُ
والياسمين يُصلّي وتستحمّ العطورُ

في آخر كتاب صدر عن تجربة محمود درويـش ـ وما أكثر الكتب التي تصدر عن تجربته ـ كان الكتاب للناقد وصديق الشاعر محمود درويش لسنوات الدكتور صبحي حديدي بعنوان «مستقرّ محمود درويـش: الملحمية الغنائية وإلحاح التاريخ» عام 2024 م، يحاول الكتاب معرفة لماذا محمود درويـش محمود درويش، يؤكد الدكتور صبحي حديدي فـي فصل «سـطـوة الملحمة وإلحاح الغناء» أنّ تجربة محمود درويش مرّت بعدة مراحل، وكان بدء ظهور المرحلة الملحمية مع ديوان «مديح الظل العالي ـ 1983 م» و «حصار لمدائح البحر 1984 م»، وتبدأ المرحلة الغنائية مع ديوان «هي أغنية، هي أغنية ـ 1986 م» وديوان « وردٌ أقلّ ـ 1986 م»، أما المرحلة التي امتزجت فيها الملحمية مع الغنائية فكانت مع ديوان «أرى ما أريد ـ 1990 م» وديوان «أحد عشر كوكباً 1992 م»، يقول صبحي حديدي: «وفي هذه المرحلة كان درويـش يستكمل الفصل الأنضج في تجربته في مصالحة الموضوع الملحمي مع الموضوع الغنائي». بعدها بدأت بالطبع تجربة محمود درويـش التي نعرفها جميعاً مع ديوان «لماذا تركت الحصان وحيداً ـ 1995 م» فما بعده من دواوين.

تجربة محمد أبـو شـرارة تشكّلت ـ دون وعيٍ ربما ـ في ظلّ مزيجٍ نفسيٍّ ومعرفيٍّ بين الملحمية والغنائية، نقرأ له في قطعةٍ من أربعة أبيات كيف يمزج بين الحالتين، يقول:

ردّي قميص المـــاءْ لعـــيون من سكبهْ
إنّ الحـروف غناءْ وأناملـــــي قصبهْ
يا مريم العـــذراءْ عيسى على الخشبهْ
تبكي عليه سمـاءْ يبكي لمن صـــــلبهْ

انظر كيف يمزج بين ملحمية «صلب المسيح» وغنائية «مخاطبة الأنثى والوزن والقافية» في مساحة صغيرة لا تتعدّى أربعة أبيات!

أنا أحبّ محمد،

ورهاني على تجربة الشاعر محمد أبو شرارة في قادم الأيام يستند إلى طاقةٍ شعريةٍ هائلةٍ ليست مؤمنة بذاتها وأناها فحسب، بل تستثمر هذه الأنا النافرة التي عُجنت شعراً، وتستثمر هذه الطاقة الإبداعية المشحونة والمقتحمة في آنٍ، ثم تؤمن بالشعر صيغةً أخيرةً لمخرج طوارئ مقترح من هذا العالم.

شرفة النقد

قراءة في أسلوب الكتابة القصيرة جدًا في مجموعة (رأيته يفتش عن صحراء) للدكتور سامي جريدي..

حين تتحوّل العين التشكيلية إلى مرآة سردية.

نايف مهدي

تمثّل نصوص سامي جريدي في هذا الكتاب تجربة لافتة في حقل كتابة القصة القصيرة جدًا، فإلى جانب إجادتها التكثيف اللغوي والاشتغال الرمزي والانزياح الدلالي، فهي تشير لنا بجلاء إلى انتمائها العميق إلى منطق الصورة قبل منطق الحكاية. وتكمن فرادة هذه التجربة واختلافها عن النسق المعتاد في كونها صادرة عن فنان تشكيلي، الأمر الذي يفتح آفاقًا تأويليةً بالغة الأهمية لتفكيك هذه النصوص وفهم بنيتها الداخلية، وآليات تشكّلها، وطبيعة اشتغالها الجمالي والرمزي. فالقارئ يشعر منذ اللحظة الأولى أن هذه النصوص لا تُبنى انطلاقًا من السؤال السردي التقليدي: ماذا حدث؟ أو كيف بدأ الأمر؟ إنما من سؤال آخر أكثر بصريّة: كيف يُرى العالم؟ وهذا التحوّل الجوهري في زاوية الرؤية والتبئير والتناول هو مفتاح الدخول الحقيقي إلى عالم سامي جريدي السردي. من الجدير بالذكر أن أبرز سمة في أسلوب سامي جريدي في "رأيته يفتش عن صحراء": هي سيادة الصورة المشهدية على البنية الحكائية، أي هيمنة الصورة على الحدث. فمعظم نصوصه تنطلق من لقطة بصرية مكثفة مشحونة، تتكاثف فيها الحركة واللون والكتلة والظل وتتعاضد قبل أن تتشكل منها الدلالة. في نصوص مثل: (تحليق – رقاب – يوم الذبح الأكبر – عواء) نلاحظ أن المشهد يتقدم على السرد، والصورة الذهنية تكتمل قبل أن تجسدها الكلمات، وأن القصة تُبنى من مشهد بصري مركزي، ثم تُترك للقارئ مهمة تأويله دلاليًا وتشكيل المعنى بنفسه حسب طبقته المعرفية وحالته الشعورية، فالمعنى يُؤول ويُنقب عنه تنقيبًا عميقًا ولا يُقدم جاهزًا، ففي أقصوصة "رقاب"، مثلًا، لا تقوم القصة على حكاية متسلسلة تقليدية، إنما تقوم على مواجهة بصرية مشحونة ومدهشة بين: رقبة الناقة العالقة في صخور الوادي، ورقاب البشر المرفوعة نحو السماء، وهي مقابلة ذكية تنتمي بوضوح إلى التركيب التشكيلي المتكئ على المفارقة البصرية والتوازن الدلالي بين الكتل والأحجام. هذا الحضور الكثيف للصورة لا يمكن فصله واقصاؤه عن خلفية الكاتب التشكيلية؛ إذ يبدو جليًا أن جريدي يفكّر بالعين- إن جاز لي هذا الوصف- قبل أن يفكّر بالكلمة، بمعنى أنه يرى المشهد أولًا ويشكّله ذهنيًا حتى يكتمل، ثم بعد ذلك يبحث له عن صياغة لغوية رصينة ومشدودة. ولو تمحّصنا هاته النصوص بعين التسجيل والتحليل لوجدناها تمتاز بخصيصة جلية، ألا وهي: الاقتصاد اللغوي المحكم الصارم في مقابلة الثراء الدلالي الكثيف الذي يجتاز طبقة النص الأولى إلى فضاءات رحبة شاسعة كالصحراء في امتدادها

وتكتمها، فالجملة عند جريدي قصيرة، ومشحونة، ومشدودة، ومحكمة، ومُوظفة بعناية ودُربة، لكنها محمّلة بطاقة رمزية عالية تفتح أبواب التأويل والانزياح على مصاريعها. في نص مثل "فدية"، نجد أن الحوار لا يتجاوز ثلاثة أسطر، لكنه ينفتح على أسئلة كبرى تتعلق بالعنف الأول، والقتل المؤسَّس، وعبثية الفداء. وهذا يشي، بلا شك، بقدرة الكاتب على تكثيف المعنى وجدل خيوطه بمهارة دون الإخلال بالدهشة، وهي من أصعب مهارات القصة القصيرة جدًا. غير أن هذا الاقتصاد اللغوي لا يسير دائمًا في اتجاه قصصي صرف؛ ففي عدد من النصوص مثل:"ناي، الهودج، تفاصيل، المقولات"، نجد أن اللغة تميل إلى الانزياح الشعري والتجريد الرمزي على حساب الحدث، ما يجعل هذه النصوص أقرب إلى قصيدة نثر مكثفة منها إلى قصة قصيرة جدًا منضبطة. أما المفارقة الكامنة في نهايات أقاصيص سامي جريدي فهي تبلغ مستوىً فنيًا عاليًا؛ لأنه يعتمد على المفارقة المشهدية لا على البلاغة اللغوية والإغلاق الرمزي المعقد. في أقصوصة "يوم الذبح الأكبر"، مثلًا، تتجلى المفارقة في تعليق فعل التفريغ المقدس لدم الأضحية حتى لحظة غروب الشمس في "قرني شيطان"، في توتر مذهل يجمع بين الطقس الديني والخرافة الشعبية القروية. وفي أقصوصة "فدية"، تقوم القصة كلها على مفارقة صادمة: استعارة بندقية لقتل قابيل، بينما القتل قد تم بالفعل. هذه المفارقة لا تعمل فقط على مستوى الدهشة والمراوغة اللغوية، بل تفتح أفقًا فلسفيًا ومفاهيمًا حول استمرار الجريمة الأولى في الزمن الإنساني. وفي أقصوصة "رقاب" نجد أن المفارقة بصرية صافية، تقوم على التوازي بين رقبة الحيوان ورقاب البشر، في حركة تصاعدية درامية من الصدمة إلى الرجاء. هذه النصوص تؤكد أن جريدي حين يكتب قصة قصيرة جدًا، فإنه يراهن على المفارقة المشهدية لا على الزخرفة اللفظية، وهو خيار فني ناضج قطعًا.

وفي هذا الكتاب نجد أن بعض نصوص سامي جريدي تتسم بحسّ أنثروبولوجي واضح دون مواربة، يتجلى في الاشتغال على المعتقد الشعبي والطقس الجمعي. ففي أقصوصة "يوم الذبح الأكبر"، يتعامل النص مع الدم بوصفه عنصرًا طقوسيًا مشحونًا بالخرافة والموروث، كاشفًا عن التداخل والتماهي المعقّد بين المقدس والأسطوري في الوعي الجمعي. وفي أقصوصة "رقاب"، يستحضر الكاتب مشهدًا قرويًا كاملًا، تتحول فيه الصدمة الطبيعية إلى لحظة دعاء جماعي خاطف، في صورة تمثل عمق ومتانة العلاقة بين الإنسان القروي والطبيعة والسماء. هذا البعد الأنثروبولوجي يعمّق النصوص، ويمنحها جذرًا ثقافيًا محليًا واضحًا وأصيلًا، دون أن تقع في المباشرة، أو التقرير، أو الوعظ، أو المحاكاة.

ومما قدمت أعلاه يمكن القول إن سامي جريدي يكتب بعين الرسام لا بقلم القاص التقليدي. ويتجلى ذلك في عدة مظاهر مهمة، مثل: هيمنة المشهد على الحكاية، والتفكير بالكتلة والظل والحركة، والاشتغال على التكوين البصري، والاعتماد على اللقطة الذهنية والتشظي النفسي لا التسلسل الرتيب. فالأقصوصة عنده غالبًا ما تبدو وكأنها لوحة مكتملة في جدار رخامي لا حكاية متدرجة. ولذلك، نجد بعض نصوصه تنتهي دون قفلة قصصية تقليدية؛ لأنها تكتفي بإغلاق بصري أو حسّي أو شعوري، وأرى أن هذا التأثير التشكّيلي يمتح نصوصه بقوة تصويرية عالية ويمدها بحسٍّ مشهديٍّ لافت، واقتصادٍ لغويٍّ نابعٍ من دقة الرسم وذهنية المفاهيمية التي تُوَلد المعنى ولا تُسلّم بالمعنى القارّ المبتذل، بيدَ أنه في الوقت ذاته قد يدفع بعض النصوص إلى التجريد المفرط، وإلى التحول من القصة إلى الومضة الشعرية. ختامًا، أقول إن تجربة سامي جريدي في الكتابة القصيرة جدًا تمثل تجربةً بصرية بامتياز، تنطلق من العين قبل اللغة، ومن المشهد الذهني قبل الحكاية المكتوبة. وهي تجربة غنية، لافتة، متعددة الطبقات، تتأرجح بين السرد والشعر، وبين الحكاية واللوحة، وبين المفارقة والتأمل والانزياح.

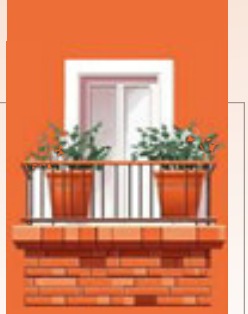

نقاشات

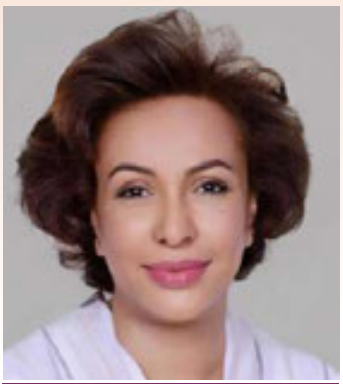

أمل الحسين

«زين صار عندنا»
وثقافة الاكتفاء..

حين يصبح الوجود إنجازًا.

ليس من الصعب أن تلاحظ أن كثيرًا من النقاشات حول الإنتاج الثقافي والفني، وحتى التجاري، تكاد تنتهي بالعبارة نفسها: (زين صار عندنا)، سواء انتُقد مسلسل تلفزيوني، أو فيلم سينمائي، أو مؤلَّف، يتحول النقاش سريعًا من تحليل اللغة والإخراج والبناء الفني إلى التأكيد على مجرد الوجود: (المهم أن لدينا صناعة درامية)، أو (هذه البداية)، وحين يتعلق الأمر بمؤلَّف، يركز الدفاع على ترجمته أو مشاركته في محفل دولي، كأن الحضور الخارجي يعفي النص من أي مساءلة عن قيمته الفنية الذاتية.

تبدو هذه العبارات في ظاهرها تعبيرًا عن التشجيع والإيجابية، لكنها في العمق تكشف عن تصور ثقافي يستحق التأمل الجاد، فبدلًا من أن يدور النقاش حول جودة العمل ومستواه، يتحول إلى احتفاء بمجرد وجوده، لم يعد السؤال: (ما قيمة هذا العمل؟)، بل: (زين إنه موجود).

يمكن ملاحظة هذه الظاهرة في مجالات متعددة ، ففي الدراما كثيرًا ما يطغى الاحتفاء على النقد، ويحل التصفيق محل القراءة الفنية، فتغيب مناقشة الكتابة والإخراج وبناء الشخصيات ، وحين يتعلق الأمر بالكتب، ينصرف النقاش في أحيان كثيرة إلى حضور المؤلف، أو ترجمة الكتاب، أو مشاركته في المعارض والمحافل، أكثر من انصرافه إلى مناقشة الأفكار أو اللغة أو البناء ،وحتى في الأسواق، تبدو وفرة المنتجات والمشاريع التجارية أحيانًا أكبر من تنوعها الحقيقي؛ فكثير منها لا يعاني من رداءة واضحة، لكنه أيضًا لا يبلغ مستوى التميز؛ ينجح في تلبية الحاجة، لكنه نادرًا ما يصنع تجربة تستحق أن تُتذكر .

هذا التصور يفرق بين من يحتفي بالبدايات كخطوة أولى، وآخر يجعل من هذا الاحتفاء بديلاً عن السعي نحو الإبداع والإتقان، ليست المشكلة في وجود أعمال متوسطة المستوى، إذ إن كل المجتمعات تنتج أعمالاً متفاوتة، ولا توجد نهضة في اي مجال تبدأ بالكمال، المشكلة الحقيقية تكون عندما يتحول هذا المستوى إلى السقف الذي تستقر عنده التوقعات، وعندما تصبح عبارة (نحن ما زلنا في البداية) تفسيرًا دائمًا لكل نقص، حتى بعد مرور سنوات طويلة وعشرات المشاريع.

بتأمل المشهد التجاري الترفيهي يلاحظ درجة عالية من التشابه بينها، ديكورات ضخمة ولافتة للنظر، غالبًا ما تفتقر إلى هوية فنية أو ثقافية مميزة. الموسيقى والأغاني تكاد تكون واحدة، وقوائم المشروبات تعيد إنتاج الأفكار ذاتها مع اختلافات بسيطة في النكهات أو نسب السكر، يتحول التنافس إلى تحسين الانطباع الأولي والإبهار البصري، لا إلى ابتكار تجربة فريدة، نتيجة لذلك، يستطيع الزبون الانتقال من مقهى إلى آخر دون أن يشعر بفقدان شيء جوهري، لأن الفروق بينها سطحية ، وقد اخترت المقاهي لكونها الواجهة الأكثر وضوحًا لموجة الانفتاح الثقافي والترفيهي، فكما شهدت البلاد توسعاً في الحفلات والإنتاج الفني، شهدت أيضًا انفجارًا في عدد المقاهي، حتى أصبحت إحدى أبرز المساحات التي تتجلى فيها طريقة إنتاج التجربة التجارية والثقافية.

المقاهي ليست سوى مثال على آلية

أوسع، فعندما يضعف الجوهر، يبدأ التعويض بالمظهر، في الفن يكون التعويض بالمؤثرات أو النجوم أو الحملات الترويجية، وفي المنتجات التجارية يكون بالتغليف، وفي الخدمات بالديكور والإبهار البصري، هذه العناصر ليست مشكلة في ذاتها، لكنها تفقد قيمتها عندما تتحول من وسائل تعبر عن الجودة إلى وسائل تخفي غيابها

تفسير هذه الظاهرة بقلة الخبرة أو ضعف الإمكانيات لا يبدو كافيًا، فكثير ممن يدافعون عن هذا المستوى قضوا سنوات في أبرز المدن الثقافية العالمية، واطلعوا على نماذج متقدمة في السينما والأدب والتصميم، ومع ذلك، يبقى الرد الشائع (لا تقارن، نحن في البداية) أو (زين صار عندنا).

ينقسم هذا السلوك إلى نمطين في الغالب: النمط الأول يدرك جيدًا الفرق بين المتوسط والمتقن، لكنه يطالب بخفض سقف التقييم بحجة أننا ما زلنا في مرحلة (التأسيس)، إلا أن هذه المرحلة تبدو بلا نهاية واضحة؛ فلا أحد يحدد متى تنتهي أو كم عامًا نحتاج بعدها لنطالب بمستوى أعلى، رغم أن الإنتاج الفني المحلي يمتد لعشرات السنين، وسبق أن قدم أعمالًا، بعضها بالأبيض والأسود، وأخرى تجاوز عمرها ثلاثين عامًا، أثبتت أن الجودة ليست أمرًا جديدًا أو مستحيلًا.

أما النمط الثاني فأكثر تعقيدًا؛ فالإقامة في الخارج لا تحول تلقائيًا المعايير الجمالية،

إذ يمكن للفرد أن يعيش طويلاً وسط الفنون دون أن تؤثر في وعيه، لأنه يبقى أسير دائرته الاجتماعية والثقافية، يستهلك التجربة دون أن يسمح لها بأن تعيد تشكيل وعيه، فليست كل تجربة تتحول إلى معرفة، وليست كل معرفة تتحول إلى ذائقة، وإنما يحدث ذلك فقط حين يكون الإنسان مستعدًا لأن يراجع معاييره السابقة في ضوء ما يراه ويتعلمه.

غالبًا ما يعمل مقدمو المنتجات والخدمات ضمن افتراضٍ ضمني بأن الجمهور سيرضى بما يُقدم له، ومع مرور الوقت، يتحول هذا الافتراض إلى ثقافة إنتاج لا تقتصر على الفن،

بل تمتد إلى مختلف القطاعات، فيصبح الاكتفاء بالمستوى المتوسط خيارًا أكثر أمانًا من السعي إلى التميز.

والأخطر أن هذه البيئة تولد ثقة مفرطة في الإنتاج المتوسط، فيُقدم كإنجاز استثنائي،

ويُستقبل النقد بوصفه موقفًا سلبيًا، حتى يصبح الاحتفاء هو اللغة الوحيدة المقبولة، ويغيب التقييم الجاد!

من المفارقات أن هذه الثقافة ترفض المقارنة بالمعايير العالمية عند النقد، لكنها تتطلع بشدة إلى أي اعتراف خارجي، وتمنحه قيمة استثنائية؛ فمشاركة في مهرجان، أو ترجمة، أو ثناء، أو توصية، تتحول سريعًا إلى برهان على الجودة، مهما كانت طبيعة ذلك الحضور أو أسبابه.

ليس في الطموح إلى العالمية عيب، بل هو سمة الثقافات الحية، لكن المشكلة تكمن في جعل المجاملة، أو التوصية، أو الإشادة الخارجية، بديلًا عن تقييم الجودة من الداخل ، وهكذا تصبح الجودة خيارًا ُ اختياريًا، لا التزامًا أساسيًا .

المجتمعات التي بنت تقاليد راسخة في الأدب والفن والرياضة لم تفعل ذلك بالتصفيق لكل شيء، بل برفع سقف التوقعات باستمرار، ورفض الاكتفاء بالبدايات كخاتمة.

فالمجتمعات لا تتقدم حين تكتفي بوجود المنتج، بل حين تجعل جودة المنتج موضع سؤال دائم، أما حين يصبح الاكتفاء ثقافة، فإن المستوى المتوسط لا يعود مرحلة في طريق التطور، بل يتحول إلى السقف الذي تتوقف عنده الطموحات.

المشكلة إذن ليست في وجود المستوى المتوسط، فهو موجود في كل المجتمعات، بل في تحوله إلى مستوى مريح، لا يدفع المنتج إلى مراجعة نفسه، ولا يدفع الجمهور إلى المطالبة بما هو أفضل، بعدما اعتاد هذا المستوى وانخفض سقف توقعاته، وعندها لا يعود (الوسط) مرحلة عابرة، بل يصبح ثقافة كاملة.

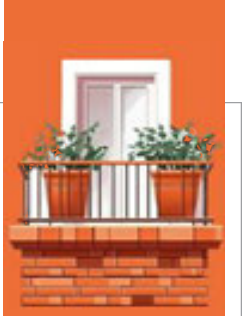

نقاشات

قراءة في تحولات الوظيفة السردية في الرواية الحديثة..

غالية بنت علي المشيقح*

من الصوت الميتاسردي إلى الراوي الميتاسردي.

شهدت الرواية الحديثة تحولات لافتة في بنيتها السردية، فلم تعد الحكاية غايتها الوحيدة، بل أصبح السرد ذاته موضوعًا للتأمل والكشف. ومن أبرز تجليات هذا التحول ما يُعرف بـ "الميتاسرد" (Metafiction)، حيث يلتفت النص إلى ذاته، ويكشف للقارئ آليات بنائه، ويجعله شريكًا في إدراك كيفية تشكّل العالم الروائي.

وتعرّف الناقدة باتريشيا واو الميتاسرد بأنه: "وعي النص بذاته بوصفه بناءً وصناعة بشرية"، وهو تعريف يوضح أن الرواية الميتاسردية لا تكتفي بتمثيل الواقع، وإنما تكشف في الوقت نفسه عن الوسائل التي تُنتج بها هذا التمثيل، فتنتقل القراءة من متابعة الحكاية إلى مساءلة طرائق بنائها.

وفي السياق العربي، يشير سعيد يقطين في كتابه قضايا الرواية العربية الجديدة إلى أن "... ما يتكفل بإنجاز هذا الميتاروائي الناظم الخارجي، كصوت سردي..."، وهو توصيف ينسجم مع حضور الصوت الميتاسردي بوصفه معلقًا على عملية الكتابة، أو كاشفًا لأدواتها، أو مذكرًا القارئ بأنه أمام نص يُصنع، لا واقع يُنقل. غير أن التأمل في بعض التجارب الروائية الحديثة يكشف تحولًا لافتًا في وظيفة هذا الصوت؛ إذ لم يعد يقف عند حدود التعليق أو كشف آليات السرد، بل تجاوز ذلك إلى التفاعل المباشر مع العالم الحكائي، فأصبح يتدخل في الأحداث، ويتحاور مع الشخصيات، بل ويسهم في توجيه مصائرها.

وهنا يبرز التساؤل: هل يكفي أن نطلق على هذا الحضور تسمية "الصوت الميتاسردي"، أم أن تطور وظيفته يدعونا إلى توصيف أكثر دقة؟

ولعل من المناسب - بوصفه مفهومًا إجرائيًا - اقتراح مصطلح "الراوي الميتاسردي" للدلالة على الراوي الذي لا يكتفي بالتعليق على الكتابة، وإنما يعبر حدود الخطاب إلى داخل العالم الحكائي، فيمارس سلطة السرد وسلطة الفعل معًا. فهو راوٍ واعٍ بعملية الكتابة، لكنه، في الوقت نفسه، يصبح عنصرًا من عناصر الحكاية، قادرًا على التأثير في مسارها، لا مجرد مراقب لها.

وهذا الاقتراح يستجيب لظاهرة نصية تكشف عنها بعض الروايات الحديثة، حين تتجاوز الوظيفة التقليدية للصوت الميتاسردي كما استقر في كثير من الكتابات النقدية.

ويتضح ذلك في بعض الروايات السعودية الحديثة، حيث لا يظل الراوي خارج العالم الحكائي، بل ينفذ إلى داخله، ويتعامل مع الشخصيات بوصفها كائنات قابلة للحوار والتأثير. ففي رواية "زيارة سجى" لأميمة الخميس، يتجاوز الراوي حدود السرد ليصبح فاعلًا في الحدث نفسه، إذ يقول:

"وأخذت أردد معها: انصرف ويجا، انصرف... وباتت تتبعني تردد ما أقول... ثم همست أنا: انصرف سجى".

في هذا المشهد لا يصف الراوي الحدث من الخارج، ولا يكتفي بالتعليق عليه، بل يشارك في صناعته؛ إذ يصبح طرفًا في الفعل السردي، ويتدخل مباشرة في مصير الشخصية، بما يفضي إلى تحريرها من عالم "الويجي". وهنا تتبدل وظيفة الراوي من ناقل للحكاية إلى مشارك في تشكيلها، وهو ما يثير التساؤل حول مدى كفاية توصيفه بوصفه "صوتًا" فحسب لاستيعاب هذا الحضور السردي.

ولعل النقد الأدبي يظل حيًا بقدر ما يظل منفتحًا على مراجعة مفاهيمه، وقدرته على تفسير الظواهر النصية الحقيقية. وإذا كان "الصوت الميتاسردي" قد نجح في توصيف مرحلة من تطور السرد، فإن بعض التجارب الروائية الحديثة تبدو وكأنها تدعونا إلى التفكير في مفهوم آخر، هو "الراوي الميتاسردي"، بوصفه راويًا يعبر من مراقبة الحكاية إلى المشاركة في صناعتها من الصوت الميتاسردي إلى الراوي الميتاسردي.

* ماجستير في الدراسات الأدبيّة - جامعة القصيم.

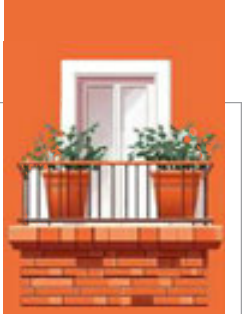

نقاشات

سفر المكتبات..

حين تغادر الكتب رفوفنا.. تبدأ حياتها الحقيقية.

صالح الحسيني

لكل قارئٍ نَهِمٍ، ومثقفٍ عارفٍ، أو كاتبٍ رصينِ الحرف والكلمة، مكتبةٌ تعكس اهتماماته؛ جمعها عبر كثافة اطلاعه، وفي سنوات الطلب، أو من خلال زياراته لمعارض الكتاب، واقتناءاته من المكتبات التجارية، أو إهداءات وصلته من أصدقاء، أو مراكز بحث، أو جمعيات، أو وُزِّعت في ملتقيات ثقافية. ومكتبته هذه ليست مجرد رفوفٍ تحمل عناوين، بل سنواتٌ من القراءة، والاكتشاف، والدهشة، والمراجعات، والرحلات البحثية. وكل كتابٍ فيها كان يومًا نافذةً أطل منها على عالمٍ جديد، أو معلومةً دقيقةً غيّرت قناعةً، أو تجربةً عمّقت الوعي، أو متعةً جماليةً تركت أثرها في النفس.

تمتلئ مكتباتنا الخاصة بكتب الأدب والنقد، والرواية والقصة، والشعر، والفلسفة، والتاريخ، والدراسات الإسلامية، واللغة، والعلوم البحتة، والطب، والاقتصاد، والفلك، وعلوم البحار، والسير والتراجم، والرحلات، وغيرها من المعارف التي صاحبتنا في مراحل مختلفة من أعمارنا. قرأناها، وعدنا إليها مراتٍ عديدة، واستندنا إليها في كتابة المقالات، والبحوث، والمشاركات الثقافية، واستخرجنا منها ما أغنى تجاربنا الحياتية والإنسانية.

غير أن سؤالًا جديرًا بالتأمل يفرض نفسه: ماذا بعد أن نُتمَّ رحلتنا مع هذه الكتب؟ هل ستبقى حبيسة الرفوف، يعلوها الغبار عامًا بعد عام، أم آن الأوان أن تبدأ رحلةً جديدة مع قرّاء آخرين؟

إن الكتاب لا يبلغ كمال رسالته وهو مغلقٌ بين جدران مكتبة خاصة، وإنما حين تنتقل فائدته من قارئٍ إلى آخر، ومن جيلٍ إلى جيل. فالمعرفة بطبيعتها لا تحب الاحتكار، بل تزدهر كلما اتسعت دائرة تداولها. ولعل الوقت قد حان لإطلاق مبادرة ثقافية عنوانها: "دع كتبك تواصل رحلتها." مبادرةٌ تدعو أصحاب المكتبات الخاصة إلى مراجعة مقتنياتهم، والاحتفاظ بما يمثل قيمةً شخصيةً أو مرجعًا دائمًا، ثم إهداء الكتب التي فرغوا من الإفادة منها إلى مكتبات الجامعات، أو مراكز البحث العلمي، أو الجمعيات الثقافية، أو المدارس، أو الأندية الأدبية، أو المكتبات العامة، بل وحتى إلى القرّاء الذين قد تعجز إمكاناتهم عن اقتناء الكتب، أو - على أقل تقدير - فتح هذه المكتبات للراغبين في التزوّد بما تحويه من معارف، كما يفعل بعض الأدباء والمؤرخين، وهم قلّة، من خلال تخصيص ساعاتٍ في بعض أيام الأسبوع لاستقبال الزائرين وتمكينهم من الإفادة من محتوياتها.

إن كثيرًا من الباحثين والطلاب يفتشون عن مراجع قد تكون مستقرةً منذ سنوات في مكتبة منزلية لا يفتح بابها إلا صاحبها، وربما كان كتابٌ واحدٌ مهملٌ على رفٍ خاص مفتاحًا لرسالةٍ علمية، أو بذرةً لمشروع بحث، أو سببًا في ميلاد قارئٍ جديد.

وليس في ذلك انتقاصٌ من قيمة المكتبة الخاصة، بل هو ارتقاءٌ بدورها؛ إذ تتحول من ذاكرةٍ فردية إلى ذاكرةٍ جمعية، ومن ملكيةٍ شخصية إلى أثرٍ معرفي ممتد. إن أجمل ما يمكن أن يتركه القارئ بعد عمرٍ طويل مع الكتب ليس عدد المجلدات التي امتلكها، وإنما عدد العقول التي انتفعت بما قرأ. فالكتب، على خلاف كثير من المقتنيات، لا تنقص بالعطاء، بل تتضاعف قيمتها كلما تنقلت بين الأيدي، وأثمرت أبحاثًا، وإبداعاتٍ، وتجاربَ إنسانيةً قيّمة.

وأستذكر في هذا برنامجًا شهريًا نفذه فريقٌ من المثقفين ضمن أنشطة (نادي باب المكتبة)، أطلقنا عليه اسم (سفَرْ المكتبات)؛ زرنا خلاله عددًا من المكتبات في منازل أصحابها، ومكتباتٍ تجاريةً أخرى، وكانت الفائدة كبيرةً للفريق.

لقد آن لنا أن ننظر إلى مكتباتنا كما ننظر إلى عقدٍ من الجواهر؛ فلا تكتمل زينته وهو مخبوءٌ في صندوق، بل حين يراه الناس وينتفعون بجماله. وكذلك الكتب؛ فقيمتها الحقيقية ليست في كثرتها على الرفوف، بل في عدد العيون التي تقرؤها، والعقول التي تنمو بها.

فلنمنح كتبنا فرصةً لحياةٍ ثانية... فربما كانت الصفحة التي انتهينا منها هي البداية الحقيقية لقارئٍ آخر.

إن المبادرة التي أطرحها لا تدعو إلى التفريط بالمكتبة الخاصة، وإنما إلى تحويلها من ملكيةٍ ساكنة إلى معرفةٍ متحركة، ولعلها تستحق أن تُناقش.

وإذا تبنّت هذه المبادرة «هيئة المكتبات» و وضعت لها برنامجاً تنفيذياً ، أو تبنّته الجمعيات الأدبية الحديثة (الأندية سابقًا)، والجمعيات الثقافية، أو الجامعات، تحت شعارٍ سنوي مثل: "أهدِ كتابًا... وازرع قارئًا" أو "دع مكتبتك تمتد إلى الآخرين"، فإنها قد تُسهم في إثراء المكتبات العامة، والمراكز الثقافية، وتوسيع دائرة المعرفة، وإحياء ثقافة تداول الكتاب، بدلًا من بقاء الكتب والمجلدات أسيرة الرفوف، وليمةً للغبار.!.

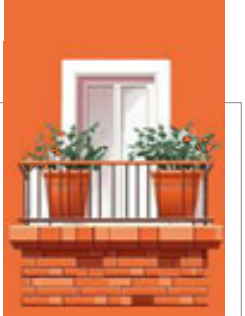

نقاشات

الصفحة التي تتسع لأكثر من متكلم..

المذكرات المسرحية الأدبية.

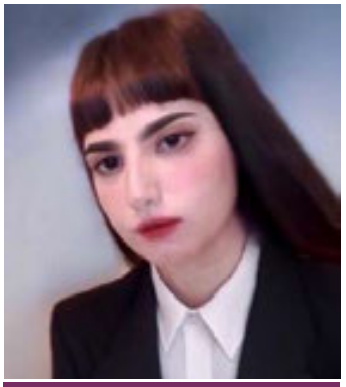

مريم المساوي*

الكتابة عن الذات بشكل خاص فعل مربك من الناحية المنطقية، فالشخص الذي يكتب هو نفسه الشخص الذي عاش الحدث وهو نفسه الشخص الذي يحكم عليه بعد عدة سنوات، فهو يعيش ثلاثة أدوار مختلفة تنطق بصوت واحد تخفي التوتر بينها خلف سلاسة السرد وواقع الحدث والشعور الذي يحيط به، فحين يروي كاتب مذكراته بصيغة (شعرتُ) أو (أدركتُ لاحقاً) فهو يمزج بين الذات التي عاشت والذات التي تحكم ومن ثم يقدم للقارئ محصلة لرحلة بعيدة عن الأعين وهذا المزج مريح للقارئ لأنه يمنحه رفقة شعورية داخلية، لكنه يخفي أيضاً كل التردد والتناقض والصمت الذي رافق اللحظة الأصلية قبل أن يُعاد صياغتها بحكمة اللاحق

المذكرات المسرحية الأدبية تنشأ من رفض هذا المزج، لأنه حين يكتب صاحب هذه المذكرات حواراً كاملاً بدل جملة سردية ملخصة فهو يعيد إلى كل صوت في حياته استقلاله الخاص، مثلاً شخص يتكلم بجملته هو وشخص آخر يرد بجملته المختلفة دون تعليق يشرح دافع أحدهما أو يحكم على موقف الآخر، فالقارئ هنا يقف أمام اللحظة نفسها كما وقعت بترددداتها وتناقضاتها ويستنتج الجوهر بنفسه من إيقاع الكلام قبل تفسير الراوي له.

ظهرت المذكرات المسرحية بشكلها الحديث في أواخر القرن التاسع عشر مع صعود شخصية عامة تحمل سحراً وجودياً، عندما نشرت سارة برنار عام 1887 كتابها (حياتي المزدوجة) كانت أول من جعل من المذكرات نصاً أدبياً يتجاوز السرد الزمني إلى استكشاف طبيعة الهوية المسرحية، فكانت برنار تكتب عن جسد يتقاسمه آخرون وعن صوت يتحرر من أسراره وكأنه وجود يتجزأ بين الذات الحقيقية والذات الممسرحة ويحمل نصها ذلك الاكتشاف المبكر أن الإنسان يعيش حياة ثانية تشارك الأولى في حقيقتها، وكتابة هذه الحياة تقترب من الكتابة عن الموت والولادة معاً فجعل هذا الرفض للمزج يحمل موقفاً فلسفياً من طبيعة الذاكرة نفسها لا يقل عمقاً عن الموقف الأدبي، لأن الذاكرة للحدث حين تُستدعى تعيد خلق الماضي من موقع الحاضر بمعرفة لاحقة لم تكن متاحة وقت وقوع الحدث، فيخفي السرد التقليدي هذا ويقدم نفسه كناقل للماضي بينما ما تكشفه المذكرات المسرحية عبر شكلها الأساسي هو أن كل حوار مكتوب بجمل منسقة عن محادثة جرت قبل الفعل، فلا تحتفظ ذاكرة أي إنسان بحوار كامل كلمة كلمة بالطبع وهذا الاعتراف الضمني بالتأليف يمنح النص نوعاً مختلفاً من الصدق تجاه طريقة عمل الذاكرة نفسها.

تاريخ المذكرات المسرحية بدأ بطريقة أكثر فلسفة للوجود الخطابي بين الخلق والخالق، كان القديس أوغسطينوس عندما كتب الاعترافات (Confessions) بصيغة مخاطبة مباشرة كانت تختفي المسافة الزمنية بين وقوع الخطيئة وكتابة الاعتراف بها ويبقى القارئ داخل لحظة التوسل فيبدو فعل الشيء نفسه بصورة أكثر تجريداً حين بنى على حوار بينه وبين الشخصية فلسفة السؤال والجواب بلا راو ثالث يمزج صوتهما في تفسير واحد .

انتهجت ذلك أيضاً المدرسة الروسية إذ حولت المذكرات المسرحية إلى منشور فكري عميق، قسطنطين ستانيسلافسكي نشر عام 1924 (حياتي في الفن) فكان الكتاب لحظة فارقة، ستانيسلافسكي كتب شهادة على ولادة فن التمثيل الحديث للراوي يتداخل في نصه السرد الشخصي مع التأمل النظري فيروي رحلة تقليدية تصعد الى البحث عن الأصالة الداخلية، وأكمل بعده ميخائيل تشيخوف هذا المسار بكتابه (طريق الممثل) حيث يسجل لحظات اكتشافه لعلاقة الجسد بالخيال ويشكل النصان معاً الأساس الفكري للمذكرات المسرحية كأدب يتجه نحو فلسفة فنية سردية .

الأدب العربي يحمل نصوصاً تنتمي إلى هذا النوع بخصوصية ثقافية، توفيق الحكيم قدم سجن العمر سجل فيه رحلته الفكرية المسرحية. كان يكتب عن لحظات الاكتشاف عن علاقته بالتراث وعن صراعه مع الجمهور والنقاد فبدت مذكراته كوثيقة ثقافية تكشف عن تحولات المجتمع العربي في القرن العشرين، وهو يقترب من هذا المنطق في بعض كتاباته الفكرية التي أنشأها على حوار بين أصوات داخلية متعددة فكل صوت يحمل حجته الخاصة يقرر وحده مضمون كل شيء وهذا الاقتراب هو استجابة لمعضلة الكتابة عن الذات نفسها، معضلة أن كل صوت واحد يحكي عن نفسه ويمارس نوعاً من الرقابة الداخلية على الأصوات الأخرى

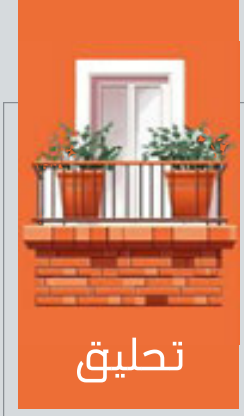

تحليق

الرحلة إلى مكة.

فوزية الشنبري

التي شاركته حياته وكان الحل المسرحي لهذه المعضلة بتوزيعه الكلام على أسماء متعددة في بداية كل سطر فيفكك هذه الرقابة من عملها و يصبح الصوت مستقلاً يقف على قدم المساواة نفسه مع صوت آخرفي مساحة الصفحة.

رافقه يوسف وهبي في طريقة المذكرات المسرحية، حيث ترك مذكرات تسجل ولادة المسرح المصري الحديث، فكان يكتب وهبي كشاهد على عصر ما بعد نهاية آخر مشهد من المسرحية وبعد إغلاق الستار فيسجل لقاءاته بالفنانين ويصف تلك اللحظات التي تحول فيها المسرح من ترف أوروبي إلى فن مصري أصيل يحمل نصه في طياته تاريخاً اجتماعياً كاملاً قبل المشهد وبعده وهي التي شكلت كتابة سيرة ما بعد إسدال الستار بطريقة اليوميات خلف الكواليس.

ما يميز هذه النصوص هو ذلك الازدواج الذي يحكمها الكاتب، فيكتب كإنسان عاش تجربة ويعي أن هذه التجربة تتجاوزه وهذه الذات في هذه المذكرات ذات متعددة، فيمنح التعدد النص غنى يفوق أشكال السرد الأخرى لأن الزمن يتسم بالمرونة، فالحاضر يتوقف حين تبدأ الذاكرة بالسرد ويبقى حاضراً في النبرة والاختيار اللغوي فنرى نبرة الصوت في النص واختيار الكلمة وطول الجملة كلها تكشف عن موقع الكاتب من ماضيه و يظهر الزمن هنا أبعد ما يكون خطاً مستقيماً داخل فضاء متشابك تتداخل فيه الأحداث.

الفضاء المسرحي يكتسب في هذه المذكرات أبعاد رمزية جمالية للتجربة الإنسانية الممسرحة للكواليس النفسية والخشبة التي تقع عليها الأحداث، الصالة تبدو ممتلئة بأعين تستشف تجربة مماثلة بشرية والستارة كلها تتحول إلى معالم وجودية مشتركة تمثل الانتظار بين التحول والظهور والكشف واللقاء والحكم، عندها الكاتب يتحرك بين هذه الفضاءات وينقل القارئ إلى عوالم تحمل في طياتها رمزيات عميقة عن ظهور النور والظل في تجربته الذاتية.

المذكرات المسرحية تظل شاهدة على لحظات نادرة لأن كل نص يمثل تجربة فريدة تنفرد بها ذات الكاتب، وتعمل الكتابة في الوقت ذاته بتسجيل تاريخ إنساني، تاريخ علاقة الإنسان بنفسه وتاريخ تلك اللحظات التي يتجاوز فيها الإنسان حدود ذاته وهكذا تظل المذكرات المسرحية حية تتجدد مع كل قارئ يدخل إلى عوالمها فيجد نفسه في الظل ويواكب تجربه تسقط نفسها عليه فتعطي جزء من المشاركة ومن ثم السلام والتسامح الإنساني تجاه التجربه نفسها.

* كاتبة ومترجمة. الرياض

وأنت تسمع ساردا مفوها وبليغا ينساب صوته الهادر بين أرجاء حوائط مزينة بكسوة الكعبة وآيات كريمة، تشعر معها وكأنك محمول على جناح حمامة مكية، تطوف بك بين «أبي قبيس» و«حراء» دون أن تُفسد صلاة أهل السرو ولا جموعهم المنقادة للدخول بسلام إلى المسجد الحرام، ودون أن تصطدم بقباب زمزم وأم سلمة، ما بين رحلة الأنبياء وإيلاف قريش وأفئدة تهوي استجابة لنداء إبراهيم عليه السلام.

مسير ليلة تجلت فيها الأنفاس وسكنت المسامع وراحت كل نفس تحلق حائمة على قداسة المكان وقدسية الحوار وعظمة الانتماء.

عائدة إلى رعشة الطفولة البدائية وبهجة أعيادهم وأسواقهم وطقوس استقبال رؤية هلالي رجب ورمضان حيث تتلألأ السروج وتضرب الطبول وتزين الهوادج بالحرير مزدحمين محرمين ملبين في مشهد عظيم من أعاجب ما كتب عن مكة ممن رأوها رأي العين وعاشوا بين أزقتها وخالطوا عربها وعجمها بأسلوب دفّاق بديع من صُنع الرحالة الذين استقبلوا المتعة منذ بدايتها، والسارد الذي احتضن هذه الحكايات من مشرقها إلى مغربها بوحي اللغة ودلالة الشعر وبتحريض على التوحد في أعماق الرحلة المكية ودلالاتها ودوافعها والنشأة الأصلية لهذا النوع من الأدب الطروب.

كانت ليلة من الصعب الخروج منها دون أن نلتفت وبقوة إلى هذا النوع من الأدب الرفيع ودون أن نردد « تمنيت أن لا ينتهي هذا الوقت». الوقت الذي نجم في سمائه السارد الفصيح» فوزي المطرفي»، أم الوقت الذي انقضت فيه هذه الأيام المكية العتيقة وأصبحت من الماضي الذي صنع مكة بجلالة قدرها ؟.

وفي عصر» قوقل إيرث « الذي يريك الصورة جافة بلا نكهة، تأتي كتب الرحالة كنصيب الإنسان من النعيم الذي ينقل إليه رائحة الأشياء وفلسفتها ورفاهية عيشها كما أشار المؤرخ المغربي والكاتب عبدالهادي التازي: «أن كل الكتب على اختلاف فنونها تقتصر على أن تجعل منا قرّاء لما يحرره أولئك الكتاب، دون أن نعرف شيئًا عن مشاعرهم. أما كتب الرحالة فأنت ترافقه وتقارن بينك وبينه، وبين زمانك وزمانه. أي أن لغة الرحالة وسحرها إذا ارتفع يمكن لها أن تأخذك معها لتعيش ذات الشعور الذي عاشه المرتحل».

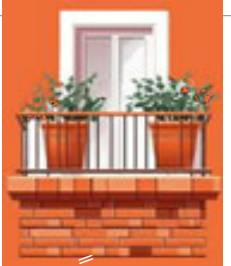

قلباً لقلب

عمرو العامري ..

لم يفقد بوصلته.. لم يكسر قلمه.

محمد أحمد عسيري

@mohammedasiri10

الحياة بارعة في إخفاء عثراتها الأولى.

تريك الإنسان واقفا في آخر الطريق، ولكنها لا تخبرك أين تعثر أول مرة. نشاهد ابتسامته، وبدهاء هي تخفي الليالي الحالكة في عينيه. تأسرك روحه الشاسعة، ولكن الحياة في كل مرة تراوغنا حتى لا نشعر بذلك الكسر القديم الذي علمه كيف يتسع للآخرين.

لهذا تبدو سيرة بعض البشر غير واضحة.. كل ما فيها يوحي بأنهم عبروا الحياة بخفة، بينما الحقيقة أنهم كانوا يحملون أثقالهم في صمت، حتى أتقنوا إخفاءها، ولم يعد أحد ينتبه إليها.

أما الروائيون، فلهم طريقة أخرى في النجاة.. لا يروون جراحهم كما حدثت، إنما يعيدون خلقها.

يبدلون أسماء أصحابها، ويمنحونها وجوها جديدة، وبيوتا أخرى، وطرقا لم يسلكوها، ثم يتركونها تمضي بين الناس على هيئة حكاية.

وأحد من يصنع هذا التآخي الآسر بحرفية عالية هو الروائي "عمرو العامري". فهو أكثر من مشى ببطء فوق الأشواك في هذه الدرب بين الحياة والكتابة، أكثر من داس شظايا الأمس برؤوسها السوداء الحادة.

بقراءته لا تشعر أنك تدخل عالما متخيلا أو مصنوعا.. لأنه مع كل حكاية أنت تدخل طواعية حياة طويلة أعادت ترتيب نفسها بلغته المتفردة، وعليك أن تقرر طريقة الخروج.

حياة من كلمات خرجت من قرية جنوبية صغيرة، وعبرت البحر، وأقامت في مدن كثيرة، لكنها ظلت، في مكان عميق منها، تمضي في الاتجاه نفسه باحثة عن البيت الأول.

"عمرو العامري" السارد الكبير والذي ولد ذات يوم أقرب للموت منه للحياة في "القاسمية" ومن ثم انتقل إلى "القمري" الجنوبية جدا. والقرى لا تشبه المدن في صناعة أبنائها.. المدن تعلم الإنسان كيف يتجاوز ماضيه، أما القرى فتعلمه كيف يحتفظ به.

هناك، حيث يعرف الناس بعضهم من نظرة واحدة، وتتبادل البيوت أخبارها كما تتبادل النوافذ الضوء.. تشكلت ذاكرته وملامحه، لا كمرحلة من العمر، وإنما لكونها الإرث الذي بقي مدفونا والنداء البعيد الذي يوقظه كلما أغوته الغربة.

أراه واقفا مرتديا "شماغه" بعفوية.. يطل من شرفته على أزهاره الصباحية والطيور العابرة التي تتوقف لبعض الوقت وكأنها تلقي عليه تحية الأفق والزرقة.

لم تكن "القمري" وأثر الجنوبي في تكوينه إلا الطريقة التي صار يرى بها الأشياء.

ولهذا لا تفاجئك عودتها المتكررة في كتاباته، حتى عندما لا يذكرها إلا رمزا فإنها تحضر على هيئة مطر ونشيد راع عند الغروب وشقوق خشنة في الطين.

ثم جاءت الحياة، وانتزعت منه أول يقين.

رحلت الأم.

وليس في حياة صبي خسارة تشبه خسارة الأم. فهي لا تترك غيابا فحسب، وإنما تترك فراغا يعيد ترتيب العالم كله. يصبح البيت أقل دفئا، والليل أطول، ويكبر الصبي وهو يحاول أن يفهم كيف تستطيع الحياة أن تستمر بعدما اختفى أكثر وجوهها طمأنينة؟ ثمة فقد لا يشفى منه الإنسان، ولكنه بمرارة يتعلم كيف يتعايش معه.

وأجزم أن ذلك الفقد ظل يسير مع "عمرو العامري"، ليس كجرح مفتوح، وإنما كذاكرة مزدحمة بالحزن والحنين لوجه أمه وشجرة النيم التي كانت تحكي لها كل شيء.

لا تبدو الأم في أعماله شخصية عابرة، ولا يبدو البيت مجرد مكان. كلاهما يحمل معنى يتجاوز ربما ما نقرأه ونفهمه، فشخصيات العامري لا تبحث عن نهايات كلاسيكية بقدر ما تبحث عن العودة في كل مرة.

ربما بعد هذا الفقد لم يحتمل قلبه، واتسع الأفق..

جاء دور البحر رفيقا، كان اختيارا

أقرب لقدر وجد فيه الملجأ والابتعاد لعله ينسى أو يُنسى.

سنوات طويلة قضاها فوق ظهر السفن، يعبر الموانئ، ويغادرها، ويعود إليها. غير أن البحر، على سعته، لم ينجح في أن ينتزع منه ابن القرية. ظل الجنوب يسافر معه، كما تسافر رائحة الأرض في ثياب من رحلوا عنها.

كان يعرف أن البحر لا يمنح وطنا، إنه فقط مجرد فرصة أطول للتأمل.

وهناك، حيث لا شيء سوى الماء والسماء، تعلم الإصغاء إلى الصمت ومحاورته، واكتشف أن أكثر الرحلات مشقة ليست التي تقطعها السفن، وإنما ذلك الشعور الذي لا يفارق صاحبه، ليظل يذكره بما كانه يوما، وما أصبح عليه الآن.

لا يبدو البحر في تركيبته مجرد مهنة، ولا مجرد محطة عابرة.. إنه مرآة كلما نظر إليها، رأى الطفل القادم من "القمري" يقف في الطرف الآخر من الماء، يلوح له بصمت، ويذكره بأن الإنسان قد يبتعد عن أماكنه، ولكنه لا يبتعد أبدا عن بداياته.. وهو الذي يقول في مذكراته "هناك أمكنة نحملها معنا أينما ذهبنا".

فالذي يقضي أعوامه بين المرافئ، لا يتعلم أسماء المدن وحدها، بل تتكون لديه حكمة أن لكل مدينة مخاوفها، ولكل وجه حكاية لا يقولها، وأن الناس، مهما اختلفت لغاتهم وأوطانهم، يتشابهون في شيء واحد.. إنهم جميعا يفتشون عن مكان يشعرون فيه أنهم وصلوا.

لم يكن "عمرو العامري" يكتب الأمكنة كما يراها المسافر.. كان يكتبها كما يشعر بها،

المدن في أعماله لا تشاهد من شوارعها، ولكنها تعرف من قلوب الذين يعيشون فيها، من لقاءات الرفاق وذكريات الطرق. والبيت لا يقف عند جدرانه، وإنما يمتد إلى كل ما يمنح الإنسان شعورا بالأمان. حتى البحر نفسه لا يحضر بطلا في الحكاية، إنه الراوي الممتد على طول العمر ومساحة الأحزان والغربة.

في "بيت أمي" لا يعود البيت عنوانا لمكان، بل مرادفا لذاكرة لا تكف عن استدعاء أصحابها. وفي

الكاتب عمرو العامري

"تذاكر العودة" لا يسافر أبطاله إلى المدن، إنهم يتجاوزون ذلك الجزء الذي تركوه في سيرتهم الأولى. أما "جنوب جدة.. شرق الموسم" فهي ليست احتفاء بمدينة بقدر ما هي اعتراف جميل بأن بعض الأمكنة لا تستضيفنا، وإنما تتبنانا حتى نصبح جزءا من ذاكرتها.

ثم تتوالى الأعمال.. "جيرة الوحشة" و"مزاد على الذكرى" و"رغبات مؤجلة" و"طائر الليل" وكلها تبدو، على اختلاف موضوعاتها وكأنها تعود إلى السؤال نفسه: ماذا يبقى من الإنسان حين يخسر الأشياء التي ظن أنها ستبقى إلى الأبد؟

لذلك لا تبدو شخصياته معنية بالترف والضحك الزائد عن الحاجة.. إنها معنية بالبقاء والعودة من كوابيس الغياب. شخصيات تبحث فقط عن ظل ترتاح فيه من عناء كتب عليها.

حتى المرأة في رواياته، لا تدخل لتكتمل بها الحكاية، وإنما لتمنحها نبضها. ليست زينة للنص، ولا ظلا للرجل، وإنما كائن يحمل ذاكرته الخاصة، ويقاوم بطريقته الهادئة، ويحرس ما تبقى من دفء البيوت، كأنه ما زال يرى في كل امرأة شاركته توهج الحكاية شيئا من الأم الأولى التي غادرت مبكرا، ولم تغادر وحشة الليل ومخاوفه في قلب الصبي.

وحين نتناول رحلة العامري بالمجمل، من القمري إلى البحر، ومن البحر إلى جدة، ومن جدة إلى الرواية، تكتشف أن الرجل لم يكن يعبر محطات متفرقة، ولكنه دون قصد كان يلملم شتاته بأشكال مختلفة. القرية منحته الجذور.. والبحر منحه الأفق.. وجدة منحته رحابة الإنسان.. أما الرواية فمنحته الحياة التي استطاع بها أن يجمع كل ذلك في روح واحدة.

"عمرو العامري" الروائي والسارد البديع، والذي في اعتقادي أنه لم ينل بعد ما يليق بإبداعه السردي قراءة وحضورا. الربان الذي ظل وفيا للمكان والإنسان ولم يفقد بوصلته. والكاتب الذي لم تهزمه الأيام ولم يكسر قلمه. يكتب كما لو أنه يعرف أن الحزن لا يحتاج حتى يصل إلى استعراض نفسه، وأن الطيبة لا تحتاج إلى بطولة كي تكون عظيمة، وأن البسطاء وأبناء الطين يتركون أثرهم بهدوء يليق بأجسادهم النحيلة.

لذلك تمضي رواياته هادئة كالمطر، لكنها تترك في الداخل ما تتركه المواسم في جذوع الأشجار.

حين يطوي القارئ معه الصفحة الأخيرة، تكون الحبكة قد لفت حبالها حول معصمه، ويكون الإنسان الذي مر بين السطور خفيفا حاملا وردة في يد وآثار أشواكها عالقة في اليد الأخرى.

يوسف أبا

«إذما»..

من كنّا، ومن أصبحنا.

ماذا لو التقى بك ذلك الشخص الذي كنته يومًا؟ ماذا سيقول؟ هل سيفرح لأنه سيكبر ليصبح أنت؟ هل سيفتخر بما أنجزته؟ أم سيشعر بخيبة أمل؟ وهل سيفهم الأسباب التي جعلتك تنتهي إلى ما أنت عليه اليوم؟ تلك هي الأسئلة التي تدور في قلب فيلم إذما، إذ - ما، أو ماذا لو للمخرج محمد صادق.

يقدّم الفيلم تأملًا آسِرًا في الصراع بين براءة الشباب ومرارة النضج، من خلال شخصية عيسى الشواف أحمد داود، الذي يجد نفسه يخوض لعبة تركها له ذاته الأصغر سنًا حمزة دياب، على هيئة رحلة بحث تعتمد على مقاطع فيديو مسجلة مسبقًا، أشبه بمطاردة كنز عبر الزمن والذاكرة.

ترافقه في هذه الرحلة سيرا سلمى أبو ضيف، التي تتمتع بكيمياء استثنائية مع البطل، فيما لا تقل جاذبية نسختها الأصغر سنًا جيسيكا حسام الدين في مشاهد الاسترجاع. تمثل سيرا النقيض الكامل لعيسى؛ فبينما يغرق هو في الكآبة والانكسار، تحافظ هي على خفة روحها وتلقائيتها، وكأن الزمن لم ينجح في تغيير جوهرها. ومن خلال هذا الثبات، تصبح قوة مضادة للظلام الذي يبتلع عيسى شيئًا فشيئًا.

ولا يمكن فصل تشاؤم عيسى ونظرته القاتمة للحياة عن تجربة طلاقه التي جاءت بعد زواج مضطرب وعنيف عاطفيًا من زوجته السابقة أسماء بسنت شوقي. ومع أن الفيلم يوضح عبر الاسترجاعات أن أسماء كانت تعاني اضطرابات نفسية واضحة، فإن شخصيتها تبقى الحلقة الأضعف في العمل. فبالرغم من

تبرير سلوكها، تبدو هي وعلاقتها بعيسى أقل تطورًا وعمقًا مقارنة ببقية عناصر الفيلم.

أما تلك العناصر، فتشمل مونتاجًا أنيقًا وبسيطًا في آنٍ واحد؛ من اللقطات الجانبية المتقابلة إلى الانتقالات السلسة والقطع المباشر غير المتكلف. كما يوظف الفيلم الألوان بذكاء، إذ يغلف حياة عيسى الراشد بدرجات الأزرق الداكن والظلال الكئيبة التي تعكس حالته النفسية.

ومن الطبيعي أن يأتي الإخراج متقنًا في فيلم يتمحور حول صناعة الأفلام نفسها. فإلى جانب المونتاج، تترك الصورة السينمائية أثرًا بالغًا؛ من اللقطات القريبة التي تلتقط أدق الانفعالات على وجوه الممثلين، إلى المشاهد الواسعة التي تؤدي أحيانًا وظيفة تعريف المكان، وأحيانًا أخرى تبني شعورًا متصاعدًا بالقلق والترقب.

أما الأداء التمثيلي، فيكاد يكون رائعا بلا استثناء. فكل ممثل يندمج تمامًا في شخصيته؛ من البطل والبطلة إلى الوالدين المثقلين بالهموم والأحكام المسبقة، وصولًا إلى دائرة الأصدقاء الداعمين. الجميع ينجح في إقناع المشاهد بصدق وجوده داخل هذا العالم، وجذبه إليه بالكامل.

«إذما» فيلم يستحق المشاهدة لكل من يشعر بحنين، ولو عابر، إلى ماضيه وأيامه الأولى. لكنه لا يكتفي باستدعاء الذكريات؛ فجوهر رسالته أعمق من ذلك. إنه فيلم عن عدم الاستسلام للندم، وعن اختيار حياة يمكن للإنسان أن ينظر إليها بفخر بدل الحسرة. وتلك، بلا شك، رسالة تستحق الاحتفاء.

محمد التركي

أربعة نصوص جديدة.

-1 قيلولة أمي

أتأمل أمي نائمةً، وعلى خطوط جبينها يتشكل شبح حزنٍ قديم، أشرعُ في الدخول إلى حلمها.. أجدُ نفسي على أرصفة أحلامها طفلًا، تشرح لي تبخّر الماء بالحرارة، الكتاب بيد، وفي اليد الأخرى تحرك قِدر العشاء، وكأنها في قمرة قيادة العالم، أو في رحلة مكوكية لإنقاذ الكوكب مع كابتن «كيرك». لستُ وحدي الصغيرَ في هذا البيت، فهناك كتب أخرى، وإخوة مازالت أرقام دفاترهم لم تُضرب بعد، وأحرفهم الهجائية تتقافز على الأسطر. ترفع أمي حرارة نار الموقد، وتدفعني -على عجلٍ- إلى فهم الدرس وهضمه، تضيف إلى الماء في كتاب العلوم ملحًا من عشائنا، وتأخذ من الجغرافيا البهارات المناسبة لتعديل طعمَ البيض.. كل شيء يحدث بانتظام، وحين أخرج أكون قد فهمت القواعد جميعًا، وموقع أمي من الحياة.

-2 سفر في السفر..

الموتى في غرف الفنادق
مازالوا في نزهةٍ طويلة..
جداول سفرهم المجعدة في جيوبهم
وخرائط المدن التي يسكنونها
مفرودةٌ على الطاولة..
ولأنهم شُفوا تماما من الرغبة في الرحيل
كانوا يمدّدون بقاءهم
ويطلبون خروجًا متأخرا..
لم يعد يغريهم رمي القطع النقدية في النوافير
أو إغلاق أقفال الحبّ على الجسور
أو التصوير بجانب المعالم الباهتة..
أنشطتهم مقتصرة على تقبل الخسائر
والمزاح مع الندل الغاضبين
ورمي بقايا الخبز للحمام..

ينصتون بعمق للعازفين في زوايا الشوارع
ويودون لو استبدلوا أغنية بأخرى

وآلةً بثانية..
يقفون في الطوابير الطويلة
وينسحبون حين يكون دورهم..
يضحكون بشدة في عروض المهرجين الكسالى
ويبدلون أوراقهم النقدية
بعملات المونوبولي
ويمنحونها للفقراء دفعًا للضجر..

تعود طائراتهم بمقاعد فارغة
وبوحشة تتندى لها النوافذ..
لم يرد المضيفون أن يملؤوها بأحد
كأنهم شعروا أن عليهم احترام ذلك الفراغ
الذي شكله انسحابهم
من لعبة الذهاب والعودة..

3- عودة الفزاعة

حين يموت صاحب الحقل تستطيع الفزاعة أن تتفرغ لأعمالها الخاصّة، ترمم قدمها المتيبسة، تربط يدها بغيمة، لتعوّدها على الحركة، تهرول حول التبن، لتزيد من قدرة رئتيها على جمع الهواء، ونبضها على المحبة. تتعرف بعد فترة على قدرتها على التقرب من الحيوانات، فحاجباها المعقودان تفرقا، وصارت ابتسامتها واسعة، تمكنها من الجلوس بقرب الحمامة، ومنح العصافير شيئا من حبوب السنابل، تتفق مع الأيائل على موعد مناسب لدخول الحقل وابتلاع حبات البرتقال دون الحاجة لتقشيرها، وتدل الأغنام على مكان مناسب لاكتساب سمرة من الشمس، ولا تقف عند ذلك، بل تتقرب من فزاعة الجار، التي بفضل الرياح المخترقة لجسدها، تغني لها كل يوم.

4- قصائدي

لأن الشاعر رجل، فهو لا يشبه كتابة القصيدة بالولادة، هو الذي يشعر بالغثيان ويريد أن يتقيأ العالم صباحًا، الذي يُثقله الأمل ويخرجه من الزحام إلى ذاته، يتأمل مرآة مقلوبة، ويحاول أن يرى صورته على تجمعات المطر في الشارع. يترقب لفترة طويلة ما ستؤول إليه الكلمات التي تسقط من أفواه الأطفال، ونداءات الباعة الغريبة وتوصيفاتهم لبضاعتهم في سوق السمك. يتلصص على مكب النفايات بحثًا عن مجاز قابل لإعادة التدوير، يلمّعه ويدربه على المشي من جديد. وبعد حمله لكل شيء، يأخذه المخاض إلى رحلةٍ في ذاته ليرى كل شيء، وربما يولد هو من جديد.

صالح الديواني

نشيدُ القُبَّراتْ.

هدأ الحب إذن فيكِ يقيناً..!
وتناسيتِ أناشيد صبانا.
يا لظى حلو التشاقي كان حينا
كجنون الطفل فينا
كلما هز أمانيه تنادى
لحريق المدن السهرى تباريح سواقٍ،
وهزيع مترف الشقوة
عاصٍ يعترينا.
***
قدري كنتِ
وكان الحلمُ فيكْ ...
كعصافير قُرانا..!
أمنتها الأرض أسرار الليالي..
ونضت عنها المبيت..؟
ومضت في العمر وعداً
مثل أن يغشاك درب لا يبيت
***
قدري أنتِ وظلمي
وأسارير جوى يكسر لحني
وحنانا فوضوي الذكريات
قاسَمَتْهُ اللغة العجلى تراجيع الطريق
فانتهى سوطا أقاسيه
وداناً غارقاً في الهم يشتاق بريق.
***
في فيافي الروح ثاوٍ
لمتى اللحظة تأتي
علني أنفر باللحظة مني
حين أصغي لنشيد القبرات
وأبيح الناي وحياً في الجهات.
للغمام السمر في قلب فتاة...
لهوى اللحن الذي يأبى الممات
لصمود العمر، للشطآن، للنورس ، للبحّار،
للرمل الذي يعلق في رجل صغير..
خط فوق الرمل شيئاً من تفاصيل اللغات
***
يا لهذا الجسد الطافح بالظنِ لِغدْ..
أولا فاءت مزاميرك عني؟
قبرات الولد النافر شاخت
وأنا أحسبُ في الرعشةِ فنُ.!
يا لي راع مستبد ..!
يحسن الصمت ويشكوه اليه.
***
وطني كنتِ، وفيكِ العمرُ كان.
فإذا أنتِ ..
ويا اللّه ... وهمٌ
لم أزل أقرأ في الفجر
أناشيدي عليه.

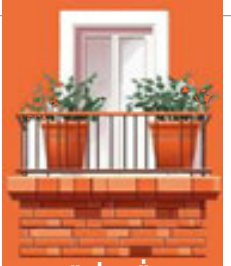

شرفة الابداع

قصة قصيرة

لقطات قبل الوصول.

أحمد إبراهيم يوسف

اللقطة الأولى

غداً أول يوم من العام الدراسي الجديد
بدأت رحلة المعاناة أولى خطواتها
اثنان من المدرسين على أحد الشواطئ
أغراضهما استلقت على الرمل الأصفر
بينما صاحب المركب يخوض البحر ساحباً
مركبه إلى البرتشرد نظراتهما إلى البعيد،
سحب داكنة تزحف في الشمال.
قال لصاحبه: ـ يبدو أنها ستمطر
ردّ صاحبه بهدوء: ـ لا تستبق الأحداث

اللقطة الثانية

صوت محرّك القارب يخلخل الكلمات
المركب يشقّ الموجة إلى نصفين تاركاً وراءه سحابة
بيضاء من الزّبد.
الشمس تمازح الوجوه، تظهر تارة فتسلّط حرارتها
سوطاً ملتهباً على مساحات الجلد المكشوفة من أجسادهم
وتارة تتحجب بسحابة. والنسمة
البحرية تلمس وجوههم برفق
فتنتعش النفوس ساعة ونصف
مرّت عليهم من عمر الزمن
ومركبهم يشقّ المسطح
المائي بثقة

اللقطة الثالثة

ازدادت كثافة السّحب الداكنة
وهبت نسمات باردة على الوجوه
بينما اختفت الشمس تماماً
وانهمر المطر بغزارة، ابتلت
الملابس في لحظات وصفحة اليمّ
أصبحت كالوجه المجدور.
صوت المحرك يتقطع والبر غير
بعيد.
صاح أحد الثلاثة متسائلاً: ـ
ما الذي جرى؟
رد قائد المركب: -أظنّه (البوجي)
ـ وهل تظنّه يكمل بنا بقية
المسافة؟

ـ لا بد من تغييره
ـ إذن لنتوقف ونغيره

اللقطة الرابعة

لامس جسد المركب تربة الساحل برفق. انزلا
أغراضهما ودراجتهما النارية. أدار صاحبها محركها
أردف زميله ثم انطلقا متجهين نحو القرية.

اللقطة الخامسة

جسد الأرض مبتلّ، التربة الطينية رخوة
والدراجة النارية التي جلباها معهما بدأت تمارس
(غلاستها) تسير بهما أمتاراً
معدودة ثم تتركهما
ضعف المسافة التي قطعاها
راكبين ضريبة ركوبهما

اللقطة السادسة

على مشارف القرية انتصبت أشجار
النخيل سامقة
تحتضن بيوتها بمودة. وكانت
السّماء مازالت ترسل
هدايا اللّه من مطر الرحمة خفيفاً
على رؤوس أهالي القرية
الذين خرجوا رجالاً ونساء
يروحون على أنفسهم أو على
الآبار يستقون أما الأطفال فكانوا
يركضون هنا وهناك وتتعالى
صيحاتهم المستبشرة بنعمة اللّه.
قال أحد المدرسين القادمين من
مدخل القرية لصاحبه الذي كان
يقود الدراجة النارية: -الحمد للّه
لقد وصلنا.

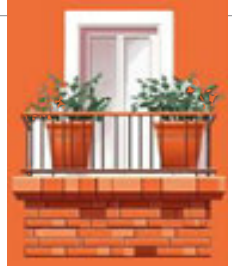

نص

صافرة بداية حرب الأربعين يوما.

عمر بوقاسم

أمسك بكوب القهوة بالسبابة والإبهام بنفس طريقة مسك الفنان التشكيلي المحترف لريشة الرسم وهو أمام لوحة فارغة استعدادا لرسم الخطوط العريضة لفكرة تفرد جناحيها أمامه بتمرد وعلو كعب..!، أحرك كوب القهوة على الطاولة بشكل دائري مرة، ومرة بشكل مثلث، ومرة بشكل مربع، ومرة بشكل خماسي، ومرات أحركه كممحاة أمحو به كل هذه الأشكال الهندسية المغلقة،

شيء ما في ذهني ربما ليس له وجود في هذا العالم،

ليس بشرا،

ليس حلما،

ليس نباتا،

ليس هواء،

ليس طيرا..!،

كوب القهوة هو كوب قهوة، وقد يكون درب يوصلني لذكريات ولأحداث، أو قصة أسردها لقتل الوقت، أظن جميعنا يرتكب جريمة قتل الوقت وبطرق مختلفة..!، أمريكا تحشد قواتها البحرية والجوية لحصار الحصار الإيراني لمضيق هرمز لمنع سفن النفط من الدخول والخروج منه، بعد حرب الأربعين يوم... هذا ما حدث، صافرة بداية حرب الأربعين يوم لم تكن بداية تقليدية، في دقائقها الأولى، 30 قنبلة خارقة للتحصينات سقطت على رأس المرشد الإيراني الأعلى علي خامنئي وهو على رأس عمله صباح السبت 28 فبراير، ولم يتم التأكد والإعلان على موته إلا في اليوم التالي، القنابل التي أسقطت كانت تزن 25 طن فقط..!، وهذا ما جعل الإيرانيين يتمسكون بالأمل في نجاته وسلامته يوما كاملا..!!، قبل أن يعلن التلفزيون الرسمي الإيراني مغادرة روح الخامنئي كوكب الأرض، حصار الحصار يشغل جميع القنوات والمنصات الإخبارية والترفيهية..!، أمسكت بكوب القهوة هذه المرة بقبضة يدي كاملة وحركته على الطاولة كسفينة متخفية تبحر بالقرب من مضيق هرمز، السفن الحربية الأمريكية تفرض الحصار على الموانئ والسفن والعمائم السوداء والزعفران النفطي والنمل الفارسي العشوائي وكل شيء ثابت ومتحرك إيراني، السفن البحرية الأمريكية تحظى بتأييد من البحر وحيتانه وأمواجه وطيوره، لن تستطيع إيران كسر الحصار... أرفع كوب القهوة من على الطاولة لأخذ رشفة أخرى وأعيده إلى الطاولة وأحركه كورقة دبلوماسية محايدة على طاولة المفاوضات برعاية إسلام أباد، الفريق الأمريكي والفريق الإيراني، كل فريق لديه شروط لإنهاء الحرب، من المنتصر ومن المهزوم..؟!، طبعا خارج حسابات الواقع، حسن النية ليس من ضمن شروط الفريقين، كل فريق يتحدث من تحت ضرسه، السعودية وبحياد حازم عادل تدعم الفريقين على تثبيت أوراق المفاوضات بأيديهم وقلوبهم وعقولهم على الطاولة، تناولت رشفة سريعة من القهوة توجهت إلى النافذة حاملا معي كوب القهوة، على الركن الأيمن العلوي للنافذة بيت عنكبوت يبدو عليه القِدم لم أنتبه لوجوده من قبل..!، وهل للعنكبوت الحق في بناء بيته السري على نافذتي..؟، أشعر بالخيبة، لن أستطيع الحصول على إجابة شافية وافية، متى بنى هذا العنكبوت ذو الأرجل الثمانية بيته السري في الركن الأيمن العلوي لنافذتي..؟!، متى..؟، راعي الغنم البدوي العراقي يكتشف القاعدة الإسرائيلية السرية بصحراء العراق...

كوب القهوة، أيضا له بطولاته التي لا تقل عن بطولات راعي الغنم العراقي، كوب القهوة هو من أكتشف بيت العنكبوت السري،

كوب القهوة مخلصا لي،

رافقني وأنا على الطاولة،

رافقني وأنا في البحر،

رافقني وأنا في البر،

رافقني في الصمت،

رافقني في الحفل،

رافقني أمام امرأة تناقض الأشكال الهندسية المغلقة،

كوب القهوة لم يخذلني يوما، إنني مدين له بأشياء لا تحصى..!

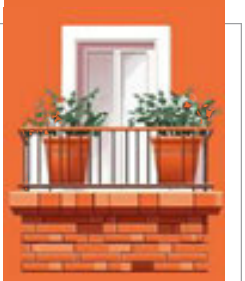

ما يشبه البيت

نجوى العتيبي

قصّةٌ ثانية للمثوى الأخير.

لا أعرف كم مرة قرأتُ فيها عبارة (المثوى الأخير)، ولا أوّل من تفوّهَ بها. هل كان يدرك أنَّ تحديد (مثوىً أخير) هو أمر عصيّ؟ وأننا نحدد شيئا لا نعرف وجهة صاحبه بعد؟ وأنَّ تحديد الأمكنة -لمثلهم- اختصاراتٌ تخصُّ عقلا آخر لم يغادر بعد، عقلا ينشد الاطمئنان بوضع نهايات يختم بها قصة ما؟

تلك الأجهزة التي مرّت بين أيادينا تباعا تدرك شيئا من ذلك مثلا، أو أنها تحاول مسايرتنا؛ فهي تلحُّ بالذكريات بين وقتٍ وثانٍ لنطمئنها على مآل تجربة أو شخص. تُذكّرنا بعض التطبيقات بهذا ولو نسينا، وكذلك ألبوم الصور الذي لا يكتفي بحبس الوجوه داخله، بل يريد قصةً دائما حولها... فلماذا تغيبُ تاركًا وراءك ألف سؤال يبحث عن نصيبه من الأجوبة؟ وكيف أنهيتَ القصة بمفردك؟

يذكّرني بعض الأشخاص بخصلة أحارُ في تسميتها، ولو كان الأمر طوع يدي لسمَّيتُها (اللاوفاء) طوعًا، فهُم في سنوات الدراسة أو العمل قد قرّروا نزعَ الوفاء أصلا من تجربتهم، ولا يكون الأمر بالضرورة خيانة، بل انعدام أيّ مشاعر مرتبطة بالعمل والدراسة مع ادّعاء لَحْظيٍّ لها. قد يحومون حول مسارح القرب؛ زيارات وعلاقات ومواقف ومشاريع ودٍّ كثيرة... لكنهم أول من يقول لك: «انتهينا» صراحةً بلا سبب؛ حين يتغيَّر مكان العمل، أو تنتهي فرصة الدراسة. والمشكلة ألا دليل يوحي بملامحهم أو سلوكهم، أظنُّ ألا دليل على ذلك سوى تلك الندبة التي تتحسَّسُها في النهاية وهي تضحك وتُعيِّرُك بالخديعة. أنتَ تشبههم بغيابك المفاجئ، بنيَّتِكَ المسبقة بألا تكون موجودا بشكل طبيعي، بأن تكون كالأشعة أو النور الذي يملأ المكان ثم تختفي متى شئتَ بلا سبب ودون طمأنة عقلٍ ما، لكنك لا تعودُ على سنَّن ذلك الشعاع، وللظلام بعدك قصصه المرعبة التي لم تواجهْ أشباحَها، ولم يفتك بك فقْدُ بعَد، وعجزتُ عن امتلاك لغة لأشرح بها المأزق الذي لا يُبقي لي سوى غضب عارم... حتى الأجهزة لم تكن مثلك لأنها تأبى إلا وأن تتذكر، بل وتلزمنا بشراء مساحات وهمية أو أجهزة أخرى لاستكمال القصص والتماهي بنهمها حولنا، فالعقل الذي أدمَنَ بشريًا واحدا

يمتلئ به إلى هذا الحدِّ، فلمَ لا تكون مثلنا قبيلةً من (القصص التي تتذكَّر)؟

في سِيَر آبائنا الأولين شيء من ذلك؛ حيث تأبى عقولهم أن يأوي المرء إلى مثواه الأخير هكذا فجأة. تنزع أنفسهم إلى الغائب في المنامات لإكمال القصة... ولا أعرف أيضا كم مرَّتْ عليَّ عبارة: «ما فعل ربك بكَ؟» أو «به وبهم...»، يستكمل الميت القصة في المنام ليرضي حيًا يتوق إلى (نهايةٍ أخرى) غير الموت المفاجئ. أو أنَّ القصة تشتهي الحضور حتى تجد نهايتها اللائقة! يُجفِّفُ الموتُ قصصَ الآخرين في حناجر الأحياء. ينقطعون فجأة فنختار بإرث الذكريات كيف نضع له النهاية المناسبة. تتوالى إجابات الموتى، ولو جمعتَها في مواضيع لما خرجت في أسسها عن أصابع يديك. يهتمون بذممهم، أو بأهاليهم، أو بنصائح تعاقبت في المنامات، أو يحاولون النجاة بعملٍ صالح! اسأل جدتك عن ذلك وسوف تجيبك بكلامٍ موتاها وما سمعته حولها من الأخبار. يا إلهي! تجيبُنا الأجهزةُ، والتطبيقات، والموتى، والجدَّات؛ وأنتَ لا تجيب عن غيابك وقصصك التي لا أعرف أين أذهبُ بها. حتى في مناماتي كنتَ تنطلقُ قبل أن تجيب، أو تنقطع إجابتك بصوت منبِّه جهازي الذي لا يعرف أنني مثله أنتظر نهاية القصة لكن في منامي هذه المرة. وكل غائب يمتلك طريقة تشبه تلك التي وُجد بها. ليست مصادفة! لأنَّ العقل يرفض أشلاء الحكايات والأخبار فينسج على منوالها نهايات ملائمة... وهو أفضل منك أيضا؛ إذ يرفض أن تتركَ قصتك بلا رأس أو يدين. تأخذه حميَّة أيام سابقة قضاها في ظلال صوتك، وفي أفياء مشاعر كثيرة سبغت ملامح حكاياتك بما لا تراه عينٌ أخرى كما يراها، لكنني لم أدرك أنَّ لي في المنام أيضا ذات المشكلة لأنه لم يكتمل، وهكذا أحكمتَ عليَّ الدائرة، وضاق الحبل بألف فكرة على الغارب...

كلما أرغمتُكَ على المجيء اختفيتَ بقصَّةٍ مقطوعة. وكلما جئتَ أزحتَ القصص الباهتة من طريقك. وحتى يكون ذلك عليَّ تهدئة الأجهزة أو إلغاء تذكيراتها حول ما أعيشه وحدي، لأنني وحدي حتى هذه اللحظة، ولا أحد يعرف قصة الآخر بحذافيرها حتى مثواه الأخير.

عندما تكون الأمنيات مصيدةً

حسن النعمي

تقول حكايةٌ شعبيةٌ إنَّه "كان هناك امرأةٌ أثقلتها حياة البيت وتربية الأطفال، حتَّى سُلب منها أبسط اللذات، صارت لا تجد لذةً في لقمةٍ، ولا راحةً في سكونٍ، ومع ذلك لم تشكُ لأحدٍ ولم تبُح بسرها، وفي ليلةٍ سمعها زوجها تحدث نفسها، تشكو وتتمنى، فانتظر إلى الغد وقال لها: "بلغني أنَّ في الجبل الفلاني جُحرًا يسمونه جُحر الأمنيات، من ألقى فيه أمنيةً استجيبت له في الحال".

فرحت المرأة، وأخذت معها أمَّ زوجها، وسارتا إلى الجبل، وكان الزوج قد سبقهما واختبأ داخل الكهف، وقفت المرأة على فم الجُحر وألقت أمنيتها بصوتٍ متهدجٍ، فجاءها الرد من الداخل: "امممممم"، ثم التفتت أمُّ الزوج وقالت: "وأنا أتمنى أن يوافق ابني على زواجي من راعي غنمنا"، فجاء الصوت نفسه: "امممممم"، ومرَّت الأيام، وإذا بالابن يحقق لهما أمنيتهما دون أن يسأل أو يستفسر، فتنفست الزَّوجة الصعداء، ووجدت أخيرًا بعض الراحة في بيتها، وأما الأم فقد عرض عليها ابنها رغبته في تزويجها من الرَّاعي، قائلًا إنه يحتاج لبقائه معهم، ثم استعدت الأم للزَّواج، وفي ليلةٍ باردةٍ وقفت تغتسل تحت الميزاب، وأنشدت وهي مبتهجةٌ:

"الليلة تحت الميزاب والصبح تحت غمرٍ ثلاب"

ولم يطل بها الأمر حتَّى وجدوها في الصَّباح وقد ماتت متجمدةً من البرد".

*****

تبدأ الحكاية بصورة امرأةٍ أثقلتها أعباء البيت وتربية الأطفال، وحرمتها المتعة والراحة، ومع ذلك اختارت الصَّمت، وهذا الصَّمت هو مفتاح النَّص كله، فهو يعكس حال كثيرٍ من النساء اللواتي يتحملن التَّعب اليومي دون أن يراه أحدٌ، ومن هذا الكبت تولَّدت الحاجة إلى المخرج، فجاءت حيلة الزَّوج باختراع "جُحر الأمنيات"، كأنه يقدم لها دواءً سحريًا بدل أن يواجه معها أصل المشكلة بالحوار والتفاهم.

تعمل الحكاية على مستويين: الأول نفسيٌّ والثاني اجتماعيٌّ، على المستوى النفسي تقدم لنا نموذجًا للمرأة الصَّامتة التي لا تشتكي، فيدفعها الإرهاق إلى التَّعلق بالخرافة كحلٍ وحيدٍ، وجُحر الأمنيات هنا ليس إلا رمزًا لكل الأوهام التي نلجأ إليها حين يغيب الإنصات، أما على المستوى الاجتماعي فالحكاية تكشف عن مجتمعٍ لا يرى تعب المرأة إلا حين يتحول إلى أمنيةٍ، ولا يقبل خروج المرأة الكبيرة عن المألوف ويعاقبها بالموت، موت الأم ليس موتًا طبيعيًا، بل هو عقابٌ سردي مبطنٌ لكل من كسر التابو وطالب بحقه في الفرح.

تكمن قيمة النَّص في رمزيته، فـ"جُحر الأمنيات" تجسيدٌ للخرافة التي نلوذ بها حين يغيب الحوار، و"الميزاب" علامةٌ على التطهر الذي انقلب موتًا، كما أن تكرار "امممممم" من داخل الجُحر يكشف عن سخريةٍ سوداء من المجتمع إزاء رغبات الفرد، وكأنه يسمع منه دون أن يتدخل، وتكمن قوة الحكاية في نهايتها الصَّادمة التي ترفض الخاتمة السعيدة المعتادة للحكايات الشعبية، فبدل أن تنتهي بـ "وعاشوا في سعادةٍ"، تنتهي بجسدٍ متجمدٍ وأغنيةٍ تتحول من أغنية فرحٍ إلى نعيٍ.

في النهاية يمكن قراءة هذه الحكاية كتحذيرٍ من كبت المشاعر واللجوء إلى الحلول الوهمية، وكمرآةٍ لمجتمعٍ يفضل الخداع على المواجهة، ويحتفي بصبر المرأة حتَّى يصل بها إلى حافة الانهيار، وهي بذلك لا تروي حدثًا غرائبيًا فقط، بل تروي واقعًا يتكرر بصورٍ مختلفةٍ، حيث تكون "الراحة" أمنيةً، ويكون ثمن الحرية أحيانًا هو البرد الذي يقتل، وبهذا تصبح الحكاية قراءةً نقديةً لمجتمعٍ يهمش صوت المرأة، ويستبدل الحوار بالحيلة، ويعاقب من تجرؤ على كسر المألوف، إنها ليست مجرد حكايةٍ شعبيةٍ، بل إشارةٌ إلى أن الأمنيات حين تُترك بلا إنصاتٍ تتحول من ملاذٍ إلى مصيدةٍ.

بوصلة

بدرية البشر..

«الرياض» في رواياتها بطلٌ لا يقل أهميّة عن الشخصيات.

علي مكي *
@ali_makki2

الرواية في جوهرها، ليست حكاية تُروى ثم تنتهي، وإنما هي حياة أخرى تُكتب كي لا يبتلعها النسيان. فهي الذاكرة التي تحفظ ما تعجز الوثائق عن الاحتفاظ به، والمرآة التي تعكس ملامح المجتمع وهو يتبدل من زمن إلى آخر، دون أن يفقد صوته أو روحه. ولهذا بقيت الروايات الكبرى أكثر قدرة على البقاء من كثير من كتب التاريخ، لأنها لا تكتفي بتسجيل الوقائع، بقدر ما تحفظ نبض البشر، وانفعالاتهم، ولهجاتهم، وأحلامهم، ومخاوفهم، وتلك التفاصيل الصغيرة التي تبدو عابرة، لكنها تصنع في النهاية هوية المجتمعات.

ومن بين الأسماء التي أدركت هذا المعنى العميق للرواية، تبرز بدرية البشر، كونها واحدة من أهم الأصوات السردية في المملكة العربية السعودية والخليج العربي. فهي لم تكتب المجتمع من خارجه، ولم تراقبه بعين الباحث البعيد، وإنما عاشت تفاصيله، وأنصتت لتحولاته، ثم أعادت تشكيلها داخل نصوص روائية تمتلك حرارة الحياة وصدق التجربة. ولذلك لا تبدو أعمالها مجرد روايات تتعاقب فيها الأحداث، هي وثائق إنسانية تحفظ مرحلة كاملة من التاريخ الاجتماعي للمملكة، وتقرأ الإنسان السعودي وهو يعبر من زمن إلى آخر، حاملاً أسئلته وآماله وتناقضاته.

ولدت بدرية البشر في مدينة الرياض عام 1965 - إنها أول مرة أرى تاريخ ميلاد امرأة وأعرف عمرها الحقيقي - المدينة التي ستصبح فيما بعد القلب النابض لمعظم أعمالها. لم تكن الرياض في رواياتها مجرد مكان تجري فيه الأحداث. كانت شخصية كاملة الحضور، تنمو وتتغير كما تتغير الشخصيات التي تسكنها. فالأحياء القديمة، والأسواق، والمجالس، والبيوت، والشوارع، وحتى اللهجة اليومية، تحولت في كتاباتها إلى عناصر روائية تصنع الحدث وتمنحه روحه الخاصة. ولهذا يشعر القارئ وهو يتنقل بين صفحات أعمالها بأنه لا يقرأ عن مدينة، إنما يعيش داخلها، ويشارك أهلها تفاصيل أيامهم وتحولات حياتهم.

تلقت تعليمها في جامعة الملك سعود، ثم واصلت مسيرتها العلمية حتى حصلت على درجة الدكتوراه في علم الاجتماع من الجامعة اللبنانية عام 2005. ولم يكن هذا التخصص محطة أكاديمية عابرة، لقد أصبح أحد المفاتيح الأساسية لفهم مشروعها الأدبي. فقد منحها علم الاجتماع قدرة على قراءة الإنسان ضمن سياقه الثقافي، وفهم العلاقات الاجتماعية بوصفها نتاجًا للتاريخ والقيم والتحولات، إلا أنها لم تسمح لهذا الوعي العلمي بأن يتحول إلى خطاب جاف، فقد صهرته داخل السرد، حتى بدا جزءاً من نسيج الرواية، لا عنصراً منفصلاً عنها.

بدأت رحلتها الأدبية بالقصة القصيرة، فأصدرت مجموعات مثل "نهاية اللعبة" و«مساء الأربعاء" و«حبة الهال"، وكانت تلك الأعمال المبكرة تكشف عن ميل واضح إلى التقاط التفاصيل اليومية التي يمر بها الناس دون أن يلتفتوا إليها. ففي عالم بدرية البشر لا توجد شخصيات خارقة، ولا أحداث استثنائية، وإنما أناس عاديون يعيشون أفراحهم الصغيرة، ويخفون انكساراتهم خلف إيقاع الحياة، وهو ما منح نصوصها صدقاً إنسانياً جعلها قريبة من القارئ أينما كان. وقد حظيت مجموعة «مساء الأربعاء» بترجمة إلى اللغة الفرنسية، في إشارة مبكرة إلى أن الأدب الصادق قادر على عبور الحدود الجغرافية واللغوية.

لكن التحول الأبرز في مسيرتها جاء مع رواية «هند والعسكر»، التي مثلت علامة فارقة في الرواية السعودية الحديثة. في هذا العمل اقتربت الكاتبة من أسئلة المرأة السعودية، لكنها لم تجعلها مجرد قضية اجتماعية، كأنما كانت إنساناً يبحث عن ذاته، ويحاول أن يفهم العالم من حوله وسط شبكة معقدة من التقاليد والتوقعات الاجتماعية. لم تلجأ إلى الخطابة أو المواجهة المباشرة، وإنما اعتمدت السرد الهادئ، والحوار الداخلي، والتأمل النفسي، فخرجت الرواية أكثر تأثيراً، وأشد قدرة على إثارة الأسئلة. ولهذا استقبلها النقاد بوصفها عملاً وطّد حضور الرواية السعودية في المشهد العربي، وأكد أن السرد المحلي قادر على ملامسة القضايا الإنسانية الكبرى.

وفي «الأرجوحة» اتجهت بدرية البشر إلى مساحة أكثر عمقاً وتأملاً، حيث أصبح الزمن أحد أبطال الرواية، وتحولت الذاكرة إلى قوة تصوغ الشخصيات وتعيد تشكيل العلاقات. لم تعد الأحداث هي العنصر الأكثر حضوراً، فقد أصبحت المشاعر، والأسئلة الوجودية، وتأثير العمر في الإنسان، هي المحرك الحقيقي للنص. كما كشفت هذه الرواية عن تطور لافت في أدواتها الفنية، وقدرتها على بناء عالم داخلي شديد الحساسية، يلامس القارئ بهدوء، ويترك قيمته بعيداً عن الإزعاج.

أما «غراميات شارع الأعشى» فهي العمل الذي أثبت اسم بدرية البشر عربياً، وأكد أن الرواية السعودية تمتلك القدرة على الوصول إلى قارئ مختلف الثقافة والخلفية. استعادت الكاتبة من خلالها مدينة الرياض في سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي، بكل ما كانت تحمله من ملامح اجتماعية وثقافية، فأعادت رسم البيوت القديمة، والأسواق، والأغنيات، واللهجات، والعلاقات الإنسانية، لتقدم لوحة نابضة بالحياة، لا يغلب عليها الحنين بقدر ما يغلب عليها الصدق.

تكمن قوة هذه الرواية في أنها جعلت المكان بطلاً روائياً لا يقل أهمية عن الشخصيات. فالشارع يحمل ذاكرة الناس، ويحتفظ بأصواتهم، ويشهد على تحولاتهم، بينما تتحرك الشخصيات بين الحب والعمل والتعليم والأسرة، في زمن كانت فيه المملكة تعيش تغيرات اجتماعية وثقافية عميقة. وقد وصلت الرواية إلى القائمة الطويلة للجائزة العالمية للرواية العربية عام 2014، وهو إنجاز عزّز مكانتها بين أبرز الروائيين العرب، قبل أن تتحول إلى مسلسل تلفزيوني ناجح أعاد تقديم عالمها الروائي إلى جمهور واسع، وراهن على أن النصوص الأصيلة قادرة على العيش في أكثر من وسيط إبداعي.

وفي رواية «زائرات الخميس» واصلت بدرية البشر انشغالها بالذاكرة، لكن من خلال الصداقة والزمن والفقد واستعادة الماضي. وفي هذا العمل تظهر خبرتها في بناء الشخصيات، وفي إدارة الحوار الداخلي، وفي استخدام لغة هادئة لا تعتمد على البلاغة المتكلفة، بل على صدق الإحساس. إنها تكتب كما لو أنها تهمس للقارئ، لكنها تترك في داخله لحناً شجياً له دوام الألق.

ولم تتوقف إسهاماتها عند حدود الرواية، فقد كان لها حضور لافت في الصحافة الثقافية والاجتماعية، حيث كتبت مقالات اتسمت بعمق الرؤية، واهتمامها بقضايا الثقافة والتعليم والأسرة والمرأة، وقدمت قراءة للمجتمع بعين المثقف المنحاز للوعي، لا للصراع. وقد تُوجت هذه الرحلة بحصولها عام 2012 على جائزة أفضل عمود صحفي ضمن جوائز الصحافة العربية، لتصبح أول سعودية تنال هذا التكريم، وهو إنجاز يعكس مكانتها في عالم الصحافة بقدر ما يعكس حضورها في عالم الرواية.

كما قدمت إسهاماً مهماً في الدراسات الاجتماعية من خلال كتاب «نجد قبل النفط»، الذي تناول الحكايات الشعبية بوصفها مفتاحاً لفهم المجتمع النجدي وتحولاته. وفي هذا العمل يتجلى إيمانها بأن التراث ليس ماضياً يُروى، بل ذاكرة حية تساعد على تفسير الحاضر، وأن الحكاية الشعبية تحمل من الدلالات ما يجعلها مصدراً مهماً لفهم الإنسان وثقافته.

وتتسم تجربة بدرية البشر بعدد من الخصائص التي منحتها مكانة متقدمة في الرواية السعودية المعاصرة. فهي تمتلك قدرة لافتة على بناء الشخصيات، واستحضار المكان بوصفه عنصراً فاعلاً في السرد، والاعتماد على لغة شفافة تجمع بين البساطة والعمق، إلى جانب اهتمامها بالتفاصيل اليومية التي تتحول في نصوصها إلى مفاتيح لفهم التحولات الاجتماعية. كما أنها تقدم المرأة بوصفها إنساناً كاملاً، يحمل نقاط القوة والضعف، ويعيش تناقضاته الطبيعية، بعيداً عن الصور النمطية أو الأحكام الجاهزة.

لقد استطاعت بدرية البشر أن تمنح الرواية السعودية مساحة جديدة من النضج، وأن تقدم صورة للمجتمع تنطلق من داخله، فتقرأ الواقع بعين المحب الذي لا يتخلى عن النقد، وبعين المثقف الذي يدرك أن التغيير يبدأ بالفهم قبل إصدار الأحكام. ولهذا جاءت أعمالها قريبة من نبض الحياة، بعيدة عن المبالغة، وقادرة على أن تجد مكانها في وجدان القارئ العربي.

وفي النهاية، تبدو تجربة بدرية البشر أكثر من مجرد مسيرة روائية ناجحة، لأنّها مشروع ثقافي متكامل جعل من الأدب سجلاً للذاكرة، ومن السرد وسيلة لفهم الإنسان، ومن المكان شاهداً على الزمن. ولذلك ستظل أعمالها حاضرة في المكتبة العربية، لا لأنها وثقت مرحلة من تاريخ المجتمع السعودي فحسب، بل لأنها نجحت في الإمساك بذلك الخيط الدقيق الذي يربط الإنسان بماضيه، ويمنحه القدرة على أن يرى نفسه في الحكاية، وكأنّ الرواية لم تكن يوماً سوى مرآة كُتبت بالكلمات طويلة البقاء.

أدام اللّه بقاء بدرية البشر مبدعة أنيقة.

(*) كاتب وصحافي سعودي

حديث الكتب

تعليقاً على مقال د. صالح الشحري ..

«رحلتي عبر السنين»..من سيرة ذاتية إلى مشروع ثقافي.

محمد توفيق بلو

معالي الدكتور ماجد القصبي يسلم محمد توفيق بلو جائزة الأميرة صيتة للتميز في العمل الاجتماعية ٢٠١٥

اطلعت باهتمام على ما نشرته مجلة اليمامة في عددها (2918)، الصادر يوم الخميس 9 صفر 1448هـ، الموافق 23 يوليو 2026م، في زاوية «حديث الكتب»، تحت عنوان: «رحلتي عبر السنين لمحمد توفيق بلو.. سيرة ذاتية ترصد تحولات المجتمع السعودي»، بقلم الأستاذ الدكتور صالح الشحري، متناولًا الجزء الثالث من سيرتي الأدبية «رحلتي عبر السنين – على عتبة الحلم».

حين يقرأ ناقد كتابك، فإنك تنتظر رأيه أكثر مما تنتظر مديحه؛ لأن القراءة النقدية الصادقة قد تكشف للمؤلف في عمله ما لم يكن يراه بوضوح، أو تعيد تقديمه إليه من زاوية لم تخطر له من قبل.

وقد أسعدني أن قراءة الدكتور صالح لم تكتفِ باستعراض أحداث الكتاب، بل تناولته بوصفه شهادة على مرحلة من التحولات الاجتماعية والثقافية التي عاشها المجتمع السعودي، والتقطت الفكرة التي سعيت إلى بنائها منذ بدأت كتابة هذه السلسلة وهي أن تكون السيرة نافذة يُرى من خلالها المجتمع، لا أن يكون المجتمع مجرد خلفية لأحداثها.

لم يتعامل الدكتور الشحري مع الكتاب بوصفه مجموعة من الذكريات الشخصية، بل قرأ في التعليم والنادي والسينما والفيديو والابتعاث واللغة الإنجليزية وبرايتون والخطوط السعودية شواهد على مجتمع كان يعبر من مرحلة إلى أخرى، وعلى جيل من الشباب السعودي وجد نفسه بين بيئة محلية تتغير وعالم واسع بدأت أبوابه تنفتح أمامه.

ومن العبارات التي استوقفتني في مقاله قوله: «فقدان البصر يتيح لصاحبه إضاءة خبايا الذاكرة».

أراها من أجمل العبارات التي كُتبت عن تجربتي؛ لأنها لم تجعل فقدان البصر مأساة، ولم تحوله إلى خطاب عاطفي، بل نظرت إليه بوصفه أداة تكشف ما تختزنه الذاكرة من صور وتفاصيل. ومع أن أحداث السلسلة لم تصل في جزئها الثالث بعد إلى مرحلة فقداني للبصر، فإن الدكتور صالح ربما استحضر ذلك من قراءته السابقة لكتابي «حصاد الظلام»، ومن نظرته إلى تجربتي الكتابية بوصفها مشروعًا أدبيًا واحدًا متصلًا.

كما أعجبني أنه لم يجاملني حين توقف عند تجربتي في برايتون، ورأى أن إثارتها وإعجابي بالحياة في بريطانيا قد استغرقاني عن التأمل النقدي فيها. والحقيقة أنني تعمدت أن أكتب تلك المرحلة كما عاشها شاب في التاسعة عشرة من عمره، لا كما يراها رجل تجاوز الستين بعد أن راكم التجربة والخبرة.

كنت أريد للسيرة أن تعمل مثل كاميرا تصور الزمن كما كان؛ فلا تضيف إليه حكمة لم

تكن قد وُلدت بعد، ولا تعيد ترتيب المشاعر بما يلائم نظرة الحاضر. وقد حاولت أن أكتب بتجرد، مستلهمًا ما فعله الأديب أحمد أمين في سيرته «حياتي»، حين نقل تجربته بما فيها من نجاح وإخفاق، وقوة وضعف، دون أن يعيد تجميل الماضي ليبدو أكثر اتساقًا مما كان عليه.

لذلك لم أكتب مذكراتي بلسان الواعظ، بل كتبت سيرتي بلسان الإنسان. ومن يقرأ بعض المواقف بعين الحاضر قد يراها بصورة مختلفة، أما من يضع نفسه في سياق عام 1979م، فسيدرك طبيعة المرحلة وما حملته من انبهار وتساؤلات وتحولات.

إن «رحلتي عبر السنين» ليست كتابًا واحدًا، وإنما مشروع ثقافي سعودي متعدد الأجزاء، يمتد من عام 1961م إلى الزمن الحاضر، ويتتبع رحلة إنسان تداخلت فيها التحولات الشخصية مع ما شهده المجتمع السعودي خلال أكثر من ستة عقود.

مزجت في هذا المشروع بين السيرة الذاتية وأدب الرحلات والتاريخ الاجتماعي وعالم الطيران وتجربة الإعاقة البصرية، مستندًا إلى أرشيف احتفظت به على مدى السنين من الصور والوثائق والمستندات الأصلية، حتى لا تظل الذاكرة وحدها المصدر الوحيد للرواية.

يتتبع المشروع البدايات الأولى في جدة، وتكوين الشخصية، والتعليم، والرياضة، وتجربتي مع نادي الاتحاد لاعبًا لكرة اليد، ثم الانتقال إلى عالم الطيران المدني، الذي أمضيت فيه أكثر من ثلاثة عشر عامًا بين الضيافة الجوية والطهي الجوي والتدريب. ومن خلال هذا العالم أروي جانبًا من تطور الخطوط السعودية، وظروف العمل على متن الرحلات الداخلية والدولية، وما شهدته من مواقف إنسانية وطبية وأمنية، وما أتاحه السفر إلى آسيا وأوروبا وأمريكا من احتكاك بثقافات ومجتمعات مختلفة.

وسيتوقف المشروع عند اختياري أول طاقمٍ جوي سعودي، وعند ارتباطي بالموسيقى وثقافة الشباب خلال ثمانينيات القرن العشرين، وتأسيسي مشروعًا تجاريًا في جدة إلى جانب عملي، ثم عند علاقتي بجدي الأديب طاهر عبد الرحمن زمخشري، ومتابعتي سنواته الأخيرة ومرضه وفوزه بجائزة الدولة التقديرية في الأدب حتى وفاته عام 1987م.

كما يتناول تكوين أسرة عابرة للثقافات بعد زواجي بأم سندس الأمريكية واعتناقها الإسلام، وما واجهناه من تحديات اجتماعية وإنسانية. ثم جاءت مرحلة اكتشاف إصابتي بالالتهاب الصباغي الوراثي، وما تبعها من فقدان تدريجي للبصر، وانتقال من العمل الجوي إلى العمل الأرضي، وصولًا إلى التقاعد المبكر عام 1992م، رغم ما حققته من نجاحات وجوائز مهنية في مجال الطيران والخدمة الجوية. وقبيل مغادرتي العمل، كانت فكرة «وجبة الراكب الكفيف» التي قدمتها قد أسهمت في فوز الخطوط السعودية بجوائز عالمية. وتزامن تقاعدي المبكر مع ولادة ابني الأول، ثم مواجهة الأسرة تحديات صحية معقدة نتيجة إصابته بمرض قلبي خطير، وما تركته تلك المرحلة من آثار عميقة على حياتنا.

ومن هناك بدأت مرحلة جديدة، قادتني

إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام 1996م للالتحاق ببرامج متخصصة في إعادة التأهيل، ثم العودة بفكرة إنشاء أول مشروع متخصص بالعناية بضعف البصر وإعادة التأهيل في المنطقة. وتبلورت تلك الرؤية في تأسيس جمعية إبصار عام 2003م، في نفس يوم وفاة شقيقتي الكبرى بعد معاناة طويلة مع المرض، ومن ثم إدارتي للجمعية لخمسة عشر عامًا، وما شهدته تلك المرحلة من نجاحات وتحديات وتحولات مؤسسية، تُوجت بنيلي جائزة الأميرة صيتة بنت عبد العزيز للعمل الاجتماعي عن فكرة «وجبة الراكب الكفيف». بالتزامن مع استقالتي من الجمعية لتطوي فصلًا مهمًا من حياتي، بعد ذلك بدأت مرحلة جديدة تمثلت في الانتقال إلى عالم الكتابة والتأليف والنشر، وتأسيس شركة سطور للنشر، متحفزًا بتكريمي من معالي وزير التجارة السابق د. توفيق الربيعة في فعاليات ملتقى رواد شباب الأعمال الثامن «أبريل 2016م» كأول معاق بصري يصدر سجل تجاري باستخدام «قارئ الشاشة»، ومواصلة مشروعي في التوثيق والكتابة بدءًا بإصدار أول مذكرات شخصية، وإطلاق مشروع إحياء إرث الأديب طاهر زمخشري، وسلسلة رحلتي عبر السنين التي صدر منها حتى الآن ثلاثة أجزاء. تناول الأول، الصادر عام 2017م، الفترة من 1961م إلى 1974م، من الميلاد والنشأة واكتشاف الجذور. وتناول الثاني، الصادر عام 2018م، السنوات من 1975م إلى 1978م، حيث بدأ الوعي الاجتماعي والثقافي والرياضي في التشكل. أما الجزء الثالث «على عتبة الحلم»، الصادر عام 2026م بعد توقف دام نحو سبع سنوات، فغطّى الفترة من 1977م إلى مايو 1980م، وانتهى عند بوابة الحلم وبداية العمل في الخطوط السعودية.

ولا تزال بقية الأجزاء قيد الإنجاز، آملًا أن تتهيأ مستقبلًا للترجمة والإنتاج الصوتي والتحويل إلى أعمال وثائقية أو مرئية، بما تحمله من مادة إنسانية وتاريخية تتجاوز حدود التجربة الفردية.

وما حفزني على مواصلة هذا المشروع ما لقيته أجزاؤه من اهتمام ثقافي وإعلامي داخل المملكة وخارجها، وما كتبه عنه عدد من الأدباء والنقاد، ومن بينهم الكاتب الراحل عبدالله عمر خياط، الذي قال عام 2017م: «رحلة محمد توفيق بلو ما زالت تبحر في البحر الأحمر الذي يعشقه، ولا بد أن يسطر المزيد من الصفحات المضيئة في مسيرة حياته المثمرة إن شاء الله».

أما الدافع الأكبر، فهو ما يشهده القطاع الثقافي في المملكة من حراك متنامٍ واهتمام بالمشروعات الأدبية والتوثيقية، وما يتيحه ذلك من فرصة لحفظ الذاكرة الوطنية وتقديمها للأجيال في صور جديدة.

وختامًا، لا يسعني إلا أن أشكر الدكتور صالح الشحري على قراءته النقدية الثرية، كما أشكر مجلة اليمامة على اهتمامها بتجربة «رحلتي عبر السنين» للمرة الثالثة؛ وهو اهتمام لا أراه احتفاءً بكتاب فحسب، بل إضاءة لطريق مشروع ما زال يمضي عبر السنين.

حديث الكتب

«حائل كنوز ورموز» لعلي العريفي ..

قراءة سريعة في عمق التاريخ.

د. ناصر بن عبدالله الخرعان

تشرفت باقتناء كتاب بعنوان حائل كنوز ورموز للمؤلف علي بن حمود العريفي ممهورا بإهداء بخط يد المؤلف وفقه الله. ويقع الكتاب في (363) صفحة من الحجم المتوسط، ويحمل بين دفتيه عبق حائل وأريجها المضمخ برائحة العمق المتجذر في التاريخ والتراث، والكرم والشجاعة والعطاء!! كيف لا ورائد الكرم ومحفده حاتم الطائي الذي أروى التاريخ بكرمه وطيب معدنه ومحبته للضيوف وهو يردد:

أضاحك ضيفي عند إنزال رحله
ويخصب عندي والمكان جديب
وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى
ولكنّما وجه الكريم خصيب

لدرجة أنه يعد غلامه إذا ما أتى بضيوف فإنه سيعتقه!! ليصبح مثلا يضرب به في الكرم وقِرى الضيوف، لتسير بذكره الركبان بين رائح وغادٍ ويشيع صيته بين القبائل العربية، بل والعالم أجمع!!

وكون الزميل والصديق علي العريفي إعلاميا وأديبا وشاعرا وفنانا تشكيليا، فقد كتبه بلغة إعلامية سهلة ممتنعة، بأفكار أدبية راقية ، ومقطوعات شعرية جميلة تأسر القارئ وتخرجه من الملل ، كما أنه جسد فنّه التشكيلي في إبراز مهارته في اللوحات وعمقها وإقناعها ، وتأثيرها على القارئ من خلال تصويره الشخصي أو رسمه الأصيل!!

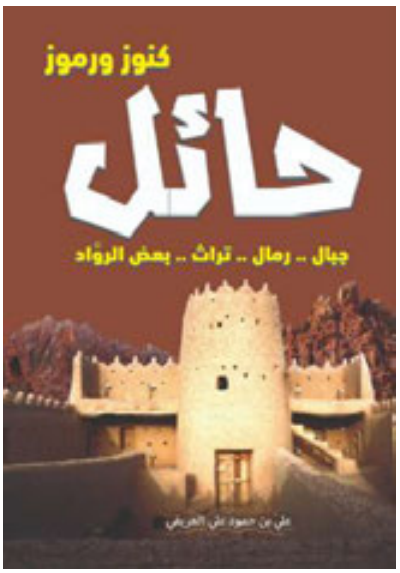

ولأن حائل كانت ملتقى الحضارات وبوابة نجد من جهة الشمال فقد احتضنت كنوزا تاريخية ومخزونا زاخرا لما تمتلكه من آثار متناثرة على سفوحها وجبالها وسهولها، ونقوش على جبالها الحمراء والسمراء أذهلت كل من يمر عليها على مر التاريخ!!

وإن ذكرت حائل ذكرت سلسلة جبال أجا وسلمى التي تحيط بهذه المنطقة الوادعة التي عكست روح وجمال أهلها وطيبتهم، فالكرم والطيب والنخوة والشجاعة لم تأتهم فجأة، بل كانت متأصلة فيهم وفي طباعهم التي لا تعرف التصنع.

ولو تحدثنا عن بعض معالم حائل فلن نوفيها حقها من خلال مقال!! ولكني سأتحدث عن بعض معالمها، وليعذرني القارئ لو قصرت فيما نقلته.

ومن بعض معالم حائل موقد حاتم في أعلى جبل السمراء، والمطل الذي يشرف على منطقة حائل بشكل بانورامي جميل!! وهناك بئر سماح ذات المياه العذبة، وغزارة مياهها المعدنية ، وواحة فيد التي يمر منها درب زبيدة الشهير والذي يعد أطول مساحة من جملة المساحات الخمس ، حيث يبلغ طوله ما يقارب 450 كيلو متر ، ولا ننسى جبل حبشي فهي منطقة مليئة بالآثار والأطلال ومقابر عمرها تربو على أربعة آلاف سنة!! والثعيلبي وسميراء وجبل

ضايف يعد موقعا أثريا، والسفن وسراء، وجبة وهي مــن أهم وأقدم مواقع الرســوم الأثرية في المملكة والتي تعود إلى 1500 و 2500 سنة!! وجبل أم سنمان وموقع راطا والمنجور، والتي تضم رســوما ونقوشــا أثرية تعود إلى نهاية العصر الحجري!!

وقد تحدث المؤلــف عن بعض العادات الكريمة في حائــل، ومــن بينها عادة تســمى بـ(النايبــة)، وذلك عندما يقوم أحد الجيران ببناء مســكن له من بيوت الطيــن في ذلك الوقــت ، فإن أهل الحــي يتناوبون على دعوة عمال البناء لتناول طعام العشــاء ، وتدور عادة (النايبة) على كل أهل الحارة مســاعدةً لجارهم ومشاركةً له في مصاريف البناء رجالا كانوا أو نساءً!!

وتحــدث عــن حــي لبــدة الثقافــي ، وحي بــرزان ، والشــبّة أو الديوانيــة التي يلفي عليهــا العديد من شــرائح المجتمع ، فهي منبر ثقافــي ديني اجتماعي ، والمشــهد الثقافــي المتمثل فــي المكتبات العامة والخاصة.

كمــا تحدث العريفي عن أنواع الفنون الشــعبية في منطقة حائل كالعرضة والســامري ،وأغاني السواني ، وأهازيــج البنــاة ، وأغاني النخيل ، وأغاني النســاء ، وأغانــي الطحن ، وأغاني الهبــش أثناء هرس القمح وتنقيته.

وقد شد انتباهي أول سعودي ينال شهادة الدكتوراه فــي المملكة العربية الســعودية ، وكلنا قد تعارفنا بــأن أول مــن حصل علــى شــهادة الدكتــوراه في المملكــة هو الدكتور عبدالعزيــز الخويطر رحمه الله ، ولكنــي تفاجأت بأن أول ســعودي قــد حصل على الدكتوراه من حائل ، وهو:الســيد محمد الرشيد نجل رشيد باشــا قنصل المملكة العربية السعودية العام في دمشق من جامعة لوزان في جنيف!! وكانت عن "تاريخ العرب الدبلوماسي".

وتضم منطقة حائل ثماني محافظات بقعاء والغزالة والشــنان وموقق والحائط التي كانت تسمى (فدك) والســليمي والشــملي وســميراء ، وهذه المحافظات تزخــر بكنوز عجيبة من الآثــار والتراث الزاخر والكنوز الطبيعية!!

وتضــم حائل بيــن جنباتها عددا كبيــرا من المعالم التاريخية والأثرية ، ومنها اكتشاف موقع أشولي في شــبه الجزيرة العربية ،والذي يعتبر أقدم موقع أثري أشــولي مكتشــف في شــبه الجزيرة العربية، قلعة أعيرف وتعود إلى العصور الإســلامية القديمة، قصر القشــلة وهــو معلم تراثــي في حائل يجســد جمال العمــارة التقليدية في نجــد، قصر حاتم الذي يضم آثارا تعــود لفتــرات قديمة، عقدة: وســميت عقدة نســبة إلى زوجــة "عمرو بــن غيث الطائــي" وكان اســمها عقدة، موقع جبة الأثري، موقع الشــويمس الأثري، جبال أجا وسلمى، وآثار الثموديين.

وقــد عــرج المؤلف إلــى تعريــف طيء وشــيء من أشــعارها ، ومن بينها أبيات لحاتــم الطائي يخاطب زوجته ماويــة يعاتبها حينما لامته على فرط كرمه ، وإنفاقه المال:

أماويُّ إن المال غادٍ ورائحٌ
ويبقى من المال الأحاديثُ والذِّكرُ
أماويُّ إنّي لا أقولُ لسائلٍ
إذا جاء يوماً حلَّ في مالنا نزرُ
أماويُّ ما يغني الثَّراء عن الفتى
إذا حشرجت نفسٌ وضاقَ بها الصّدرُ

وقــد أفرد العريفي عنوانا لــدرب زبيدة والذي يعتبر أعظم الصروح الهندسية لأمن وأمان الحجاج ووصول مياه الأمطار إلى برك زبيدة على محطات درب زبيدة ، وقــد صرفت زبيــدة زوج الخليفة العباســي هارون الرشــيد المبالــغ الطائلة حيــث تعادل ســتة أطنان ونصف من الذهب كما ورد في الروايات!!

وتحــدث المؤلــف عــن مرصــد فلكي في جبــال أجا اكتشــفه الأستاذ مشــاري النشــمي عمره ما يقارب ثلاثة آلاف ســنة، بل إن الشمس تدخل من فتحة في أحد كهوف الجبل في ســاعة معينة وفي يوم معيّن من الســنة !! حيث ربــط ذلك بالأهــرام التي عملها الفراعنة ، وقد يكون هذا دليل قاطع بأنهم قد مروا على حائل إبان حقبتهم!!

وتحــدث عن حي لبــده الثقافي وحي بــرزان ، وحي حدري البــلاد وحي مغيضة ويقول المؤلف لا يتســع المجال لذكــر كل الحــارات بحائل العابقــة بالتاريخ والرجال

ولعلي أختم هذه الإلماحة ببعض الأبيات التي قالها الشــاعر الكبير راشــد بن جعيثن ضاربــا المثل بحبه لأرض اليمامة بعشق فهد العريفي لحائل:

أحبّها حبّ العرب فكّة الرّيق
على صبوح معبّسات الشّمايل
أحبّها حبّ الوحش للشّواهيق
أحبّها حبّ العريفي لحايل!!

لقد استمتعت برحلة متعمقة عمق التاريخ في حائل حينمــا قرأت كتــاب حائل كنوز ورمــوز للمؤلف علي العريفي وعايشتها وكأني بينهم!!

حديث الكتب

«القار» لـ «علوان السهيمي» ..

الرواية التي تستحق إعادة الكتابة.

آمنة صدقي بوخمسين*

أكتب هـذه المقاربة بوصفها محاولة جادّة لفتح باب النقد من الأدب السعودي إلى الأدب السعودي، ذلك الباب الذي نحمله ونحن مثقلون بحساسيتين: حساسية القارئ، وحساسية الكاتب، ولعلنا جميعًا مصابون، بنسب متفاوتة، بحساسية النقد، وهي حساسية لا أعفي نفسي منها.

عن رواية القار للروائي علوان السهيمي ورغم أن هذا النص يفصل بينه وبين كاتبه خمسة عشر عامًا، إلا أنه جدير بأن يُشار إليه؛ لأن كاتبه كان شجاعًا بما يكفي لفتح جرحٍ يُخبِّأ دومًا بشتى صنوف الأقنعة والأردية: جرح العنصرية. لم يتوانَ «السهيمي» في روايته «القار» عن مجابهة مأزق اللون، والبشرة، بل أراد لنصه أن يكون واقعيًا، فحدده جغرافيًا، واختار له مكانًا رآه صالحًا لكتابة هذا الجرح، ما جعلنا نسقطه بيسر وسهولة على خارطتنا الخاصة، ثم خارطتنا العربية الأوسع، وبعدهم على الإنسانية الأشمل: تلك العنصرية المقيتة، تجاه كل الألوان، وبينهم الأسمر، والأسود وفي أماكن بات الأبيض والأشقر جزءًا من المعاناة والتندّر. هذا ما تفعله العنصرية المقيتة بهذا العالم.

يتجاسر علوان في نصه ليضعنا في إحدى الحارات الفقيرة، ليضيف إلى المأزق مأزقًا أخلاقيًا يعيشه أصحاب البشرة السوداء -تحديدًا- ويجدون أنفسهم محاصرين به. هذا النص يشبه طوبًا يُرصّ فوق بعضه كالبنيان، لتتسلل منه صنوف من المشكلات: الأخلاقية، واللا أخلاقية، والعنصرية، والطبقية، والجندرية، والجنسية.

نحن بحق أمام مآزق عديدة يحملنا إليها النص: الأنوثة والذكورة، الفقر والغنى، العلم والجهل، والوطني وغير الوطني، وهنا يتشكل الخيط بين بطله «عبده» وزوجته السورية «سحر»، ومن جهة أخرى نظرة هذه الزوجة لاحقا إلى السعوديين والسعوديات قبل معايشتهم، وبعدها. وفي قلب ذلك كله يتواجه لوني البشرة (الأبيض و الأسود). ورغم أن النص يفصلنا عنه عقد ونصف، إلا أنني كنت طوال قراءتي أتحسس هذا أتذكر مقولة فيثاغورس»: لا ننزل إلى النهر ذاته مرتين»، لأن النهر لن يكون ذات النهر، ولأننا لن نعود نحن، أي لن نعود كما كنا.

يا لها من رواية صالحة رغم كل هذا العمر، ورغم أنني إلى هذه الساعة التي أكتب فيها مقاربتي عن هذا النص لست متأكدة إن كنت أحببت الرواية ، وكل ما أنا متأكدة منه أنني مصابة حتى اللحظة بانفعال شديد، للحد الذي تمنيت فيه مقابلة أبطالها، والحديث معهم.

ومع أن النص جعل سحر - العروس التي

قالت إنهـــا تريد أن تصنع صينية دجاج - تنهض لتضع الدجاج في القدر بدل الصينية، ولم أفهم لماذا غيرت قرارها، رغم أن إعداد الصينية أيسر. ولم أفهم لماذا كان على «عبده» أن يكرر عبارة: «أعضاءه وأعضائها» بهـــذا الكم الهائل، وكأنه بالجنس - وبالجنس وحـــده - ينتصر على لونه الذي تسبب له بالأذى النفسي، والعقد النفسية، والشـــعور بالنقص وربما العار، لونه الذي هو بذاته كرهـــه، ، وكأن العنصريـــة المقيتة التي تحيطه غير كافية، ليغدو عنصريًا على نفســـه جالدا ذاته بلسانه، وشعوره، ناظرًا إلى عرجته التي أصيب بها بســـبب رصاصة في فخذه، يوم كان عســـكريًا قبل تقاعده المبكر بسببها، إعاقته تلك على أنها نقص مضاف إلـــى نقائصه. وإن كان هو مهووسًا بالأعضاء وتكرارها، والتفكير المســـتمر بهـــا، فلماذا كان على ســـحر أيضًا أن تغســـل «أعضاءها»، رغم أنها هـــي المتحدثة؟ هل أصابها مسٌّ من زوجها الذي تمقته، حتـــى أصبحت تحمل كلماته في رأســـها؟ رغم أن كلماته أصلًا كانت في رأســـه وحده، ولم ينطق بها، مع الأخذ بعين الاعتبار تلك البذاءة التي حكى لها عنها... عن طفولته وعن حيه الذي نشأ فيه؟

وشـــيخ الحي الذي تأملنا فيه خيرًا حيـــن ردع زوجته عـــن عنصريتها عندما جاورهما العروســـان -المختلفين على لونيهما- فأحدهما أكثر ســـمرة حد الســـواد والأخر أشد بياضاً- عاد بعد أن قرأ كتابًا فقهيًا، ليخرج له من حياة العنصرية جار آخر يسأله عن «العبد»، الذي نهره ليذكره بأن «أكرمكم عنـــد اللّه أتقاكم»، ثـــم يخطب في المســـجد لاحقًا حـــول «أحكام زواج العبيـــد من الأحرار»! ثم، لمـــاذا كان عليه أن «يلعق أفكاره»؟ والأم عائشـــة التي ظهرت طوال النص في صورة امرأة بســـيطة متواضعة لا تستطيع اســـتخدام الهاتف. إلا أنها ومع كامل بســـاطتها كانـــت تتحـــدث بفصاحـــة ومجاز لا ينتمـــي لذلـــك البيـــت الذي عاشـــت فيه متربعـــة على الأرض في انتظـــار ابنها «عبده» لينهض للمدرســـة ويعود إليها بين يوم وآخر مصاباً ودامياً.

أخيرًا: تراه كيف اســـتطاع «السهيمي» أن يسدّ جميع مســـام هذا النص، إلى الحد الذي لم يكن فيه زوجان يعيشان حياة سوية؟ بل لم يكن أحد الزوجين في أي من الزيجات التي سرد لنا أحداثها يطيق الآخر. لعلّ الشـــيخ وزوجته فقط هما من عاشا حياة ســـوية، وهادئة، على الرغم من أني لم أعد متأكدة منذ أن أرضعت طفلها طالبة منه ألا يحدق فيها بحجة أنها «تستحي».

وبعد هذا كلـــه هنيئًا لك شـــجاعتك أيها الســـارد البديـــع، وهنيئًـــا لنا أن نقرأ أدبًا سعوديًا شجاعًا، يفتح لنا جـــرح العنصرية الغائـــر دون أن يهابـــه، ليقف أمامه بصدق السرد الإبداعي.

و لأنـــك أغريـــت القارئ بتنويـــه أن الروايـــة كُتبـــت عكســـيًا مـــن اليـــوم الثلاثيـــن لـــزواج عبـــده وســـحر عودة إلى اليـــوم الأول، أصبت القراء بإغراء البـــدء من الفصل الأخير، إلا أنني أســـتطيع الآن أن أؤكد لك أن هذه الرواية يمكن أن تُقـــرأ بالاتجاهين: من اليوم الأول إلى الثلاثين، أو كمـــا كتبتها أنـــت، دون أن يختل توازنها.ولعلنا، بعد خمســـة عشر عامًا في هذا العـــام 2026 المأزوم بالعنصريـــة حول العالم، وأنا أشـــكك حتى في تذكرك لكل تفصيل كتبته أشـــجعك على إصدار طبعة جديدة منقحة؛ لأن شجاعتك، وقرّاءك، لهما حق عليك أن تعيد كتابة النص من نهر محبرتك الآن.

*روائية وكاتبة سعودية

حديث الكتب

«خدين السماء» للشاعر إبراهيم الجريفاني..

هندسة القلق والارتقاء.

د. وسام علي الخالدي*

تعد مجموعة "خدين السماء" لإبراهيم الجريفاني تجربة أدبية وفلسفية عميقة تبتعد عن التقريرية لتؤسس لغة خاصة تقوم على "أنسنة" الوجود، حيث يتحول الشاعر فيها إلى فيلسوف يبحث عن "شيفرة الزمن" في واقع يصفه بالجفاف العاطفي والفكري. إن جوهر الديوان يكمن في تلك الثنائية المتصارعة بين أرض الواقع، التي يراها الشاعر مسكونة بالمتغيرات التكنولوجية الباردة ومجاعة الحب، وسماء الروح التي يراها ملاذاً للطهر واليقين. ويتجلى الجريفاني في نصوصه بوصفه شاعراً ورائياً يمتلك حساسية الناقد والمفكر معاً، فيغدو أقرب إلى "المشرط النطاسي" الذي يكشف عن أوجاع الواقع ويستجلي طبقاتها العميقة، ساعياً إلى تطهيرها عبر إدراك أبعادها المتعددة، مستخدماً لغة مكثفة تنهل من معجم الفلك والطبيعة لتصوير قلقه الوجودي.

وفي هذا الديوان تغدو المرأة رمزاً كونياً ومركزاً روحياً تتكاثف فيه معاني الحياة والجمال، فتتجاوز حضورها الإنساني المباشر لتتحول إلى "نواميس كونية" وعقيدة وجدانية تمنح الوجود معناه، في مواجهة زمن يخشى فيه الشاعر من "برمجة الأدب" وتلاشي الإلهام البشري أمام سطوة الروبوتات والذكاء الاصطناعي. وتبرز رؤيته الفكرية من خلال وعي حاد بمخاطر "الأمية الفكرية" التي تعادل أمية القراءة، حيث يطلق صرخته لإيقاظ الوعي قبل أن يتحول الإنسان إلى "نسي منسياً" في ظل غياب الضمائر.

لقد اعلن الشاعر عن حيرته الوجودية أمام متغيرات العصر التقني هي "نصف قلق"، حيث يرى في قصيدة "عام خريفه دون فصول": "خريف أضاع الفصول.. نصف الحقيقة موجع.. والنصف الآخر غصة ماء". ويصل في رؤيته للحب إلى اعتباره طاقة للتطهير والارتقاء الروحي، مؤكداً في قصيدة "طهر الخطيئة": "أعترف.. خطيئتي الكتابة.. لذا سأمارس هذا الإثم.. ما إن ألتقي أنفاسك.. أزداد من خطيئتك طهراً".

وتؤكد هذه الرؤية قوله: "المرآة سطح مصقول تعكس الشاخص أمامها، وهذا يمكن رؤيته في البصر، إنما ما أحاول رؤيته هو الجانب الآخر مما لا يظهر". ومن هنا تنفتح تجربة "خدين السماء" على مستويات تأويلية متعددة، إذ تتطلب من القارئ بصيرة نافذة تستكشف ما وراء الظواهر، وتتابع رحلة الذات في معراجها الروحي بين ألم الواقع وأمل السماء.

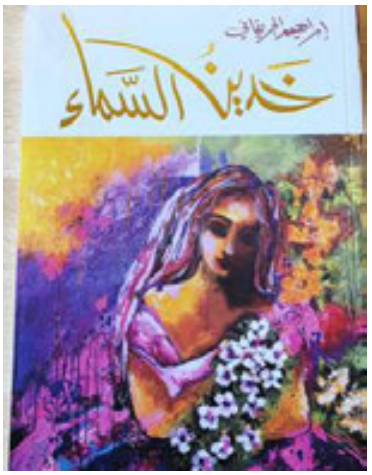

إن هذا العمل الأدبي المائز يمتد من التعبير عن الذات إلى بناء رؤية إنسانية تسعى إلى استعادة "أنسنة" العالم في زمن طغت فيه المادية. فالشاعر إبراهيم الجريفاني يؤمن بأن الشعر فعل روحي عميق، وتجربة وجدانية تتجسد في أسمى صور الإخلاص، حيث يقول في قصيدته "بتلات حب": "ولجت السماء.. متوشحاً العشق.. نسج مشاعر بشرية.. جلجلة حب أبدي". ويقوم جوهر الرسالة التي يحملها الديوان على الصراع بين الوعي والغفلة، وبين الحضور الإنساني الأصيل وأشكال الاغتراب الحديثة، حيث يرى الشاعر أن "الأمية الفكرية في فهم ما يجري تعادل أمية القراءة قبل أجيال مضت". ومن هذا المنطلق تتجسد قصائده بوصفها دفاعاً عن جوهر الإنسان ودفء المشاعر وفرادتها، انطلاقاً من قناعته بأن "خلاصة القول متى ابتعدنا عن السماء صرنا أبعد عن

هويتنا البشرية".

كما يتجلى في نصوص الديوان اعتراف شجاع بأن "بعض الوعي، سبب للنسيان"، وهو ما يفسر لجوء الشاعر إلى فضاءات المخيلة واستعادة براءة الطفولة وأحلام الصبا بوصفها ملاذاً من قسوة الواقع. وهكذا يجد القارئ نفسه أمام مرآة تعكس وجه الشاعر ووجه العصر معاً، بما يحمله من تناقضات وآلام وأحلام تبدو أحياناً "أوهاماً لمخيال".

وفي ختام هذه التجربة، يظل الجريفاني وفياً لمنهجه في البحث عن "الجانب الآخر" من الأشياء، مؤكداً في إهدائه ومقدمته أن نجاح الحرف يكمن في قدرته على ملامسة القلوب التي "لم تمارِ في صدق المشاعر". ويغدو ديوان "خدين السماء" مشروعاً روحياً وجمالياً يستحضر إنسانية الإنسان في زمن يميل إلى تغييبها، كما يدعو قارئه إلى مواجهة المستقبل بوعي متبصر وإيمان راسخ بقدرة الجمال على صناعة المعنى والأمل.

ويتجسد هاجس الزمن في الديوان بوصفه قوةً ضاغطةً على الوعي الإنساني، لا باعتباره إطاراً للأحداث فحسب، بل ككائن خفي يعيد تشكيل المصائر والأحلام. فالشاعر ينظر إلى الزمن من زاوية وجودية تتجاوز المعنى التقليدي، حيث تتكرر مفردات الخريف والانتظار والغياب والذاكرة في أكثر من نص، لتغدو علامات دالة على شعور الإنسان المعاصر بتسارع التحولات وفقدان اليقين. ومن هنا يكتسب الخريف عند الجريفاني دلالة رمزية تتجاوز الفصل الطبيعي ليصبح استعارة لحالة حضارية وإنسانية شاملة، وهو ما يتجلى في قوله: «خريف أضاع الفصول»، حيث تنطوي العبارة على رؤية فلسفية توحي باختلال النظام وفقدان التوازن الروحي.

كما ينهض الديوان على حسّ صوفي واضح يجعل الحب طريقاً للمعرفة والارتقاء الروحي. فالحبيب في كثير من النصوص يتجاوز حضوره الواقعي ليغدو رمزاً للحقيقة المطلقة والجمال الكوني. ومن ثم فإن عبارات مثل: «الحب نسكي ومناسكي» و«ولجت السماء متوشحاً العشق» تكشف عن لغة عرفانية تستثمر مفردات الطقوس والعبادة لتأسيس رؤية تجعل العشق وسيلةً للتطهر الداخلي واكتشاف الذات.

وتستمد الصورة الشعرية في "خدين السماء" خصوصيتها من تفاعل الحقول الدلالية المتباعدة، إذ تتجاور مفردات الفلك والطبيعة والروح والتقنية داخل النسيج النصي الواحد، مما يمنح القصيدة طاقة إيحائية واسعة. فالشاعر لا يصف العالم كما هو، بل يعيد تشكيله عبر شبكة من الرموز والاستعارات التي تجعل الأشياء اليومية البسيطة، كالقهوة والمرآة والكرسي، علامات ثقافية وفلسفية قادرة على إنتاج دلالات تتجاوز حضورها المادي المباشر.

ويتعمق الديوان في اشتغال اللغة بوصفها بنية مولدة للمعنى لا مجرد أداة تعبير، إذ تقوم لغته على الانزياح الدلالي وتكثيف الاستعارة بما يفتح النص على مستويات تأويلية متعددة. فالكلمات لا تستقر في دلالاتها المعجمية المباشرة، بل تنزاح نحو فضاءات رمزية تتداخل فيها الحقول الدلالية المختلفة، لتتشكل بنية شعرية قادرة على إعادة إنتاج الواقع لا تمثيله فقط. ومن هنا تتجاور مفردات الفلك والطبيعة والإنسان والتقنية داخل نسيج لغوي واحد، فتتحول الصورة الشعرية إلى فضاء مركب يعيد تشكيل إدراك العالم ويمنحه بعداً وجودياً يتجاوز المألوف.

ويكشف هذا البناء اللغوي عن حسّ تناصي واضح، حيث تتداخل المرجعيات الدينية والفلسفية والرمزية في تشكيل رؤية الشاعر للعالم. غير أن هذا التناص لا يعمل بوصفه إحالة ثقافية سطحية، بل يتحول إلى آلية فكرية تعمّق النص وتثري بنيته الدلالية، إذ تتقاطع الأصوات والمعاني لتنتج خطاباً شعرياً مركباً يقوم على تعدد الرؤى وتداخلها، في مواجهة واقع مضطرب يبحث فيه الإنسان عن معنى وجوده وهويته.

كما يظل هاجس الزمن أحد المكونات الجوهرية في التجربة، إذ لا يظهر بوصفه إطاراً محايداً للأحداث، بل يتحول إلى قوة ضاغطة تعيد تشكيل الوعي الإنساني. ويتخذ الخريف في هذا السياق بعداً رمزياً يتجاوز دلالته الطبيعية ليغدو علامة على الانكسار الداخلي وفقدان التوازن الروحي، حيث تتكرر إشارات الغياب والانتظار والذاكرة بوصفها تجليات لحالة إنسانية مأزومة أمام تسارع التحولات وفقدان اليقين.

وفي مستوى آخر، ينهض البعد الصوفي بوصفه أفقاً تأويلياً يعيد صياغة مفهوم الحب، إذ يتجاوز الحضور الحسي إلى بعد معرفي وروحي يجعل من العشق طريقاً للتطهر والارتقاء. فالتجربة الشعرية هنا تتقاطع مع خطاب وجداني عميق يجعل من اللغة طقساً روحياً، ومن الكتابة ممارسة وجودية تتجه نحو المطلق، حيث تتداخل مفاهيم الطهر والخطيئة والسمو في رؤية واحدة تعكس بحث الشاعر عن الحقيقة الكامنة خلف ظاهر الأشياء. وبذلك يغدو "خدين السماء" تجربة شعرية تتأسس على وحدة الرؤية بين اللغة والفكر، وبين الصورة والوجود، إذ لا يكتفي الشاعر بتسجيل قلقه الوجودي، بل يعيد صياغته في بنية فنية مشحونة بالرمز والدلالة. وتتحول القصيدة في هذا السياق إلى مساحة لطرح السؤال أكثر من تقديم الجواب، وإلى أفق مفتوح يعيد الاعتبار للإنسان في مواجهة عالم يتغير بسرعة تفوق قدرة الإدراك، لتبقى الكتابة فعلاً للبحث عن المعنى واستعادة جوهره في آن واحد.

* العراق

مقال

نوف بنت
عبدالله الحسين

السباق المحموم والكأس!

ذهن منهك من تعدد المسارات واللهث وراء الخيارات في ذلك السباق المحموم للوصول إلى اللاوصول! حيث الرحلة اللامنتهية للوصول إلى القمة، تلك القمة التي تتعب المتسلقين الذين يظنون أنهم انتصفوا الطريق وإذا بهم يتقهقرون في هذا السباق! فلا تعلم إن كان الأمر يستحق كل هذا العناء وهذا الركض ، أم أننا صنعنا قصة وهمية لمستقبل بعيد وغير موجود محاولة للمواكبة والمسايرة في رحلة العمر.

في عالم الأنظمة المتشعبة والمعقدة، يجد خرّيج المرحلة الثانوية نفسه في مفترق طرق وتحت رحمة سياط القدرات والتحصيلي والأنظمة المعيارية التي ظاهرها عدالة وباطنها عذاب نفسي وذهني وصدمات ظالمة لمن بذل الغالي والنفيس لتتكشف الأقنعة وتظهر الفجوات السنوية التي تعطي الصورة الحقيقية لواقع التعليم والمخرجات المؤسفة والتي يدفع ثمنها الطالب المغلوب على أمره، ومن ثم تأتي عشوائية القبول الموحد الذي يجبر الطالب على إدخال خياراته قبل وضوح الرؤية لديه، وما بين الأحمر والأصفر والأخضر تأتي قصة ألم أخرى يعيشها الطالب وهو في أزمة المرور أم الانتظار أو الرفض! وتبدأ الآراء المتنوّعة من النصائح في وضع الاختيارات المناسبة في حين أنه لم تكتمل بياناته بعد، ثم تعديل الخيارات مرة أخرى بناءً على آخر التحديثات، فإن ظهر الكأس فأنت في مأمن، وإن ظهر اللون الأخضر ففرصتك مازالت كبيرة في القبول، والأصفر هو تعلق في قشة الأمل، وأما الأحمر فهو بمثابة حكم المبارة الذي طرد اللاعب في الجولة الأخيرة، وكأنهم يسخرون من جهودهم التي هُدرت في ظل التجارب المؤسفة والعشوائية وعدم فهم الآلية كل عام للمستجدات العشوائية التي تحدث، وكأنه طريق وعر بلا نور!

وعلى الضفة الأخرى هناك خرّيج الجامعة الذي يتلفت عن يمينه وعن شماله محاولًا إيجاد فرصة عمل ما بين الروابط الإلكترونية الكثيرة والوعود الوهمية بالرواتب والمزايا، وحسابات لينكد إن التي تتناثر و الكل ينكب عليها، ولا تعلم إن كانت هذه آلية داعمة للتوظيف أم مجرد محاولات تقنية عبثية، فيقع في حيرة، هل يزيد من وتيرة الركض ويطرق كل الأبواب، أم يصعد مرة أخرى في مسار أكاديمي ويبحث عن فرصة قبول لإكمال الدراسات العليا؟

لم يعد الطالب اليوم يبني طموحه وأحلامه وهو يمشي بين كل هذه الحجارة المتراكمة، ولا أدري إن كان الأمر يستحق كل هذا التعقيد وهذا العناء، ومع وضوح الخلل، إلا أن هناك آذان لا تحسن الانصات، فتعددت الجبهات ما بين مؤيد ومهاجم، وأكثر المهاجمين هم من عاشوا الأمرّين من الأهل والطلّاب، وأما المؤيدين قد يكونون من هم بمنأى عن هذه المعاناة فيرونها مبالغة ويجدون أن الأمر تحكمه العدالة!

ما هكذا تورّد الإبل، نحن نتكلم عن مقدرات لأبناء البلد، وعن تأهيلهم بما يدعمهم في بنيان وطنهم، وليس بتحدّيهم لدرجة التنفير من أساليب التعليم المتذبذبة، وكيف لنا أن لا نؤهل أبناءنا للاستمرار في مسيرة بناء هذا الوطن وأن نتجاهل أهم كنز ومورد لوطننا العظيم، ألا وهو المورد البشري، فإن لم نصلح التعليم، لن تكون المخرجات مرضية، وإن لم يكن هناك نظام مرن يدعم الجميع في الحصول على فرصة للتعلم وبناء المستقبل، سيتراكم العاطلون وهم مستائين وموجوعين، فهّلا خففنا من حدّة السباق، وجعلنا الخطوات واضحة وموحدة والمسار آمن للوصول؟!

اغتيال الطموح في مهده يصنع لنا جيلًا لا مُبالٍ، محطم من تعقيد الأنظمة، متوقف عند محطة قبول، يرجو سلامة العبور، لعل وعسى أن يصل إلى شهادة تكفيه شر السؤال، يغلبه الحيرة من مستقبل مشوّش وغير واضح المعالم.

نحتاج إلى إعادة النظر من هذا الكابوس السنوي، ووضع الأمور في نصابها الطبيعي، وإتاحة الفرص للجميع، ولا تكن نسبة واحدة من المئة هي الفارق في صناعة المستقبل، بل المهارات والإمكانيات الحقيقية التي لا تكشفها الورق ولا الدرجة المعيارية، بل تكتشفها مقاعد الجامعة وأروقتها وأنشطتها الحقيقية، التي تلمس الواقع وتعيد للشباب الأمل في المستقبل القادم.

وجه آخر

أمين الحباره

@Ameentoon

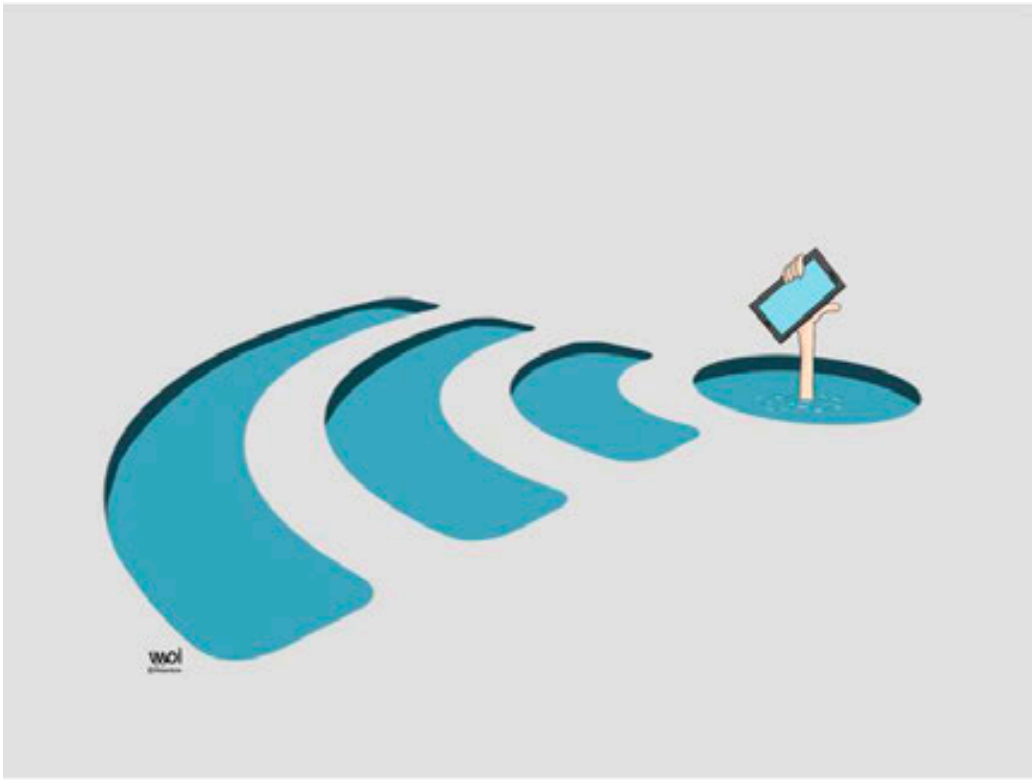

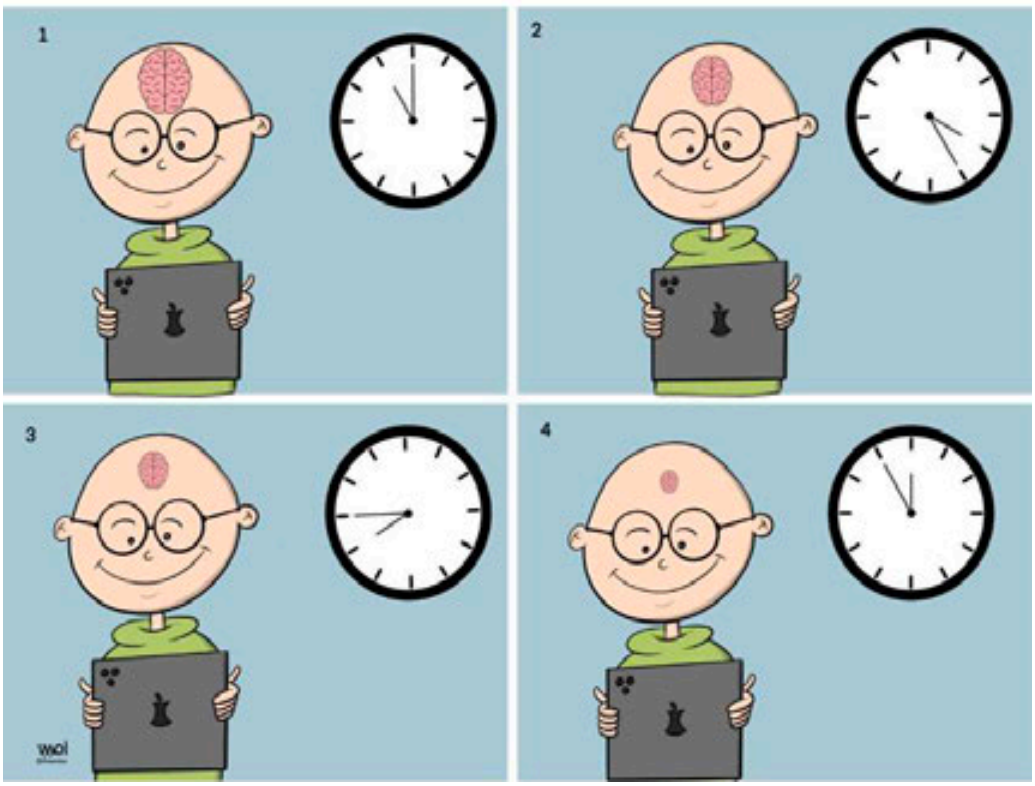

ستار

تقاطعات بين المسرح العالمي والسعودي..

المرأة.. السلطة.. الجمهور.

دلال خضر الخالدي*
@Dalal_k_1

عند القراءة في تاريخ المسرح العالمي والمسرح السعودي نجد مجموعة من التقاطعات التي تتمثل في عدة أوجه منها، في كون المرأة كانت في الحالتين موضع إقصاء بشكل رمزي وفعلي. سواء كانت ممثلة أو متفرجة، وهذا يكشف عن التشابه البنيوي في علاقة المسرح بالسلطة الاجتماعية والأخلاقية. ففي المسرح العالمي فرضت الأعراف السائدة حينها غياب المرأة عن الخشبة فقام الرجال والفتيان بأداء الأدوار النسائية في العروض المسرحية التي تتطلب دوراً نسائياً، بينما ظل حضورها في فضاء التلقي محكومًا بقيود ثقافية صارمة، بين المنع والسماح غير المرحب به. وعلى نحو مختلف في السياق المسرح السعودي واجه المسرح في مراحله الأولى تحفظات اجتماعية ودينية حدّت من مشاركة المرأة كممثلة وكمتلقي للعرض المسرحي. فظهر حضورها متأخرًا ومشروطًا، سواء عبر العروض النسائية أو عبر انفتاح على المشاركة المختلطة الذي تم في السنوات الأخيرة.

كذلك نجد في المسرح العالمي أن السلطة دينية أو أخلاقية أو اجتماعية تحدّ من حرية الجسد والتمثيل والحضور في فترات مختلفة من تاريخه، وكذلك في المسرح السعودي تدخل السلطة الدينية والاجتماعية والأخلاقية في مسيرته وتحديد توهجه وخفوت حضوره. هذا جعل المسرح يولد متصالحاً مع المجتمع حيناً، ومصادماً له في حيناً آخر نتيجة ما تسمح به السلطة بمختلف أشكالها.

كذلك تتقاطع علاقة النقد بالجمهور في المسرح العالمي والسعودي في أن النقد لم يقف عند وصف العرض المسرحي وإنما يعمل بصفته وسيطاً يقلص المسافة بين الخشبة والمتلقي، إذا ارتبطت الحاجة إلى النقد بضرورة بناء جمهور مسرحي واع وقادر على تجاوز الفجوة التي بين المسرح والجمهور.

هذا التشابه لا يلغي حقيقة اختلاف السياقين؛ فالإقصاء في المسرح العالمي كان جزءًا من نظام مسرحي أوروبي تاريخي طويل، أما في المسرح السعودي فكان مرتبطًا بتحولات الحداثة وبالتفاوض المستمر بين الفن والبنية المحافظة للمجتمع. كذلك هذه المقارنة تكشف التحول الذي يمر به المسرح في لحظات معينة، ويكشف أن المسرح دائماً هو مرآة لما يدور بين الناس وما يؤمنون به سواء كان ذلك في التجسيد على الخشبة أو فيما يمر به من فترات إقصاء وتهميش وتمكين.

يضعنا كذلك هذا الامتداد التاريخي في موقع الواعي بما يعتري المسرح من تحولات، ويؤكد على الحاجة إلى النظر إلى باعتباره مشروعًا ثقافيًا طويل النفس، يتطلب تراكمًا في التجربة وتدرجًا في التلقي وتثبيتًا للوعي سواء الجمالي والاجتماعي. الآن المسرح لا ينهض بالقرارات السريعة وإنما يصنع مكانته حين تتكامل الرؤية النقدية مع الممارسة الفنية ومع بناء الذائقة العامة، حتى يصبح جزءًا من الوعي الجمعي لا نشاطًا هامشيًا يظل رهين اللحظة. لذلك فإن تأسيس مسرح راسخ لا يتحقق إلا من خلال رؤية تراكمية تؤمن بأن بناء الجمهور لا يقل أهمية عن بناء العرض المسرحي، وأن صناعة الممثل لا تنفصل عن صناعة المتلقي، وأن ترسيخ المسرح في المجتمع هو فعل ثقافي ممتد يحتاج إلى صبرٍ ومعرفة ومثابرة، وإلى مشروع يربط بين الإبداع والتربية والوعي النقدي في آن واحد.

ختاماً، يمكن القول إن المسرح السعودي يشكّل جزءا من المسرح العالمي وقد مر بتحولات وتجارب كبيرة تتقاطع في جوهرها وتأثيرها مع ما حدث في المسرح العالمي عبر تاريخه وإن اختلفت السياقات بين المسرحين.

*ماجستير في الأدب المسرحي.

مقال

ليست سواء

مطلق ندا

@mutlaq_nada

منذ سنوات تتجه الدولة - مشكورة - إلى دعم المنشآت الصغيرة ومتناهية الصغر، إدراكاً لدورها في تنويع الاقتصاد، وخلق فرص العمل، وتحفيز ريادة الأعمال. غير أن هناك جانباً ما زال يستحق إعادة النظر، وهو آلية احتساب بعض الرسوم المفروضة على المنشآت بمختلف أحجامها.

ولا أطالب هنا بإلغاء الرسوم، فهي حق مشروع مقابل ما تقدمه الجهات الحكومية من خدمات وتنظيمات، لكنني أطالب بأن تكون أكثر عدالة، وأن تراعي الفروق بين منشأة لا يتجاوز رأسمالها بضعة آلاف من الريالات، وشركة تحقق إيرادات بملايين الريالات سنوياً.

فالمنشآت ليست سواء في حجمها، ولا في قدرتها المالية، ولا في حجم التزاماتها. فما يُعد مبلغاً يسيراً بالنسبة لشركة كبيرة، قد يشكل عبئاً حقيقياً على منشأة صغيرة ما زال صاحبها يكافح لتغطية الإيجار، والرواتب، والمصروفات التشغيلية الأساسية.

ويلاحظ كثير من أصحاب المنشآت الصغيرة أن الاعتراض لا ينصب على أصل الرسوم، وإنما على طريقة احتسابها، إذ تُفرض في بعض الحالات بمقدار واحد على منشآت تختلف اختلافاً كبيراً في إمكاناتها وإيراداتها، وهو ما يجعل المساواة هنا بعيدة عن تحقيق العدالة.

ومن هنا، فإن من المناسب دراسة التوسع في تطبيق مبدأ التدرج في بعض الرسوم، بحيث تُربط بحجم المنشأة، أو رأسمالها، أو إيراداتها، أو عدد العاملين فيها. فهذا التدرج يمنح المنشآت الصغيرة فرصة أكبر للاستمرار والنمو، ويخفف عنها الأعباء في سنواتها الأولى، دون أن يمس حق الجهات المختصة في استيفاء الرسوم.

وقد أثبتت التجارب الاقتصادية أن دعم المنشآت الصغيرة لا يقتصر على القروض، والمبادرات، وبرامج التحفيز، بل يشمل أيضاً توفير بيئة تنظيمية تراعي واقعها، لأن استمرارها ونموها يعني زيادة مساهمتها في الاقتصاد، وتوسيع قاعدة الاستثمار، وخلق مزيد من فرص العمل.

إن العدالة لا تعني أن يدفع الجميع المبلغ نفسه، وإنما أن يتحمل كل طرف ما يتناسب مع قدرته وإمكاناته. ولذلك فإن التدرج في الرسوم ليس استثناءً لأحد، بل هو صورة من صور العدالة التي توازن بين حق الدولة في تنظيم الأنشطة، وحق المنشآت الصغيرة في أن تُمنح فرصة حقيقية للنمو والاستمرار.. لأنها في النهاية ليست سواء.

التحقيق

الأندية النسائية..

هل انتصر الوعي على الموضة ؟

إعداد: زهير بن جمعة الغزال

لم تعد الأندية الرياضية النسائية مجرد أماكن لممارسة التمارين الرياضية، بل أصبحت اليوم مساحة تجمع بين تعزيز الصحة الجسدية، وتحسين الصحة النفسية، وبناء الثقة بالنفس، وصناعة نمط حياة أكثر توازنًا. وخلال السنوات الأخيرة شهد هذا القطاع توسع ملحوظ، بالتزامن مع زيادة الاستثمارات الرياضية، وتنامي الوعي المجتمعي بأهمية النشاط البدني، وهو ما انعكس على ارتفاع أعداد المشتركات في مختلف المدن.

لكن هذا الإقبال يثير العديد من التساؤلات: فهل الدافع الحقيقي وراء الاشتراك هو البحث عن الصحة وجودة الحياة؟ أم أن وسائل التواصل الاجتماعي وصناع المحتوى أسهموا في تحويل الرياضة إلى سلوك مرتبط بالموضة والتقليد؟ ولماذا تستمر بعض المشتركات في ممارسة الرياضة لسنوات، بينما تتوقف أخريات بعد أشهر قليلة؟ وما الدور الذي تؤديه إدارات الأندية والمدربات في الحفاظ على استمرارية المشتركات وتحويل الحماس المؤقت إلى عادة يومية؟

نرصد آراء مختصين، ومدربات، وإدارة أحد الأندية، إلى جانب تجارب مشتركات، في محاولة للإجابة عن هذه الأسئلة، واستكشاف التحولات التي يشهدها قطاع الرياضة النسائية.

تغيير النظرة للرياضة النسائية

وترى الأستاذة سمر الحاجي محمد أن قطاع النوادي الرياضية النسائية يشهد نمو ملحوظ في أعداد المشتركات، في ظل توسع الاستثمارات الرياضية وارتفاع الاهتمام بممارسة النشاط البدني، وهو ما يعكس تغيرا تدريجيا في نظرة المجتمع إلى الرياضة النسائية وأهميتها. وتوضح، أن هذا النمو يفتح الباب أمام العديد من التساؤلات المتعلقة بالدوافع الحقيقية التي تقف وراء هذا الإقبال، ودور الوعي الصحي في تعزيز ممارسة الرياضة، وانعكاس ذلك على صحة المرأة وجودة حياتها، إضافة إلى مدى تحول الرياضة من نشاط يمارس بين الحين والآخر إلى جزء أصيل من نمط الحياة اليومي، كما أن المنصات الرقمية أصبحت اليوم أحد أبرز المؤثرات في قرارات الاشتراك، حيث تلعب وسائل التواصل الاجتماعي وصناع المحتوى دور كبير في تشجيع النساء على ممارسة الرياضة، سواء من خلال نشر قصص النجاح أو استعراض التمارين والبرامج الرياضية، إلا أن هذا التأثير قد يدفع بعضهن إلى الاشتراك بدافع التقليد أو مواكبة السائد، دون وجود قناعة حقيقية بأهمية الرياضة.

وتؤكد، أن التحدي الحقيقي لا يكمن في زيادة أعداد المشتركات، وإنما في تحويل الاشتراك إلى التزام فعلي ومستدام بممارسة النشاط البدني، وهو ما يرتبط بجودة الخدمات، ووعي المشتركات، والدعم الذي يحصلن عليه داخل النادي.

ارتفاع الوعي الصحي

ومن داخل القطاع الرياضي، يوضح الأستاذ مبارك المليلي، صاحب أحد النوادي النسائية، أن نمو القطاع الرياضي لا يزال يسير بوتيرة أبطأ من حجم الاهتمام المتزايد بالرياضة، إلا أن السنوات الأخيرة شهدت ارتفاع واضح في الإقبال على الأندية النسائية، نتيجة ارتفاع الوعي الصحي، إلى جانب اهتمام كثير من النساء بالمظهر الجسدي واللياقة البدنية.

ويشير، إلى أن الخدمات الأساسية داخل الأندية لم تشهد تغيرات جوهرية بقدر ما تطورت جودة تقديمها، موضحا أن المشتركات يبحثن قبل كل شيء عن الأسعار المناسبة، ونظافة المرافق، وتوافر الأجهزة، إضافة إلى وجود مدربات يقدمن المتابعة المستمرة والدعم والتحفيز، كما أن البيئة المحيطة تمثل أحد أبرز العوامل المؤثرة في قرار الاشتراك، فالكثير من النساء يتأثرن بتجارب الصديقات أو أفراد الأسرة أو زميلات العمل، وهو ما يسهم في زيادة الإقبال على الأندية الرياضية، والمحافظة على هذا النمو تتطلب الاهتمام الدائم بجودة التدريب، والحرص على نظافة المرافق، وسرعة معالجة الأعطال والصيانة، لأن جودة التجربة هي العامل الأساسي في استمرار المشتركات وعدم انقطاعهن.

تحويل الحماس إلى عادة يومية

من جانبها، تؤكد المدربة الرياضية سارا الحمود، أن الوعي الصحي أصبح المحرك الرئيسي للإقبال على الأندية

سمر الحاجي محمد

النسائية، موضحة أن كثيرا من النساء أصبحن أكثر إدراكا للفوائد الصحية والنفسية التي تحققها ممارسة الرياضة بشكل منتظم.

وتوضح أن خبرتها العملية تؤكد وجود فرق واضح بين المشتركات اللاتي يلتحقن بالنادي بدافع صحي، وبين من يدخلنه بدافع التقليد أو الحماس المؤقت، فالفئة الأولى تحقق معدلات أعلى من الالتزام والاستمرار، بينما تتراجع حماسة الفئة الثانية تدريجيًا مع مرور الوقت، كما أن دور المدربة لا يقتصر على شرح التمارين، بل يمتد إلى تقديم الدعم النفسي، ووضع أهداف واقعية تتناسب مع قدرات كل مشتركة، ومتابعة تقدمها بصورة مستمرة، لأن ذلك يساعد على تحويل الحماس الأول إلى عادة يومية تستمر لسنوات.

وتضيف، أن تحقيق نتائج ملموسة، مهما كانت بسيطة، يشكل عنصرا مهما في استمرار المشتركات، إلى جانب توفير بيئة محفزة تشعر فيها المرأة بالراحة والدعم، مؤكدة أن الرياضة ليست مجرد وسيلة لخسارة الوزن، وإنما أسلوب حياة يمنح الإنسان صحة أفضل وطاقة أكبر وثقة بالنفس، وأن البداية لا تحتاج إلى إمكانات استثنائية، وإنما إلى قرار حقيقي بالالتزام، يعقبه الصبر والاستمرار حتى تتحول الرياضة إلى جزء طبيعي من الحياة اليومية.

نظرة أخرى للرياضة

وتجسد تجربة مي بنت خليل، خريجة جامعة وربّة منزل، هذا التحول بصورة

مبارك المليلي

واضحة، فهي إحدى المشتركات في النوادي الصحية منذ أكثر من ثلاثة أعوام، وتؤكد أن التحاقها بالنادي أحدث تغييرا كبيرا في حياتها، رغم مسؤولياتها اليومية بين إدارة المنزل ومتطلبات الأسرة، وإن الدعم الذي وجدته داخل النادي كان سببا رئيسيا في استمرارها، بعدما كانت في السابق تتوقف عن ممارسة الرياضة بعد فترات قصيرة، موضحة أنها لم تكن تدرك أهمية النشاط البدني كما تدركه اليوم، وأن السنوات الأخيرة شهدت تغيرا كبيرا في نظرتها إلى الرياضة، إذ أصبحت تخصص وقت ثابت للتمرين مهما كان جدولها مزدحم، بعدما

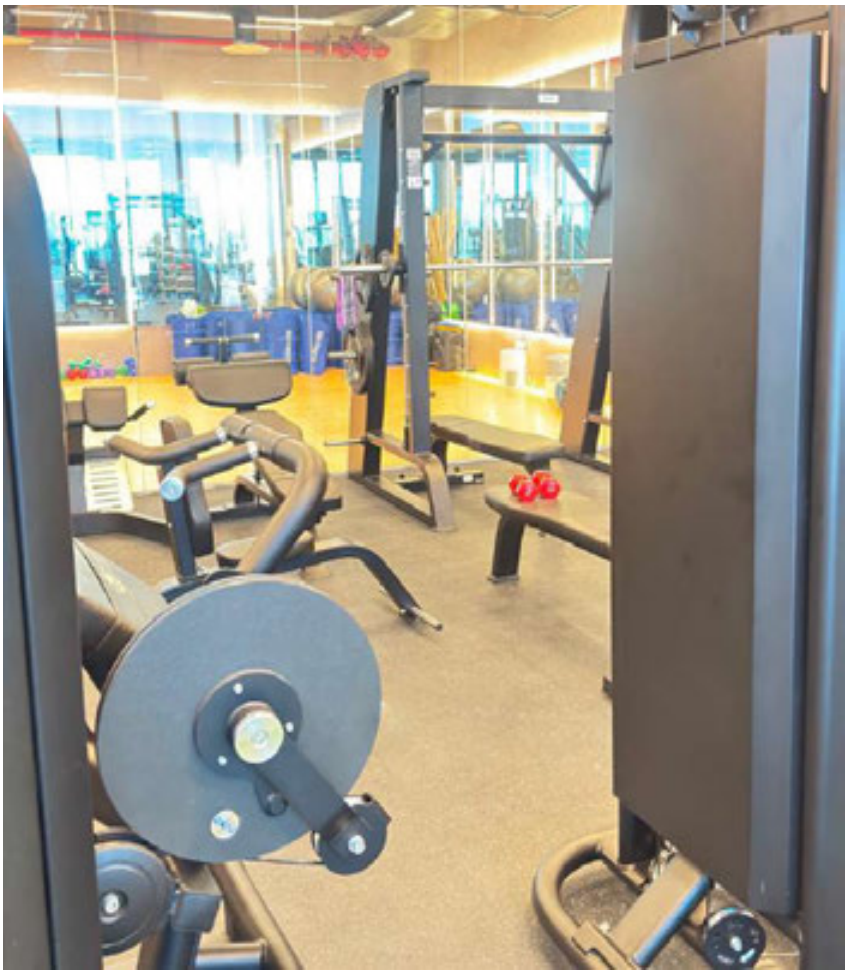

لمست بنفسها تحسنا في صحتها، وزيادة في ثقتها بنفسها، وشعورا أكبر بالرضا عن ذاتها.

وترى أن الرياضة لم تعد بالنسبة لها وسيلة لتحسين المظهر فقط، وإنما أصبحت ضرورة للحفاظ على الصحة، وتحقيق التوازن النفسي، والقدرة على مواجهة ضغوط الحياة اليومية.

دور وسائل التواصل

وتقدم المهندسة الطبية سارة بنت عادل تجربة أخرى، إذ توضح أن الدافع الأول لانضمامها إلى النادي الرياضي كان الرغبة في خسارة الوزن واستثمار وقت الفراغ بطريقة مفيدة، وأن قرار الاشتراك جاء عن قناعة شخصية، وأن النتائج التي حققتها انعكست بصورة إيجابية على حياتها، سواء من خلال تحسين حالتها النفسية أو تحقيق هدفها في إنقاص الوزن، كما أن التكاسل كان أكبر تحد واجهها في البداية، إلا أنها استطاعت تجاوزه تدريجيا مع الانتظام في التمارين ومتابعة النتائج، كما أن وسائل التواصل الاجتماعي لعبت دورا مهما في تشجيعها، حيث كانت تتابع البرامج التدريبية المناسبة، وتستفيد من تجارب النساء الأخريات، وهو ما منحها دافعا إضافيا للاستمرار.

وترى أن الإقبال المتزايد على الأندية النسائية يعكس ارتفاع مستوى الوعي الصحي بين الشابات، وأن الرياضة أصبحت تمنح الإنسان شعورا دائما بالإنجاز والاستمتاع، إلى جانب آثارها الصحية والنفسية الإيجابية.

النادي لم يعد موضة

أما الأستاذة ليلى الهلال فتؤكد أن قرارها بالاشتراك في النادي الرياضي جاء نتيجة قناعة شخصية ورغبة حقيقية في تحسين اللياقة البدنية والوصول إلى وزن صحي ومتوازن، وأن الانتظام في ممارسة الرياضة انعكس بصورة مباشرة على حياتها اليومية، إذ شعرت بزيادة نشاطها وتحسن صحتها العامة، وهو ما شجعها على الاستمرار رغم ضغوط العمل وكثرة الالتزامات، وأن إيجاد الوقت يبقى التحدي الأكبر أمام كثير من النساء، إلا أن النتائج التي تحققها الرياضة تجعل الاستمرار يستحق هذا الجهد.

وترفض وصف الاشتراك في الأندية الرياضية بأنه مجرد موضة، مؤكدة أن هذه النظرة لم تعد تعكس الواقع، لأن الرياضة أصبحت ضرورة للحفاظ على الصحة الجسدية والنفسية، وأحد أهم عناصر أسلوب الحياة المتوازن.

وتكشف الآراء التي رصدها التحقيق عن وجود قواسم مشتركة بين مختلف المصادر، أبرزها أن الدافع الصحي أصبح يتقدم تدريجيا على الدوافع المرتبطة بالمظهر الخارجي، وأن القناعة الشخصية تمثل العامل الأكثر تأثيرا في الاستمرار، بينما يبقى تأثير وسائل التواصل الاجتماعي حاضرا بوصفه عنصرا محفزا، لكنه ليس كافيا وحده لضمان الالتزام طويل المدى.

كما تؤكد التجارب أن البيئة الداعمة داخل النادي، وجودة الخدمات، واحترافية المدربات، والمتابعة المستمرة، تمثل عوامل أساسية في تحويل الاشتراك من تجربة مؤقتة إلى ممارسة مستدامة، وهو ما ينعكس بصورة إيجابية على الصحة العامة وجودة الحياة.

التحديات قادمة

وفي المقابل، لا تزال بعض التحديات قائمة، أبرزها ضيق الوقت، وضغوط الحياة اليومية، والحاجة إلى ترسيخ الثقافة الرياضية منذ المراحل العمرية المبكرة، بما يجعل النشاط البدني جزءًا طبيعيًا من الحياة، وليس قرارًا مؤقتًا يرتبط بموسم أو مناسبة.

وتشير المؤشرات التي رصدها هذا التحقيق إلى أن النوادي الرياضية النسائية تجاوزت دورها التقليدي كمكان لممارسة التمارين، لتصبح شريكا في تعزيز الصحة المجتمعية، ونشر ثقافة الوقاية، وتشجيع المرأة على تبني أسلوب حياة أكثر توازنا، ومع استمرار توسع القطاع الرياضي، يبدو أن النجاح الحقيقي لن يقاس بعدد الاشتراكات وحده، بل بمدى قدرة هذه الأندية على تحويل الإقبال المتزايد إلى التزام دائم، يرسخ ثقافة الرياضة باعتبارها ضرورة صحية وأحد أهم مقومات جودة الحياة، ويعزز بناء مجتمع أكثر صحة وحيوية في السنوات المقبلة.

لـلناقد «خالد ربيع السيد»..

كتاب جديد عن «سينما الاستنساخ المصرية».

اليمامة - خاص

صدر مؤخرا عن دار رشم للتوزيع والنشر كتابا للناقد خالد ربيع السيد بعنوان "سينما الاستنساخ المصرية"، ويقع الكتاب فيما يزيد عن 400 صفحة من القطع الكبير.

يناقش فيه الكاتب آليه نسخ الافلام الاجنبية وتحويلها الى مصرية. في حين يفرد فصلا عن السينما المصرية الاصيلة الرصينة.

ويقول المؤلف في مقدمة الكتاب "ينبغي أن اشير في البداية الى ان انجازي لهذا البحث والكتابة على مدى ست سنوات، انما كان بدافع تعرف الافلام المصرية والاستمتاع بها، وتحريض القارئ على مشاهدتها، ومقارنتها بالأفلام الاجنبية التي استنسخت منها، ولم يكن القصد الانتقاص من شأن السينما المصرية عموما.

والكتاب يحوي دعوة مبطنة الى التوقف عن هذا السلوك الانتاجي الذي درجت عليه السينما المصرية منذ بداياتها في ثلاثينيات القرن الماضي.

الكتاب يضم قوائم وتحليلات وبوسترات عن الافلام المصرية المنقولة من السينمات الاخرى. ولم يغفل فرد فصول عن السينما المصرية الاصيلة التي انتجت بدماء وروح مصرية خالصة. كتاب مدهش في مفاجآته عن افلام كان المشاهد العربي يعتقد انها أصيلة.

سينما

ظلال رمادية..

قراءة نقدية في التجربة السينمائية المستقلة.

سعد أحمد ضيف الله
@Saadblog

تتواصل الحكاية السينمائية السعودية في شق طريقها نحو النضج الفني والتعبير البصري وتُمثّل التجارب المستقلة هنا رافداً هاماً من روافد هذا الحراك، لاسيما عندما تخوض في مناطق نفسية ودراسة إنسانية بعيداً عن صخب الإنتاجات الضخمة. في هذا السياق يبرز فيلم "رمادي" عمل درامي يحمل في طياته ملامح التجربة الأولى الجادة، مسلطاً الضوء على عوالم خفية تعج بالصراعات الداخلية والأسئلة الأخلاقية المؤلمة.

خاض المخرج فواز قادري تجربة لافتة في هذا العمل متصدياً للتأليف والإخراج معاً. وقدّم قادري رؤية إخراجية تحاول استنطاق المكان والتعبير عن دواخل الشخصيات عبر لغة بصرية متأنية، ولعلّ أبرز ما يُميز الجانب الإخراجي في الفيلم هو الاستخدام المتقن للزوايا المختلفة، وتحديداً الزوايا العلوية. هذه الخيارات البصرية وُظّفت بعناية لتعكس حالة العزلة، وشعور الشخصيات بالضآلة والتيه وسط متاهة الحياة والذنب. الكاميرا العلوية كانت بمثابة عين راصدة تضع البطل تحت مجهر القسوة والرقابة النفسية، وأضافت عمقاً بصرياً يحسب للمخرج في إدارته لأدواته، مستثمراً الإمكانات المتاحة لإيجاد مناخات مشحونة بالتوتر والترقب.

تستند حبكة الفيلم إلى فكرة تمتاز بالبساطة في ظاهرها، لكنها محملة بثقل نفسي هائل في جوهرها؛ إذ تستوحى الأحداث جزئياً من حادثة واقعية. تدور القصة حول "عبدالله"، الشاب الذي تنقلب حياته رأساً على عقب حين يرتكب خطأً غير مقصود أثناء القيادة يؤدي إلى دهس فتى ووفاته. هذه البساطة في طرح الفكرة مكنت الفيلم من الاقتراب أكثر من المشاهد متجنباً التعقيد المفتعل. فالصراع لا يدور حول مؤامرات معقدة، انه يدور حول ذلك الضمير اليقظ الذي يرفض النوم، وحول "المنطقة الرمادية" التي يجد الإنسان نفسه عالقاً فيها؛ حيث لا بياض الأيام الأولى ولا سواد الجريمة الكامل، إنما عذاب البرزخ النفسي بينهما. وتتضاعف أزمة عبدالله حين يتورط في محيط عمله في أزمة اختفاء أموال واتهام صديقه المقرب لتتداعى فوق راسه جدران الماضي والحاضر معاً وتتأثر بذلك علاقته بزوجته "فرح" وابنتهما.

اعتمد الفيلم على توليفة تمثيلية تناسبت مع الطبيعة الدرامية والنفسية للقصة، وقاد البطولة الممثل سالم عبدالله في دور "عبدالله"، محاولاً تجسيد حالة الانكسار الداخلي والشتات الذهني والتخبط بين الخوف والشعور بالذنب. وقد ظهرت آلام الشخصية وملامح تورطها في تفاصيل الأداء الهادئ أحياناً والمشحون أحياناً أخرى. وشاركت في بطولة الفيلم الممثلة داريـن البايض في دور "فرح" زوجة البطل، إلى جانب حضور لافت لكل من ياسر الحربي، وخالد يسلم، والطفلة سدرة خالد. وقد نجح طاقم التمثيل في عكس الأثر الذي تتركه الأزمات على العلاقات الأسرية والاجتماعية، محاولين نقل ثقل المأساة إلى المشاهد بصدق وموضوعية، وإن تفاوتت درجات التمكن الأدائي بحكم تفاوت الخبرات في هكذا تجارب.

استغرقت رحلة إنتاج الفيلم نحو ثلاث سنوات من العمل المستمر حتى أبصر النور. وتولى إنتاج العمل كل من استوديو "مظلة ستوديو" بالشراكة مع استوديو "فريز"، وبإشراف إنتاجي شارك فيه حاتم الخنبشي وياسر الحربي، في حين تولت شركة "سينيويفز" مهام التوزيع. هذا النفس الطويل في الإنتاج يعكس طبيعة السينما المستقلة وصعوباتها، حيث يُصارع صناع العمل لإنهاء مشاريعهم بإمكانات محدودة نسبياً، متجاوزين العقبات ليصلوا بالعمل إلى شاشات المنصات الرقمية التي باتت ملاذاً حيوياً وعادلاً لعرض هذه النوعية من الأفلام خارج أسوار دور السينما التقليدية.

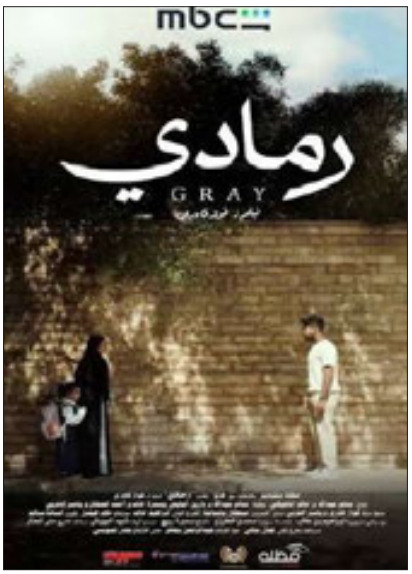

يمكن النظر إلى فيلم "رمادي 2026" بموضوعية بوصفه عملاً لا بأس به كمحاولة أولى في مسار صانعه. الفيلم ليس كاملاً، وقد يعتريه بعض النقص على مستوى إيقاع السرد أو حبك بعض الخطوط الجانبية للقصة، إلا أن الشجاعة في الطرح، والجرأة في الغوص في الأعماق النفسية للإنسان، والإخراج المتقن لبعض المشاهد والزوايا البصرية، تجعل منه تجربة تستحق الاحترام والتقدير. إن أعمالاً كـ "رمادي" تُمثل لبنات أساسية في بناء صرح السينما المحلية المستقلة؛ فهي تختبر الحدود، وتطرح الأسئلة الصعبة، وتمنح صناعها مساحة للتجربة والتطور، ممهدة الطريق أمام أعمال قادمة أكثر نضجاً وعمقاً في المشهد السينمائي السعودي المتسارع.

ومضات سينمائية

عهود عريشي
@Ohood8099

فيلم Blue Jasmine
هوية على حافة الانهيار.

في معظم أفلام (وودي آلن) إن لم يكن كلها، يحضر سؤال الهوية بوصفه هاجسًا أساسيًا؛ كيف يمكن للهوية أن تتبدل أو تنسلخ باختلاف الزمن أو المكان أو الظرف؟ وكيف يمكن لذلك أن يحول الإنسان إلى كائن يمشي على قدميه، لكنه فقد المعنى.

قدّمت (كيت بلانشيت) هذا السؤال ببراعة استثنائية في فيلم (Blue Jasmine)، وهو الأداء الذي استحقت عنه جائزة الأوسكار. جسّدت شخصية امرأة تبدو مثالية من الخارج، لكنها تنهار من الداخل شيئًا فشيئًا؛ امرأة سمحت لمجتمع المال والوجاهة بأن يصنع صورتها ويشكّل ذاتها الهشة. ولم تكن مأساة جاسمين أنها فقدت ثروتها، بل أنها فقدت اللغة التي كانت تعرّف بها نفسها. فهناك من لا يبني هويته على ما هو عليه، بل على ما يملكه، وعلى الصورة التي يعكسها الآخرون عنه، وحين ينهار هذا البناء لا يسقط المال وحده، بل تتشقق الذات أيضًا.

قدّم (وودي آلن) شخصية تبدو في ظاهرها متعالية، كثيرة الشكوى، وأسيرة للمظاهر، لكنه يكشف تدريجيًا أن السطحية ليست جوهرها، بل القناع الذي احتمت به طويلًا، و كانت جاسمين تؤمن أن الأناقة والمكانة والرفاهية قادرة على إخفاء هشاشتها، حتى جاء الواقع ليجردها من كل ما كانت تتكئ عليه، وجعلتنا (كيت بلانشيت) نشاهد امرأة يتداعى عالمها الداخلي بصمت، من دون افتعال أو مبالغة، كانت نظرة واحدة منها كافية لتخبرنا أن الإنسان قد يخسر كل شيء قبل أن يدرك أنه خسر نفسه.

وهنا يجد المشاهد نفسه في حيرة أمام البطلة؛ هل هي بطلة أم ضحية؟ وأجمل ما فعله (وودي آلن) أنه رفض أن يجعل جاسمين شخصية يسهل التعاطف معها فهي رغم كونها ضحية لخيانة زوجها هي شريكة في صناعة الوهم و كانت تعرف أن حياة زوجها قائمة على المال المشبوه، لكنها فضّلت الرفاهية على الحقيقة لذلك، عندما انهار كل شيء، لم تخسر زوجًا فقط، بل خسرت النسخة التي كانت تؤمن بأنها هي.

تمثل جاسمين طبقة تعتقد أن الذوق والمكانة الاجتماعية هما ما يصنعان الإنسان، ولذلك لم تستطع التأقلم مع وظيفة عادية، ولا مع شقة متواضعة، ولا مع بشر يشبهون الواقع، وحتى عندما تبدأ حياة جديدة مع الدبلوماسي، تعود مرة أخرى إلى اختراع نسخة أجمل من نفسها، وكأن الكذب لم يعد وسيلة، بل أصبح هويتها.

أعجبني أن الفيلم لم يقدّم الانهيار

النفسي بوصفه حدثًا مفاجئًا، بل كعملية بطيئة يتداخل فيها الماضي بالحاضر، حتى أصبحت جاسمين عاجزة عن التمييز بين ما عاشته فعلًا وما كانت تتمنى أنها ما تزال تعيشه، أما مشاهد (الفلاش باك) فلم تكن مجرد استرجاع للذكريات، بل ملاذًا نفسيًا يرفض صاحبه مغادرته مهما كان مؤلمًا، ولهذا يبقى (Blue Jasmine) فيلمًا عن الهوية أكثر من كونه فيلمًا عن الثراء أو الفقر، وكأنه تشريح دقيق لمجتمع يخسر ذاته قبل أن يخسر أمواله، بل ويجعلنا نفكر في سؤال بالغ الخطورة وهو: من أنا إذا لم أعد أملك ما كنت أظنه أنا؟ يقول (سورين كيركغور): «أشد أشكال اليأس هو أن لا يريد الإنسان أن يكون نفسه» لا يمكنني أن أخرج من الفيلم دون أن أتذكر شخصية الهانم التي قدمتها العظيمة (سهير البابلي) في مسلسل بكيزة وزغلول، شخصية (بكيزة) التي فقدت المكانة الاجتماعية والثروة لتسقط في ذات الفخ وتعيش أزمة هوية أكثر من كونها أزمة إفلاس، وكما أسلفت، يكرر (وودي آلن) في أفلامه سؤالًا واحدًا بصيغ مختلفة: ماذا يحدث عندما ينهار الوهم الذي نعيش داخله؟ في (Blue Jasmine) يكون الوهم هو الثراء والمكانة، وفي أفلام أخرى يكون الحب، أو النجاح، أو الأخلاق، وأعتقد أن هذا هو سر شخصية جاسمين؛ فهي تشعرك في لحظة بأنها قادرة على التحول إلى امرأة مكافحة، وأن في داخلها امرأة ليست سطحية كما تبدو، لكن المجتمع يدفعها تدريجيًا نحو الحافة، حين يعاملها وفق صورتها الخارجية وحدها، وحتى عندما تحاول النهوض من جديد وتختلق كذبة أخرى، يلاحقها الماضي ويقضي على ما تبقى منها، لتسقط المرأة التي بدت مثالية يومًا، وتغدو سيدة تثرثر للمارة في الطريق عن ماضيها، لا بد أن كل واحد منا يعرف شخصًا يشبه جاسمين بدرجة ما؛ إنسانًا ربط قيمته بالصورة التي صنعها لنفسه، وحين تصدعت تلك الصورة، لم يعرف كيف يعيش خارجها، بل يمكن الذهاب إلى قراءة أعمق؛ فجاسمين ليست مجرد امرأة ثرية، بل هي الإنسان عندما تتحول هويته إلى أداء اجتماعي مستمر، وعندها يصبح سقوط القناع أخطر من سقوط الثروة نفسها. وهذه الفكرة هي ما يجعل الفيلم صالحًا للمشاهدة بعد سنوات، لأن الأزمة ليست أزمة طبقة، بل أزمة هوية.

أما فنيًا، فلم يعتمد (وودي آلن) هنا على الإبهار، بل على السينما الهادئة، كما يتجنب المبالغة في تصوير الانهيار النفسي؛ فلا موسيقى صاخبة، ولا زوايا كاميرا استعراضية وبدلًا من ذلك، يترك الكاميرا تراقب جاسمين وهي تتداعى تدريجيًا وكلما ازداد اضطرابها، بقي الإخراج هادئًا، وكأن العالم لا يأبه بانهيارها، وهو ما يجعل المشاهد يشعر بالاختناق أكثر.

نهاية الفيلم تترك في النفس شفقة عميقة تجاه امرأة فشلت في النهوض والعودة إلى الحياة التي كانت تعرفها، لتصبح واحدة من أكثر النهايات كآبة في سينما (وودي آلن)؛ بلا صرخة، ولا دموع، فقط هي امرأة تجلس و تحدث نفسها بعدما فقدت قدرتها على التمييز بين الواقع وما تتمنى أن يكون واقعًا، نهاية غريبة نرى فيها أن الإنسان قد ينجو من الفقر، لكنه لا ينجو دائمًا من انهيار المعنى، فكم من ذواتنا اليوم قائمة على صور قابلة للكسر؟ إن ما يطرحه الفيلم في جوهره ليس حكاية امرأة فقدت ثروتها إنما هي حكاية إنسان يكتشف متأخرًا أن هويته كانت مُستعارة! مما تركني أمام تساؤل يتكرر في ذهني حول من نكون حقًا في مجتمع يُكافئ الأقنعة أكثر مما يكشف الوجوه؟ وهل نمتلك ذاتًا أصيل أم نحن مجرد انعكاس لما يراه الآخرون فينا؟

المرسم

حوار مع الفنانة التشكيلية نورة الخالدي..

أرسم ذاكرة الجبيل لتبقى حاضرة في وجدان الأجيال.

حوار ـ أحمد الغـر

تطل الفنانة التشكيلية نورة الخالدي كحارسة أمينة لذاكرة المكان، حيث تطوع ريشتها لتوثيق تاريخ الجبيل البحري وتفاصيل الحياة الاجتماعية القديمة ببراعة تتجاوز رصد المشهد إلى استنطاق الروح. وقد برزت الخالدي كقوة فاعلة في المشهد الفني من خلال مشاركتها في العديد من المعارض، وهي عضوة في جمعية جسفت وجمعية نون الفنون، ونادي سعودي آرت للفنون البصرية. في هذا الحوار، نغوص في أعماق تجربتها التي تزاوج بين الأمانة التوثيقية والشفافية الجمالية، لنستكشف كيف تصيغ الفنانة السعودية خطابها البصري في مواجهة أسئلة الحاضر وتطلعات المستقبل.

* كيف تشكلت ملامح ذاكرتك البصرية الأولى في مدينة الجبيل، وكيف استطاعت تفاصيل تلك البيئة الساحلية أن تفرض سطوتها على ريشتك في بدايات التكوين؟

** حبي للفن بدأ منذ الصغر، وكانت الجبيل بساحلها وصحرائها وتراثها مصدر إلهامي الأول، لذلك حرصت على أن تعكس لوحاتي هذا المكان الذي نشأت فيه، وأن أوثق تفاصيله كما عشتها.

* برز في لوحاتك اهتمامٌ دقيق بالتراث البحري من خلال تجسيد سفن "السنبوك" و"الجلبوت"؛ كيف تعيدين صياغة هذه الرموز التقليدية لتعبر عن مفهوم "فخر الماضي" في سياق فني معاصر؟

** علاقتي بالبحر امتداد لما ورثته من أهلي وأجدادي، فوالدي كان يعمل في البحر مثل كثير من أبناء المنطقة الشرقية. أرسم الجلبوت والبانوش وغيرها من الموروثات حتى يتعرف الجيل الجديد على حياة الآباء والأجداد وتراثهم.

* تناولتِ في لوحاتك واقع المرأة قديماً ومظاهر التعليم في الماضي؛ فما هي الرسالة الجمالية التي تسعين لإيصالها من خلال تسليط الضوء على هذه الأدوار المجتمعية والتاريخية؟

** المرأة قديمًا كان لها دور كبير في المجتمع، لذلك أحببت أن أوثق أزياءها التراثية وزينتها وطريقة حياتها، لأنها جزء مهم من هويتنا. كما رسمت الكتاتيب لأستحضر ذاكرة التعليم القديم، وأحكي للأجيال الجديدة كيف كانت بداية رحلة التعلم في الماضي، حتى تبقى هذه التفاصيل الجميلة حاضرة في الذاكرة.

* ما هي الفلسفة الفنية التي تنطلقين منها عند الرسم المباشر أمام الجمهور، وكيف يؤثر هذا التفاعل الحي على طاقة اللون والخط في لوحاتك؟

** أحب الرسم أمام الجمهور لأنه يخلق تواصلًا مباشرًا مع الناس، وأشعر بسعادتهم وهم يتابعون مراحل ولادة اللوحة. هذا التفاعل يمنحني حماسًا وثقة أكبر، ويجعلني أرسم بعفوية، فتخرج الألوان والخطوط أكثر حيوية وتعبر بصدق عما أريد تقديمه.

* إلى أي مدى تساهم الملتقيات الفنية النسائية في الكشف عن المواهب وتطويرها، وما الذي يحتاجه الفن التشكيلي في المناطق المختلفة ليتحول إلى ثقافة مجتمعية عامة؟

** شاركت في تنظيم عدد من المعارض

والملتقيات بين عامي ٢٠٢٣ و٢٠٢٥ عندما كُلفت بإدارة نادي سعودي آرت في المنطقة الشرقية. وأسهمنا في تنظيم فعاليات لليوم الوطني ويوم التأسيس، إضافة إلى مبادرات مجتمعية، وأرى أن مثل هذه الملتقيات تفتح المجال لاكتشاف المواهب وتشجع الفنانين على التطور.

* في ظل التحولات الكبرى التي تشهدها المملكة، كيف تخدم لوحاتك التي توثق "الجبيل القديمة" بناء جسور التواصل بين الأجيال الشابة وبين هويتهم التاريخية؟

** هدفي أن يرى الشباب في لوحاتي جانبًا من تاريخ الجبيل كما كان في الماضي، وأن يتعرفوا على حياة الآباء والأجداد وعاداتهم ومهنهم وتفاصيل يومهم. عندما

يشاهد الجيل الجديد هذه الأعمال، أشعر أنني أسهم في ربطه بتراثه، وتعزيز اعتزازه بهويته، لأن اللوحة تستطيع أن تحفظ الذاكرة وتنقلها من جيل إلى جيل.

* انطلاقاً من رؤية المملكة ٢٠٣٠، كيف تقرئين مستقبل الفن التشكيلي السعودي كأداة للدبلوماسية الثقافية، وما هو الدور المنوط بالفنانة السعودية في تمثيل هذه النهضة عالمياً؟

** الفن التشكيلي السعودي يشهد تطورًا كبيرًا، ورؤية المملكة ٢٠٣٠ فتحت أمام الفنانين فرصًا واسعة. وأتمنى أن أقدم من خلال أعمالي صورة جميلة عن تراث المملكة وثقافتها في المحافل المحلية والعالمية.

قلباً لقلب

أشجان محمد
سعيد الأحمدي

حين يكتب الزيتون سيرة أبي ..

هناك رجالٌ لا يتحدثون كثيرًا، لكن الأرض تحفظ أسماءهم، وتعرف وقع خطواتهم، وتبادلهم الوفاء عامًا بعد عام وأبي واحـدٌ من هؤلاء.

منذ عرفته، لم تكن الزراعة عنده مهنة، بل كانت حياة. كان يرى في كل شجرة روحًا تستحق العناية، وفي كل غرسة أملًا، وفي كل موسم وعدًا جديدًا من اللّه. كان يخرج إلى أرضه قبل أن تستيقظ الشمس، يعود إليها وكأنه يعود إلى جزءٍ من قلبه، يحدّث أشجاره بصمته، ويقرأ في أوراقها بشائر المواسم، ويؤمن أن الأرض لا تخذل من أحبها وأخلص لها أراه يتأمل الأشجار، يلمس الأغصان برفق، ويتابع نموها كما يتابع الأب أبناءه وهم يكبرون عامًا بعد عام يتأمل بمحبة دهشة خطواتهم صوت ضحكاتهم وكل عمر يمتد لتكبر معه المحبة عاما وراء عام.

كبرت وأنـا أرى هـذا المشهد يتكرر؛ رجـلٌ يحمل فـي قلبه حبًا عجيبًا للأرض، الأرض التي امتدت فيها جذور محبته ليصبح هو وهي وطن أخضر يشبه في تفاصيله والدي وحده

والدي الذي طالما آمن أن في كل هذه الصحراء الجبال حكاية ربيع يحتاج فقط قلبا صادقا

محبا كوالدي ليعطيه من وقته عمره وإيمانه ويقينه ليزهر لتتحول حكاية الصحراء لربيع لايشبه في تفاصيله سوى لون العلم أخضر يمتد بهجة وسلام ومحبة.

وفي جبال الفقرة القريبة من المدينة المنورة ، هناك حيث تمتد أشجار الزيتون التي غرسها ورعاها بيديه،

ومع مرور السنوات، صار الزيتون أكثر من شجر؛ صار قصة صبر، وحكاية وفاء بين مـزارعٍ أحب أرضــه وأرضٍ بـادلـت الحب بالعطاء.

ثم جاء ذلك اليوم ، اليوم الذي حمل خبر فـوز والـدي الغالي بالمركز الـثـانـي ومداليتين فضيتين في الجودة والاستشفاء في منافسة دولية لزيت الزيتون في لندن.

حين سمعت الخبر، لم أفكر في الجائزة أولًا، بل عادت إلى ذاكـرتـي كـل تلك الصباحات التي خرج فيها إلى أرضه، وكل المواسم التي انتظر فيها الثمرة، وكل الدعوات التي كان يرددها

وهو يعمل بصمت. شعرت أن العالم أخيرًا رأى ما كنا نراه نحن منذ سنوات؛ رأى قيمة هذا الجهد، وصدق هذا الإخلاص.

لم تكن الميدالية الفضية مجرد تكريمٍ لمنتجٍ زراعي، بل كانت تكريمًا لقصة كاملة، لرجلٍ آمن بالأرض فأعطاها عمره، وآمن باللّه فكان يقينه أكبر من كل تحدٍ واجهه.

وكان الأجمل أن هذا الإنجاز لم يحمل اسم أبي وحده، بل حمل اسم وطننا أيضًا ففي كل جائزة دولية يحققها أبناء المملكة رسالةٌ للعالم بأن هذه الأرض المباركة لا تُنبت الزيتون فقط، بل تُنبت رجالًا يعرفون معنى العمل والإتقان والصبر.

الـيـوم، وأنـا أنـظـر إلـى هذه الميدالية، أراها أكبر من معدنٍ يلمع أراها سنواتٍ من الكفاح اختُصرت في لحظة، وأرى فيها وجـه أبـي المطمئن، ويديه اللتين حملتا التراب بمحبة، وأرى وطنًا نفخر بأن أبناءه يرفعون اسمه عاليًا في المحافل الدولية.

هنيئًا لك يا أبي هنيئا لنا ونحن نرى قصة محبتك هذه وعطائك.

هنيئًا لـلأرض الـتـي أحببتها فأحبتك، وهنيئًا للزيتون الذي حمل قصتك إلى العالم، وهنيئًا للوطن برجالٍ مثلك يؤمنون أن أعظم الإنجازات تبدأ ببذرة، ثم تكبر بالصبر، حتى تصبح فخرًا يروى للأجيال.

"وطني وما ينفكُّ قلبيَ عاملاً
في حقلِ حبِّكَ يحفرُ الآبارا
لترنّ أجراسُ السنابل مرّةً
أخرى،ونقطفَ لحنَها أشعارا"

جاسم الصحيح

مقال

سليمان الفايز

فلسفة التوجّس..

لماذا نتحيز للأسوأ ؟

العقل يستوحش الطمأنينة، يبحث في الطريق المستقيم عن حفرة مستترة، وفي الخبر السعيد عن تفاصيل صغيرة قادرة على نسفه و إفساده ، نتهيأ للخيبة لحظة اكتمال الأشياء؛ حتى في لحظات الصمت يسرح العقل وينسج حوادث ومآلات تصب في معظمها نحو الأسوأ .

هذا الميل إلى استحضار الاحتمال الأسوأ ضارب في عمق التكوين الإنساني. فالعقل يمنح الخطر وزناً أكبر، ويلتقط الإشارة المقلقة بسرعة تفوق استجابته للإشارة المطمئنة. ويصف علم النفس جانباً من هذه النزعة بمفهوم التحيز السلبي.

في الأزمنة الأولى، كانت النجاة تعتمد أحياناً على تفسير صوت غامض بين الأعشاب. قد يكون الصوت نسمة عابرة، وقد يكون حيواناً مفترساً يقترب.

من اطمأن إلى النسيم حين كان الحيوان المفترس حاضراً دفع حياته ثمناً باهظاً. ومن هرب ثم اكتشف أن الريح هي التي حركت الأعشاب، خسر لحظة من الراحة واحتفظ بحياته.

ومع تكرار هذه التجارب، اكتسب العقل حساسية عالية تجاه التهديد. كانت السرعة أثمن من الدقة، وكانت المبالغة في تقدير الخطر أكثر أماناً من تجاهله.

ومع ذلك، قامت مسيرة الإنسان على قوى أخرى أيضاً. حمله الفضول إلى المجهول، وجمعته الثقة بغيره، ودفعه الأمل إلى الزراعة والإبحار والاكتشاف. صنع الحذر جانباً من بقائه، وصنعت الجرأة جانباً من حضارته.

لهذا يمنح العقل الخطر أولوية حين ترتفع كلفة الخطأ، ويعود إلى الطمأنينة حين يشعر بأن الأرض مستقرة من تحته.

في الاستجابة للخطر، تلتقط الإشارات الانفعالية والتهديدات المحتملة. فيستجيب الجسد قبل أن يكتمل فهم العقل: يتسارع النبض، ويتوتر الإنسان، وينجذب الانتباه إلى مصدر القلق.

تملك التجارب السلبية قدرة عالية على الاستيلاء على الوعي. كلمة جارحة واحدة قد تطغى على عشر كلمات جميلة، وخسارة صغيرة قد تعكر سلسلة من النجاحات، وخبر مقلق قد يحتل الذاكرة بعد يوم كامل مرّ بسلام.

أما اللحظات المطمئنة فتحتاج في أحيان كثيرة إلى انتباه يسمح لها بالاستقرار. الحب والانتماء والنجاة تترك آثاراً عميقة، غير أن الإنسان قد يمر بها مسرعاً، بينما يتوقف طويلاً عند ما يؤلمه.

الخطر يطرق الباب بعنف، والطمأنينة تدخل بهدوء؛ لذلك ننتبه إلى الأول ونعتاد حضور الثانية.

يحاول الإنسان أحياناً أن يسبق الخيبة بخياله. يتوقع الفشل، ويخفض سقف الأمل، ويهيئ نفسه للانكسار، كأنه يريد تخفيف وقع الصدمة من خلال تصورها مسبقاً.

ويُعرف هذا السلوك أحياناً بـ التشاؤم الدفاعي. الذي يدفع صاحبه إلى الاستعداد الجيد، ومراجعة الأخطاء، ووضع البدائل، والاحتياط للمفاجآت. وتظهر المشكلة حين يتحول الاستعداد إلى إقامة دائمة داخل الاحتمال الأسوأ.

هناك من يتوقع العقبة فيبحث عن طريق لتجاوزها، وهناك من يتخيلها حتى يفقد الرغبة في السير.

التشاؤم الذي يقود إلى خطة يؤدي وظيفة نافعة، أما التشاؤم الذي يدور داخل نفسه فيستنزف صاحبه ويعطل قدرته على الفعل.

وكثيراً ما يكون توقع الأسوأ محاولة للسيطرة على مستقبل غامض. فالمجهول يربك الإنسان، والخيال يمنحه شكلاً وحدوداً، حتى لو جاء هذا الشكل قاتماً.

يبدو السيناريو السيئ المحدد أحياناً أهون على النفس من مساحة مفتوحة لا تعرف ما الذي تخبئه.

يبدأ الاستنزاف عندما تتحول تحذيرات العقل إلى أحكام نهائية.

يقول العقل: ربما تفشل.

فتستقبل النفس العبارة وكأن الفشل قد وقع.

ويلوح احتمال الخسارة، فتتحول صورته في الخيال إلى مستقبل محسوم.

ثم تلتقط النفس إشارة ناقصة، وتبني حولها قصة كاملة، وتعيش تفاصيلها قبل أن يمنحها الواقع أي دليل.

هنا يتحول حارس البقاء القديم إلى سجّان.

يستهلك الحاضر في حراسة مستقبل مجهول، ويجعل الإنسان يتألم من الحدث قبل وقوعه، ثم يعيد الألم إذا وقع بالفعل.

وكثير من العواصف التي يسهر العقل استعداداً لها تمر بعيداً. ومع ذلك تخلّف انتظارها توتراً وتردداً وانسحاباً، وتفسد علاقات، وتغلق أبواباً، وتبدد فرصاً كان يمكن أن تنمو في مساحة من الثقة.

الخوف يحمل أحياناً إشارة صحيحة، لكنه لا يملك معرفة المستقبل.

وجد التحيز السلبي في العالم الحديث بيئة تعرف

كيف تستثمره. الخبر المقلق يجذب الانتباه، والعنوان المخيف ينتشر بسرعة، والإشـــعار العاجل يجعل العالم يبدو في حالة انهيار متواصل.

تعرف المنصات مواضع القلق في النفس، وتوقظها باستمرار. العقل الذي كان يتوجس من حركة في الأعشاب، أصبح يتلقى مئات الإشارات يومياً: أزمة، وتحذير، وفضيحة، وانهيار، وخطر قريب. ومـــع كثرة التعرض، قد يفقد الإنســـان القدرة على التمييز بين خطر يمســـه فعلاً، وضجيـــج صُمم فقط لانتزاع انتباهه. وهنا يبرز ســـؤال يتجاوز الطبيعة النفسية: من الذي يستفيد من إبقاء الإنسان في حالة توجس دائم؟

الخـــوف يجذب المتابعيـــن، ويؤثر في الاختيـــارات، ويوجه السلوك، ويمهد الطريق لبيع الحلول. وكلما ارتفع القلق، ازداد استعداد الإنسان للبحث عن من يعده بالأمان.

فالخوف لا يحرس الإنســـان فقط؛ أحياناً يُســـتخدم لقيادته، وتوجيه اختياراته، والتحكم في سلوكه، وبيع الحلول له.وهكذا أصبح الحارس القديم يعمل داخل ســـوق حديثة تعرف قيمة الخوف وثمنه.

يحتاج الخوف إلى إنصات واعٍ. بعض المخاوف تحمل رســـائل جديـــرة بالانتباه، وبعضها يأتي من خبرة التقطت إشـــارات دقيقة، وبعضها الآخر صدى لتجربة سابقة ما زالت تعيد إنتاج نفسها.

ويبدأ النضج حين نتعامـــل مع الخوف بوصفه معلومة تحتاج إلى فحص.

نســـأل:ما الدليل الذي يقوم عليه هذا التوقع؟ ما الذي أعرفه فعلاً؟ ما الجزء الذي أضافه الخيـــال؟ هل يدفعني الخوف إلى الاســـتعداد؟ هل يعطلني ويمنعني مـــن الحركة؟ هل الخطر قريب وواقعـــي؟ هل أعيش احتمالاً بعيـــداً كما لو أنه حدث مكتمل؟ هل يتحدث فـــي داخلي صوت الخبرة، أم صدى جرح قديم؟

العقل معني بحمايتنا وفق ما ورثه وتعلمه وخبره، ولهذا قد يرفع مستوى الإنذار أمام إشارات عابرة. يشبه في ذلك جهازاً شديد الحساسية يطلق صوته بســـبب بخار خفيف، ثم يترك لصاحبه مهمة التحقق.

وتبقى الحكمة في معرفة متى نصغي، ومتى نفحص، ومتى نعيد تقدير الموقف.

الخوف شاهد مهم، والقاضي هو الوعي.

وفي المســـافة الفاصلة بين الفكرة والاســـتجابة يستعيد الإنســـان حريته. يرى الخطر، ويسميه، ويتحقق منه، ثم يختار موقفه.

هناك يغادر العقل الظلام الذي اعتاد ركوبه، ويتجه نحو وعي يرى المخاطر بحجمها، ويمنح الأمان حقه، ويتقبل أن الصمت قد يكون صمتاً، وأن الطريق المستقيم قد يصل إلى نهايته من غير حفرة، وأن اللحظة الجميلة تستحق أن تعاش قبل أن نفتش في أطرافها عن احتمال زوالها.

فالطمأنينة قدرة على رؤية الواقع شـــريطة أن لا تضيف إليه النفس مخاوفها الموهومة.

تجاذب الأرواح

لا ريب

عبدالله الكعيد*

لنتخيّل انعدام الجاذبيّة الأرضيّة تلك التي أثارت انتباه العالم الإنجليزي اسحاق نيوتن مع تفاحته الشهيرة. كيف سيكون شكل الحياة دون جاذبية؟ أكيد ستكون مستحيلة. إذاً الجاذبيّة الأرضية نعمة من خالق الكون للبشر والكائنات الحية وحتى الجمادات. فإذا كانت الجاذبية الأرضية حسب صاحبنا نيوتن هي من يبقينا بثبات على سطح الأرض نمشي وننام ونتناول الأشياء بسهولة، هذا غير ركود الماء على السطح وفي المتناول، وحتى دوران الأرض حول الشمس تحكمها تلك الجاذبية الأرضية.

ولو رجعنا للقواميس كي نسأل عن التعريف اللغوي للجاذبية سنكتشف بأن معظمها يُجمع على أن جذرها هو (ج ذ ب) أي مد وشد نحو الداخل أو النفس. وفي استعارة ذلك المعنى يُمكننا القول بأنها القوة التي تجذب بها الأجسام بعضها الى بعض. حسناً ماذا عن الأرواح هل هناك جاذبية تجذبها أيضا؟ دون الرجوع لتحليل تلك الظاهرة علميا دعونا نتناولها من ناحية شعبية بحته. أقصد كيف ينظر عامة الناس لتجاذب الأرواح أو كما يُقال عنها كيمياء الأرواح.

يقولون في فلان/ فلانة جاذبية. بمعنى أن لديه/ لديها كاريزما جاذبة تجعل البعض يعجب، يهيم، ينجذب، يتعلق بها دون سبب واضح يُفسِّر ذلك الشعور. من المؤكد بأن أحدنا قد مرّ بمثل تلك الحالة، فهل نحن بحاجة لنيوتن نسخة محدّثة لعام 2026 حتى يكشف لنا سر جاذبية الأرواح بعيداً عن تفاحته؟

علم النفس يقول بأن تجاذب الأرواح يكون في الغالب نتيجة عدة عوامل منها تشابه القيم والرؤى للحياة بجانب الإحساس بالأمان والقبول مما يؤدي الى الارتياح العميق فقد يجلس أحدنا مع شخص لساعات دون أن يشعر بقربه ويجلس مع آخر لأول مرة فإذا الحديث معه ينساب وكأن هنالك معرفة لسنوات طويلة وهذا أحد الأمثلة لتعارف الأرواح وتجاذبها.

لا ريب بأن ليس تشابه الأرواح فقط هو العنصر الوحيد في تجاذبها، بل لأنها تجد في بعضها ما يُكمل نقص أو يُطمئن قلق ومع هذا يظل سر تجاذب الأرواح تلك الظاهرة الإنسانية بحاجة أكثر للبحث والتحليل.

•لندن

صدر حديثاً

دار نوفل - هاشيت أنطوان تصدر مذكرات وليد جنبلاط..

«قدر في هذا المشرق: من الحرب الأهلية إلى السلام المستحيل».

اليمامة - خاص

صدر حديثاً عن دار نوفل / هاشيت أنطوان كتاب «قدر في هذا المشرق... من الحرب الأهلية إلى السلام المستحيل» وفيه يقدّم الوزير والنائب اللبناني السابق وليد جنبلاط، شهادة تاريخية من قلب الأحداث التي عصفت بالشرق الأوسط طوال العقود الخمسة الماضية.

في هذا الكتاب (288 صفحة)، الذي نقله إلى اللغة العربية المترجم اللبناني أدونيس سالم، يستعرض السياسي البارز، والرئيس السابق للحزب التقدمي الاشتراكي، الذي يُعدّ أحد أبرز السياسيين في لبنان، وأهم وجوه الزعامة الدرزية في لبنان منذ اغتيال والده كمال جنبلاط عام 1977 وتسلّمه قيادة الجبل والطائفة، تاريخ عائلته وتاريخه الشخصي، ومن خلالهما تاريخ لبنان والمنطقة.

يتناول جنبلاط محاور متعددة تشمل الحرب الأهلية اللبنانية فيتطرّق إلى تفاصيلها ومعاركها، كما وإلى كواليس بعض الاغتيالات والمؤامرات، واللقاءات والمحادثات الكثيرة التي دارت عبر لقاءات بين اللاعبين، أو بينهم وبين كبار قادة العالم والمنطقة. كذلك، يتطرق السياسي المخضرم لإعادة البناء الديمقراطي لسوريا بعد الأسد، والمسؤوليات التاريخية تجاه العدالة الانتقالية، والتحديات الأمنية التي واجهت لبنان خلال الحرب الإسرائيلية.

لعب جنبلاط دورًا محوريًا في الحرب الأهلية اللبنانية، ثم في مرحلة ما بعد الحرب ضمن إطار اتفاق الطائف، وعُرف بقدرته على تغيير التحالفات السياسية تبعًا لموازين القوى مع احتفاظه بخطاب نقدي للنظام السوري وللاحتلال الإسرائيلي، وبتمسكه بالقضية الفلسطينية وبفكرة الدولة المدنية في لبنان. تولّى مناصب وزارية عدة مرات، وكان شريكًا أساسيًا في محطات مفصلية مثل ثورة الأرز عام 2005 وخروج الجيش السوري من لبنان.

يشكل هذا العمل مساهمة توثيقية ذات قيمة استثنائية في فهم الديناميات السياسية والاجتماعية للمشرق المعاصر، خاصة من منظور قيادة درزية لعبت دوراً محورياً في الحفاظ على التوازنات الإقليمية. يقدم فيه جنبلاط رؤية استشرافية حول مستقبل لبنان والمنطقة، مؤكداً على ضرورة تجاوز الأنظمة الطائفية والقيود الموروثة، ومتطلعاً نحو بناء مستقبل يقوم على الديمقراطية والعدالة والسيادة الوطنية.

وجاء في نبذة الناشر:

ربما آثر وليد جنبلاط الصمت بعدما نقل إلى نجله تيمور، في السلم، أمانة كان قد ورثها مضرّجة بدم والده الشهيد. لكنّ

أقدار بعض الرجال، وخصوصًا في هذا المشرق الذي لا يزال يعاني لعنة التاريخ، تلاحقهم بلا هوادة، فيشعرون بأنهم يعيشون حربًا لا نهاية لها، وأنّ عليهم الخروج عن صمتهم.
هكذا هو قدر وليد جنبلاط.
وما يقرّر أن يقوله هذا الرجل اليوم هو أكثر من مذكّرات عائلة ناضلت من دار المختارة، لحماية الدروز، ودفعت أثمانًا باهظة أحيانًا للحفاظ على دورهم في لبنان وفي هذا المشرق العربيّ. إنّه يرى بوضوح المخاطر الكبرى التي عادت لتهدّد ليس فقط وحدة لبنان، بل العالم العربيّ بأجمعه، فيعبّر عن هواجسه بصدق وشجاعة.
بالشجاعة عينها، يروي وليد جنبلاط قصة الخيارات الصعبة التي كان عليه أن يتخذها طوال عقود خمسة، وما رافقها من تحدّيات، واغتيالات، ومؤامرات، من دون أن يتخلّى عن قناعاته الكبرى. كما يستعيد المعارك العسكريّة والسياسيّة التي كان عليه أن يخوضها، مرغمًا أحيانًا، ليحافظ على الجبل وعروبته، ومن ثمّ ليصون لبنان ونسيجه التعدّدي والثقافيّ الفريد.
وليد جنبلاط الملمّ بالتاريخ والذي يجيد قراءة الحاضر واستشراف المستقبل، أكثر من شاهد على عصر. إنه ومن خلال هذا الكتاب يتوجّه إلى تيمور، وإلى أحفاده، وإلى الدروز، وإلى الشباب اللبنانيّ والعربيّ، لينقل إليهم عصارة تجربته الطويلة ويحذّرهم ممّا يُحاك للبنان ولهذا المشرق من مؤامرات، ومن المغامرين المتهوّرين الذين لم يتعلّموا دروس الماضي...

نبذة عن الكاتب

وليد جنبلاط – الرئيس السابق للحزب التقدّمي الاشتراكي اللبناني، والوزير والنائب مرّات عدّة، هو من أبرز رجال السياسة في لبنان. منذ استشهاد والده كمال جنبلاط في العام 1977، انخرط في أتون الصراعات اللبنانيّة، زعيمًا للطائفة الدرزيّة ومدافعًا شرسًا عن وجودها ومصالحها. وُلد في العام 1949. ويحمل إجازة في العلوم السياسيّة من الجامعة الأميركية في بيروت. مارس الصحافة قبيل الحرب الأهلية. قارئ نهم يجمع في شخصه بين عمق الوالد، المفكّر الأمميّ، وبين الثقافة الواسعة والانفتاح اللذين تميّزت بهما والدته، ميّ شكيب أرسلان. إلى جانب إيمانه الراسخ بالقضيّة المحقّة للشعب الفلسطينيّ، والعروبة، واحترام الحريّات في العالم العربيّ، يحمل لواء العيش المشترك في لبنان، وتحقيق العدالة الاجتماعية فيه، وضرورة تطوير اقتصاده وحماية بيئته.

يوسف أحمد الحسن
@yousefalhasan

اقرأ

كتابة بالدموع.. نجيب محفوظ

بحثت في عدد السّير الغيرية أو المذكرات التي كتبت عن الكاتب الكبير نجيب محفوظ حول ما إذا كان نجيب محفوظ يبكي عند كتابة بعض رواياته فلم أجد ذلك؛ بل وجدت أنه كان كاتبا هادئا وشديد الانضباط في الكتابة ولم يكن يبكي أثناءها رغم أنه كان يصاب أحيانا بالأرق وبالتأثر النفسي خلالها. ومن هذه المذكرات صفحات من مذكرات نجيب محفوظ للكاتب رجاء النقاش ونجيب محفوظ يتذكر لجمال الغيطاني ونجيب محفوظ عن الكتابة لعمرو فتحي. وقد ورد في بعض هذه المذكرات أنه كان يتعاطف مع شخصيات رواياته مع قدرته على السيطرة على انفعالاته، ولم يثبت أنه كان يبكي اثناء الكتابة. وربما كان أصدق ما قاله محفوظ عن موقفه من البكاء: أحيانا يكون الصمت أصدق أنواع البكاء.
لكنني وجدت أربع قصص حول بكاءه؛ الأولى حين وجد طفلا يبيع الحلوى عند إشارة مرور؛ حيث قال حينها عن (إنه طفل يبيع أحلامه) حيث كان الطفل يبيع الحلوى وليس أي سلعة أخرى!
أما الثانية فقد روتها القاصة والمذيعة فريدة الشوباشي التي قالت بأنها قرأت على نجيب محفوظ قصة لها عنوانها (هدية بابا نويل) وهي من مجموعة قصصية لها تحت اسم عبارة غزل، جاء فيها ذكر طفلة كانت تبكي في كنيسة منتظرةً هديةً من بابا نويل، لكنها لم تحصل على أي هدية. حيث قالت فريدة إن محفوظ قد بكى حينما سمع نهاية القصة.
أما الثالثة فهي بكاؤه حينما سمع من الكاتب محمد سلماوي نهاية رواية الخرز الملون. وتتحدث الرواية عن حكاية شبه حقيقية وحزينة لصحفية فلسطينية كانت تعيش في مصر (نسرين خوري) تعرضت لمشكلة اجتماعية وضغوط اجتماعية بسبب دفاعها عن القضية الفلسطينية ثم أنهت حياتها بالانتحار. وكان سلماوي قد رافق محفوظ في سنواته الأخيرة وأجرى معه عددا من الحوارات الصحفية.
أما القصة الرابعة - وهي غير مؤكدة - فكانت بكاؤه في نهاية مشاهدته لفيلم الشريدة متأثراً بأداء الفنان محمود ياسين. وأصل الفيلم من المجموعة القصصية لمحفوظ (همس الجنون). ورغم انتشار هذه القصة إلا أنها ليست موثقة على الإطلاق ويبدو أنها جاءت كنتيجة لمبالغات من عدد من مواقع التواصل الاجتماعي.

من مقولاته: أحياناً نضحك لكي نخفي البكاء.

مسافة ظل

خالد الطويل

على جال البحر.

أوّلُ مكانٍ تعلّمتُ فيه أن أسبح بِركةُ ماءٍ في مزرعة، تسبح معنا أحيانًا بعضُ الضفادع، واليعسوب يحوم فوق رؤوسنا -واليعسوب حشرة رشيقة ذات جناحين شفّافين تحوم قربَ الماء- ويعلو صوتُ صنبور الماء الكبير، خصوصًا حين يتدفّق من خلاله الماء. واكتشفتُ لاحقًا مع مدرّب النادي أن سباحتنا -وإن علّمتنا الجرأة وجعلتنا نطفو فوق الماء- كانت خاطئة؛ وعلّمني بعض الأساسيات، وكيف أحافظ على نفسي داخل الماء بطريقةٍ تجعلني أقطع مسافةً أسبحها إذا كنتُ مضطرًا لذلك.

وأنا حريصٌ في كل مدينةٍ ساحليةٍ أزورها أن أذهب للبحر، ليس فقط للوقوف عليه والتشكّي -كحالنا الدائم، نحن من نحبّ الشعر- نقفُ على الشاطئ فنبثّه ما لا نبوح به لأحد. فالبحرُ منذ القِدم مرآةُ الشعراء؛ فقد شكا امرؤُ القيس ليله الطويل:

ولَيْـلٍ كَمَوْجِ البَحْـرِ أَرْخَى سُدُوْلَهُ .. عَلَيّ بِأَنْـوَاعِ الهُمُوْمِ لِيَبْـتَلِي

وللشعراء حكايتهم مع البحر، يقول الشاعر الأمير سعود بن عبدالله من قصيدة عامية:

موج البحر يا منهو اللّي على الماء .. هذا القمر ولا حبيبي على الجال

المهم، بعدما تعلّمتُ بعض أبجديات السباحة على أصولها، صرتُ أعشق السباحة وأبحث عن شواطئها كلما أُتيحت لي الفرصة، ولم يعد لمجرّد تغيير الجوّ والاستمتاع بنسيم البحر، وذلك أمرٌ جميل. حدث ذلك معي حين زرتُ جدة مؤخرًا، واستمتعتُ بزيارة أكثر من شاطئٍ فيها، مثل شاطئ كوكيان بأبحر الجنوبية والمحازم، ثم شاطئ اللؤلؤ؛ وهناك العديد من الشواطئ التي تكتسي ثوبًا جميلًا من حيث الترتيب والمرافق والخدمات.

ورغم ارتفاع درجة الحرارة في شهر أغسطس، فإن نسيم البحر كفيلٌ بكسر حدّتها؛ لاحظتُ ذلك حين استأجرتُ مظلّةً وكرسيًا، وأخذتُ نصيبي من السباحة لما يقارب ساعة. وفي البحر كما في البرّ، يصادفك أناسٌ تراهم لأول مرة، مجموعاتٍ وفرادى، وفيه فرصةٌ للحديث مع الناس والتعرّف عليهم، وإن كانت معرفةً عابرةً، مهما كان جمالها ودفؤها.

البحر يعطيك الكثير كما يعطي البحّارة، يكتنز الأسرار، ولا يخلو من المخاطر التي توجب الوعي. واليوم، بفضل العناية الكبيرة بتلك الواجهات البحرية، خصوصًا في ظل مشاريع رؤية 2030 المباركة، يظهر البحر أمام زوّار مناطقنا الساحلية بثوبٍ قشيب؛ فالشواطئ مهيأة وجاذبة، ومع ذلك ما زلتُ وفيًا للحظات البسيطة في برك الماء واليعسوب يحوم حولنا؛ فهي أولى خطواتي نحو سباحةٍ أكثر احترافية.

في ظل تنامي الطلب عليها..

خبراء يحذرون من تأثير الذكاء الصطناعي على الكتب النادرة.

واس

حذّر عددٌ من خبراء وتجار الكتب النادرة في أستراليا من تنامي الطلب على الكتب القديمة والنادرة لاستخدامها في تطوير نماذج الذكاء الاصطناعي، مؤكدين أن هذه الممارسات قد تهدد الحفاظ على مقتنيات ثقافية وتاريخية يصعب تعويضها.

وأوضح صاحب أحد متاجر الكتب في ملبورن تيم وايت، المشارك في معرض ملبورن للكتب النادرة، أن قيمة الكتاب النادر لا تقتصر على محتواه، بل تشمل تاريخه وسياقه المادي وسجل ملكيته، معربًا عن قلقه من شراء بعض النسخ النادرة بغرض مسحها رقميًا واستخدامها في تدريب أنظمة الذكاء الاصطناعي، وهو ما قد يؤدي في بعض الحالات إلى إتلافها أو فقدانها.

من جانبه، أشار تاجر الكتب النادرة جون ساينزبري إلى تزايد اهتمام جهات مرتبطة بتقنيات الذكاء الاصطناعي بالحصول على الكتب القديمة، داعيًا إلى تعزيز إجراءات التحقق من هوية المشترين، والحفاظ على المقتنيات ذات القيمة التاريخية.

وأكد المختصون أن تقنيات الذكاء الاصطناعي توفر فرصًا مهمة لدعم أعمال الفهرسة والحفظ الرقمي وتحليل الوثائق، إلا أن استخدامها يستدعي وضع ضوابط تحافظ على التراث الثقافي، وتضمن عدم الإضرار بالمقتنيات النادرة ذات الأهمية التاريخية.

تجمع الرياض الصحي..

تنفيذ 2,893,656 موعدا صحيا خلال النصف الأول من 2026.

تجمع الرياض الصحي الأول
Riyadh First Health Cluster
Empowered by Health Holding co.

واس

تجمع الرياض الصحي الأول خلال النصف الأول من عام 2026 عبر منشآت الرعاية الصحية الأولية والمستشفيات 2,893,656 موعدًا صحيًا، في مؤشر يعكس تكامل منظومة الخدمات الصحية واستمرارية تقديم الرعاية للمستفيدين، وتعزيز الوصول إلى الخدمات الصحية في مختلف مستوياتها.

وبلغ إجمالي خدمات الرعاية الصحية الأولية 1,763,921 زيارة، فيما بلغ إجمالي مواعيد المستشفيات 1,129,735 موعدًا، بما يعكس كفاءة منظومة المواعيد وتكامل مستويات الرعاية الصحية في التجمع.

وفي قطاع الرعاية الصحية الأولية، تصدر برنامج الفحص الاستكشافي للأمراض المزمنة الخدمات المقدمة بـ493,802 مستفيد، تلاه مراكز الرعاية العاجلة بـ108,734 زيارة، فيما شملت الخدمات أيضًا مراكز طب الأسنان، والعيادات الاستشارية، وعيادة المدرب الصحي، وبرنامج الفحص الاستكشافي لسرطان القولون، وبرنامج الفحص الاستكشافي لسرطان الثدي، وعيادات فحص ما قبل الزواج، وعيادة فحص التوظيف (اللياقة المهنية).

وفي المستشفيات بلغ إجمالي المواعيد 1,129,735 موعدًا، تصدرتها عيادات النساء والولادة بـ 148,877 موعدًا، تلتها عيادات جراحة العظام بـ 130,046 موعدًا، فيما شملت المواعيد أيضًا عيادات الباطنية، والعلاج الطبيعي، والجراحة العامة.

ويجسد هذا الإنجاز كفاءة منظومة الرعاية الصحية في تجمع الرياض الصحي الأول، وتكامل خدماتها بين الرعاية الصحية الأولية والمستشفيات، بما يسهم في تحسين تجربة المستفيد ورفع جودة وكفاءة الخدمات الصحية، تحقيقًا لمستهدفات رؤية السعودية 2030

سؤال وجواب

إعداد: الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله العُقيلي
عضو برنامج سمو ولي العهد
لإصلاح ذات البين التطوعي.

س: ما دور السعودية في استقرار المنطقة؟

ج: تقوم السعودية بدورٍ محوري في استقرار المنطقة؛ انطلاقًا من مبادئ الشريعة الإسلامية القائمة على العدل، وردِّ العدوان، والتعاون على البر والتقوى، وحفظ الأمن. قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: 2]، وقال سبحانه: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: 190]، وقال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: 8].

وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده». رواه البخاري (10) ومسلم (40). وفي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا». رواه البخاري (2444)، وبيَّن ﷺ أن نصر الظالم يكون بمنعه من الظلم، وهو أصلٌ في ردِّ العدوان وإقامة العدل.

وانطلاقًا من هذه المبادئ، تواصل السعودية جهودها في حفظ الأمن الإقليمي والدولي؛ فقد نفذت القوات المسلحة السعودية، بالتنسيق مع القيادة الوسطى الأمريكية، ضرباتٍ على أهدافٍ محددة في العراق مرتبطة بالاعتداءات على المنشآت البترولية السعودية، وذلك في إطار حق الدفاع الشرعي عن النفس وفق المادة (51) من ميثاق الأمم المتحدة، كما أسهمت في إنشاء التحالف البحري الدفاعي متعدد الجنسيات لحماية الممرات البحرية، وتأمين الملاحة الدولية، والتصدي للتهديدات التي تستهدف التجارة العالمية.

وبذلك يتبين أن دور السعودية يقوم على مبادئ الشريعة في تحقيق الأمن، وردِّ العدوان، والتعاون على البر والتقوى، بما يسهم في استقرار المنطقة وحماية المصالح الدولية. ونسأل الله تعالى أن يحفظ المملكة العربية السعودية، ويديم عليها نعمة الأمن والإيمان، وأن يوفق مولاي خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود، وسيدي صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز آل سعود ولي العهد رئيس مجلس الوزراء، ويسددهما ويبارك في جهودهما لخدمة الإسلام والمسلمين، وأن يحفظ وطننا من كل سوء.

لتلقي الاسئلة
alloq123@icloud.com
حساب تويتر:
@Abdulaziz_Aqili

الكلام الأخير

الصورة الأخيرة.

فهيد العديم
@Fheedal3deem

كان التصوير فـــي جيلنا "العتيق" لا يخرج عن صورة للشـــهادة الدراسية، أو صورة للهوية الرسمية، وهو ما كنا نسميه آنذاك "العكس"، قبل أن تنقرض تلك التسمية مع آخر صورة باللون الأبيض والأسود!

أو صورة لغرض الذكـــرى، نحتفظ فيها بملامحنـــا العفوية ،ثم فجـــأة أصبحت الصورة تحضر فـــي كل تفاصيل حياتنا، بل وحتى مماتنا، فوصلت الفلاشـــات إلى المقبرة!

لا أعرف متى حدث هـــذا الانقلاب، لكنني متأكد أن الكاميرا كانت في البداية وسيلة لحفظ اللحظة، ثم قـــررت فجأة أن تصبح هي اللحظة نفسها!

في الماضـــي، كنا نذهب إلـــى المصور بملابس تشـــبهنا ، فقد كانـــت صورنا حقيقيه ، وشعرنا كذلك ، لذلك كنا نتعامل مع العدسة كما لو أنها موظف حكومي لا يمنحك فرصة ثانية لتغيير "الفلتر"!

أما اليوم، فلدينا من الصور ما يكفي لإثبات أننا شربنا القهوة، ثم أثبتنا مرة أخرى أننا شربناها من زاوية أخرى، ثم نشرنا صورة ثالثة لنؤكد أن الرغوة كانت ناجحة.

حتى الطعام ضاق ذرعـــاً بتفاهاتنا ، فلم يعد يؤكل وهو ســـاخن ، فأصبح يعاني من جلســـة تعذيب حتى يفقد إحســـاس كونه طعامـــاً ، يجلس على الطاولة ينتظر جلســـة تصوير كاملة وكأنه "فتاة غلاف" وقد يبرد وهو يراقـــب صاحبه يطلب من الجميع: "لا أحد يلمس... باقي ما صورت!"

أصبحنا نصور كل شـــيء ، السيارة قبل أن نركبها، والبحر قبل أن ننظر إليه، والهدية قبـــل أن نفتحها، والمطـــر قبل أن نبتل، والقهوة قبل أن نشربها، والسفر قبل أن نستمتع به!

بل إن بعض الرحلات تبدو وكأنها أُقيمت من أجل الصور، أما الاســـتمتاع الحقيقي فقد تأجل إلى إشعار آخر.

والسيلفي قصة أخرى..اختراع عجيب جعل الإنسان يحمل الكاميرا بيد، وملامحه باليد الأخرى ، فيبتســـم وهو متأخر عن موعد، ويبتسم وهو مرهق، ويبتسم في الزحام، حتى أصبحت الابتســـامة وظيفة موسمية تؤدى أمام العدسة فقط.

أما المؤثرون، فقد أقنعونا أن الاستيقاظ لا يبدأ بغســـل الوجه، بـــل بتصوير كوب القهوة، وأن المطعـــم ليس مكانًا للأكل، بل اســـتوديو بإضاءة جيدة ، وأن السفر لا يقاس بعدد الأماكن التي زرتها، بل بعدد القصص التي نشرتها!

ولم تسلم المناســـبات من هذا الهوس.. ففي حفلات التخـــرج، هناك من لا يعرف اسم الخريج، لكنه يعرف المصور الشخصي ، وفـــي الأعراس، أصبـــح بعض الضيوف يعملون مراســـلين ميدانييـــن، ينقلون الحفل لحظـــة بلحظة، وكأن من لم يحضر سيطالب لاحقًا بإعادة البث.

حتى المرض لم يعد يمـــرض بهدوء، لا بد مـــن صورة للســـرير الأبيض، وصورة للمحلول، وصورة للسوار الطبي، ثم تنهال التعليقـــات: "ســـلامات"، بينما المريض منشغل باختيار الفلتر المناسب!

وأخيرًا... وصلت العدسة إلى المكان الذي كنا نظن أنه آخر مساحة للصمت "المقبرة" أي واللّه المقبرة ، ونبرة العزاء أصبحت غير بشرية أيضاً!

هناك أيضًا وجد بعضنـــا فرصة لالتقاط صورة أخيرة، وكأن الموت نفســـه يحتاج إلى تغطية إعلامية ، أخشـــى أن يأتي يوم يُكتب فيه على شاهد قبر أحدهم:

"رحل عن عالمنا... لكن لا تنسوا "اللايك" للصورة الأخيرة"!

مؤسسة اليمامة الصحفية
ALYAMAMAH PRESS EST.

الآن بالأسواق

السعر ١٠ ﷼

الأدب ، اللغة و الفضاء

إعداد / أحمد عثمان

إضافة جديدة وإصدارات متنوعة

كنوز اليمامة

سلسلة تصدر من
مؤسسة اليمامة الصحفية

اطلبه الآن أونلاين عبر

Bks4.com

واتساب: +966 50 2121 023
إيميل: contact@bks4.com
تويتر: @KnoozAlyamamah
أنستغرام: @KnoozAlyamamah

YAMAMAH EXPRESS

خدمات مصممة

لتحسين عمل متجرك

مؤسسة اليمامة الصحفية
Al Yamamah Press Est
8001010191
info@yamamahexpress.com